



مجلة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م - الجزء الرابع - المجلد السابع والاربعون

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م







الجزء الرابع ـ المجلد السابع والاربعون
بغـداد
١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م

شروط النشر وضوابطه

١ ـ تنشر المجلة البحوث العلمية ذات السمة الفكرية والشمولية وبما يسهم في تحقيق اهداف المجمع .

٢ ـ لغة المجلة هي اللغة العربية ويراعى الباحثون والكتاب في صياغتهم الوضوح وسلامة اللغة .

٣ ـ يشترط في البحث ان لايكون قد نشر او قدم للنشر في مجلة خرى.

٤ ـ تعرض البحوث المقدمة للنشر في المجلة على محكمين من ذوي الاختصاص لبيان مدى اصالتها وجودتها وقيمة نتائجها وسلامة لغتها وصلاحيتها للنشر .

٥ ـ هيئة تحرير المجلة غير ملزمة برد البحوث الى اصحابها في حالة عدم قبولها للنشر .

٦ ـ يرسل البحث الى المجلة بالمواصفات التالية :

أ ـ ان يكون مطبوعاً على الآلة الكاتبة او مكتوباً باليد بخط واضح وجيد وعلى وجه واحد من الورقة .

ب ـ ترسل نسخة واحدة من البحث تحمل اسم الكاتب وعنوانه كاملا باللغة العربية .

جـ ـ يجب ان لا تزيد عدد الصفحات عن (٣٠) ثلاثين صفحة وبما لايتجاوز (٧٥٠٠) سبعة الاف وخمسمائة كلمة .

د ـ ان يكون مستوفياً للمصادر والمراجع ، موثقة توثيقاً تاماً حسب الاصول المعتمدة في التوثيق العلمي .

هـ ـ يرفق بالبحث ما يلزمه من اشكال او صور او رسوم او خرائط أو بيانات توضيحية اخرى ، على ان يوضح على كل ورقة مكانها من البحث ويشار الى المصدر اذا كانت مقتبسة .

و ـ ان تستخدم في البحث المصطلحات المقرة عربياً .

ز ـ يرفق بالبحث ملخص باللغتين العربية والانكليزية بحدود نصف صفحة لكل ملخص .

ح ـ تكتب الكلمات الدالة باللغة الانكليزية .

٧ ـ يعطي صاحب البحث ـ عند نشره ـ ثلاث نسخ من المجلة مع عشرة مستلات من بحثه .

البحوث لاتعبر بالضرورة عن رأي المجمع العلمي

مجلـة المجمـع العلمـي

مجلـة فصليـة انشئـت سنـة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

ـ توجـه البحـوث والمراسـلات الـى : رئيس تحرير مجلـة المجمـع العلمي المجمـع العلمـي ـ ص . ب. (٤٠٢٣) بغـداد ـ جمهوريـة العـراق هـاتف : « ٤٢٢١٧٢٣ ـ ٤٢٢٢٠٦٦ » فـاكس : ٤٢٥٤٥٢٣ / ١ ـ ٩٦٤

E-mail : aos@uruklink.net

ـ الاشتراكات : داخـل العراق (٤٠٠٠) دينار سنوياً .

خارج العراق (٥٠) دولار امريكي سنوياً وتضاف اجرة البريد .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

تسعى مجلة المجمع العلمي ابتداءً من هذا الجزء الى ان تخرج عما اعتادته منذ صدورها قبل خمسين عاما ، وذلك بأن تتبنى موضوعاً عاماً تركز عليه ليكون ملفا خاصا يركن اليه الباحثون والمفكرون ، ويكون لهم عونا في بحوثهم ودراساتهم العلمية •

لقد كانت ــ وما تزال ــ سلامة اللغة العربية والحفاظ عليها من أهم اهداف المجمع العلمي واهتماماته ، ولهذا كان من الطبيعي ان يعالج ملف هذا الجزء موضوع اللغة العربية الذي اعدته دائرة علوم اللغة العربية في المجمع وهو عن المعجم العربي الذي يتنادى اللغويون والعلماء الى الاهتمام به والدعوة الى اصدار معجم لغوي حديث يسد حاجات المعاصرين فيما يعترضهم من الشؤون العلمية والفكرية ، ويضم هذا الملف خمسة بحوث هي :

١ ــ نحو معجم حديث للدكتور احمد مطلوب •
٢ ــ المعجم العربي ــ مادته ومناهجه للدكتور محمد ضاري حمادي •
٣ ــ سمات المعجمات اللغوية العربية وخصائصها المنهجية للدكتور رشيد عبدالرحمن العبيدي •
٤ ــ معجم العلايلي ــ منهجه ومادته ــ للدكتور عبدالله الجبوري •
٥ ــ المعجم العربي القديم والمدونات الادبية للدكتور نعمة رحيم العزاوي•

هذا هو الملف الاول وستعقبه ملفات اخرى في موضوعات تقع ضـــمن اهتمامات المجمع العلمي في الآداب والعلوم والفنون ، فضلا عن التصـــدي للقضايا الساخنة والمستقبلية التي تواجه قطرنا المناضل وامتنا العربية المجيدة .

إن مجلة المجمع العلمي وهي تتخذ هذا النهج إنما تسعى الى التطــور والاضـــافات الجديدة خدمة للمجتمـــع وعونـــا للباحثـــين والدارســـين في المجـــالات المختلفة .

والله نسأل ان يوفق العاملين في سبيل الامة العربية المجيدة والوطن الغالي .

أ.د. ناجح الراوي
رئيس المجمع العلمي
رئيس هيئة تحرير المجلة

في العلـــم

أ.د. ناجح الراوي
رئيس المجمع العلمي

الملخـــص

يتناول البحث أهمية العلم في تكوين حضارة الانسان ، ويستعرض دور العلم في حضارة بلاد الرافدين ووادي النيل ويستشهد ببعض آيات القـرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة حول العلم والعلماء مما جعل الحضـارة العربية الاسلامية تشجع العلم وتنهل من منجزاته لتســهم في رفد الحضـارة الانسانية بشكل متميز .

ويتطرق الى تصنيف العلوم عند بعض الأئمة والمجتهدين والعلماء العرب ووجهة نظرهم في العلم ، ثم يدرج تعاريف العلم من وجهة نظر بعض المنظمات العالمية ومن أعضاء في المجمع العلمي العراقي وعلماء من مختلف انحاء العالم ، ويخلص الى ان مفهوم العلم يتأثر باختصاص العالم والزمان الذي يعيش فيه .

تمهيـــد :

منذ أن خلق الله سبحانه وتعالى الانسان في هذا الكون الفسيح ، وهبه العقل ليفكر ويبحث ويبتكر • فالعلم والتقانة قديمان قدم حضارة الانسان • وبتراكم العلم والمعرفة تطورت التقانة واحدثت المدنية التي نعيشها في عالمنـا المعاصر •• عالم الفضاء والذرة والالكترونيات ، عالم الاستنساخ وهندسـة الجينات ، عالم الاكتشافات التي لا تعرف لها حـدود ما دام الانسان يفكـر لخير البشرية ومصلحتها •

فالعلم نقيض الجهل • وفي اللغة[1] : عَلِمَ الشيء : عرفه ، عَلِمَ : أي تعلّم ، وعلم بالشيء : شعر به •

١ ـ العلـم في الحضـارات القديمـة :

لقد إزدهرت حضارات بلاد الرافدين ووادي النيل والحضارة الصـينية وحضارة الاغريق قبل الميلاد ، وتفاعلت هذه الحضارات فتركت للانسان إرثاً حضارياً بنى عليه فيما بعد لبنات إضافية اوصلت الانسان الى ماهو عليه الان من تمدن وحضارة •

فقد اخترع السومريون الكتابة التي تعد من اهم الاختراعات في التاريخ حيث ساعدت على توثيق العلـم والمعلومات ونقلهـا الى الاجيال اللاحقـة ، واخترعوا العجلة رمز الصناعة الحديثة واستخدموا الاقواس في البناء لاول مرة • واهتم البابليون وسكان بلاد الرافدين بعلوم الفلـك والرياضـيات والهندسة والطـب وتركوا آثاراً تـدل على تقدمهـم في العلوم والتقانة • فالزقورات والجنائن المعلقة وتصعيد المياه الى أعاليها واستخدام طرق الـري المناسبة وتطوير الزراعة ومنها زراعة النخيل واستخدام تقاناته (التبليـة) ، وتطوير صناعة الآجر وطريقة استخدام القار يدل على إمكانات تقانية وعلميـة متقدمة • إن استخدام الانظمة والقوانين والشرائع آنذاك يدل على مستوى مدني وحضاري رفيع •

---

(١) « لسان العرب » ـ ١٥/٣١٠ـ٣١٥ .

ازدهرت الحضارة في وادي النيل ولعل الاهرامات وتقدم علم التحنيط وآثار مصر القديمة الشاخصة حتى الان تعبر عن تقدم كبير في العلم والتقانة • فلا عجب ان تكون جنائن بابل المعلقة واهرامات مصر من عجائب الدنيا السبع•

لقد عرفت الصين القديمة صناعة الورق والخزف والحرير ، وجاءت حضارة الاغريق متفاعلة ومستفيدة من حضارات بلاد الرافدين ووادي النيل لتكوّن حضارة إنسانية كان لها دورها في تاريخ العلوم والفلسفة • فالعلم قديم المنشأ ••• وفي حكمة داود عليه السلام : « العلم في الصدر كالمصباح في البيت » ومن وصايا لقمان الحكيم لابنه قال :[٢]

« لا كنز أنفع من العلم ، ولا شيء أربح من الادب ، ولا قرين أزين من العقل ، ولا شيء أنفع من الصدق ، ولا سيئة أسوأ من الكذب ، ولا عار أقبح من البخل » •

وقال[٣] : « يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك ، فأن الله يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيي الارض الميتة بوابل السماء » •

وقيل للقمان الحكيم[٤] أي الناس أفضل ؟

قال « مؤمن عالم ، إن ابتغى عنده الخير وجد » •

٢ ـ العلم في القرآن والحديث :

جاء الاسلام ليكمل ويجدد الديانات السماوية السابقة فكان ثورة على الجهل والتخلف وبداية نهضة حضارية جديدة امتدت آفاقها الى العالم المعروف آنذاك •

---

(٢) هاشم الملاح ـ اقوال مأثورة ـ اوراق مجمعية ـ العدد ١١ ـ السنة الثانية ـ المجمع العلمي ـ بغداد ـ تشرين الثاني ١٩٩٩ .

(٣) الغزالي ـ « احياء علوم الدين » ـ الجزء الاول ـ ص ٨ .

(٤) النمري ـ « جامع بيان العلم وفضله » ـ الجزء الاول ـ للامام ابي عمر يوسف بن عبد البر النمري ـ صححه وراجعه عبدالرحمن محمد عثمان ـ ص ٧٤ .

إهتم الدين الاسلامي الحنيف بالعلم وتجلى ذلك بما نزل على النبي محمد خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وسلم) من آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن العلم • فقد وردت كلمة علم مجردة ثماني وعشرين مرة في القرآن الكريم ناهيك عن ورود مشتقاتها • وقد ورد العديد من الاحاديث النبوية الشريفة عن العلم • واهتم الخلفاء الراشدون ومن بعدهم الأئمة الصالحون بنشر العلم والمعرفة في مختلف الامصار •

٢ ـ ١ ـ العلم في القرآن الكريم :

إن أول سورة من القرآن الكريم نزلت على النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) كانت « إقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق * إقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم * »

٩٦ ((العلق)) : ١ـ٥

تؤكد أهمية العلم والتعلم • وتتوالى الآيات القرآنية الكريمة التي تشيد بمكانة العلم والعلماء ومنها :

ـ « ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون »

٧ ((الاعراف)) ٥٢

ـ « الرحمن * علم القرآن * خلق الانسان * علمه البيان * »

٥٥ ((الرحمن)) ١ـ٤

ـ « ••• يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير »

٥٨ ((المجادلة)) : ١١

ـ « ••• نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم »

١٢ ((يوسف)) ٧٦

ـ « ... قل هل يستوي الذينَ يعلمونَ والذين لا يعلمونَ إنما يتذكـرُ أُولوا الالبابِ »

٣٩ ((الزمر)) ٩

ـ « ... إنما يخشى اللهَ من عبادهِ العُلَماءُ إن اللهَ عزيز غفور »

٣٥ ((فاطر)) ٢٨

ـ « يؤتى الحكمة من يشاءُ ومن يؤتَ الحكمةُ فقد اوتي خيراً كثيراً ومـا يَذّكرُ إلا أولوا الالبابِ » .

٢ ((البقرة)) ٢٦٩

ـ « ويسألونكَ عنِ الروحِ قلِ الروحُ مِن أمرِ ربي وَما أوتيتُـم مِنَ العلمِ إلا قليلاً »

١٧ ((الاسراء)) ٨٥

ـ « ... وَقل ربِّ زِدْني عِلما »

٢٠ ((طـه)) ١١٤

٢ـ٢ العلم في الاحاديث النبوية الشريفة :

جاءت الاحاديث النبوية الشريفة لتوضح بعض آيات القرآن الكريـم وتضيف الى احكام الاسلام . وللنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) احاديث كثيرة في اهمية العلم ندرج بعضها :

* العلماء ورثة الانبياء . (أبو داود والترمذي وأبو ماجه) .
* طلب العلم فريضة على كل مسلم (ابن ماجه من حديث أنس) .
* أطلبوا العلم ولو في الصين (أبن عدي والبيهقي) .
* إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة اشياء : من صدقة جارية ، او علم ينتفع به بعده ، او ولد صالح يدعو له . (أبو هريرة) .

* أفضل الناس المؤمن العالم الذي إذا احتيج إليه نفع وإذا أستغني عنه اغنى نفسه . (ابو الدرداء) .
* يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء . (ابن عبد البر من حديث ابي الدرداء) .
* أطلبوا العلم من المهد الى اللحد .

وقال عليه السلام « ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع » .

٣ ـ العلم في التراث العربي الاسلامي :

استمرارا لما اولاه الدين الاسلامي متمثلا بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من الاهتمام بالعلم فقد اطلع العلماء العرب على الحضارة الاغريقية والهندية وترجموا الى العربية كتبها واضافوا جهودهم في مختلف ميادين العلم والمعرفة فازدهرت الحضارة العربية الاسلامية قرونا من الزمن . ولعل ما تركه بعض الأئمة والصحابة والعلماء في وصف العلم ما يعبر عن مكانة العلم والعلماء في هذه الحضارة .

* قال الامام علي بن ابي طالب (رضي الله عنه)(٥) :

ما الفخر إلا لاهل العلم إنهم
على الهدى لمن استهدى أدلاء

وقدر كل إمرىء ما كان يحسنه
والجاهلون لاهل العلم أعداء

ففز بعلم تعش حياً به ابداً
الناس موتى واهل العلم أحياء

---

(٥) الغزالي ـ إحياء علوم الدين ـ الجزء الاول ـ ص ٧ .

* وقال كرم الله وجهه :

« قيمة المرء علمه » •

* وقال الحسن (رحمه الله) « لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم » وقال في قوله تعالى « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة » : إن الحسنة في الدنيا هي العلم والعبادة وفي الآخرة هي الجنة •

* وقال ابن عباس (رضي الله عنهما)[٦]

« خُيِّرَ سليمان بن داود (عليهما السلام) بين العلم والمال والملك فاختار العلم ، فاعطي المال والملك معه » •

* وقال الامام الشافعي (رحمه الله) :

« من شرف العلم ان كل من نسب اليهولو في شيء حقير فرح ومن رفع عنه حزن »

وقال بفضل صفات العلم[٧] :

أخـي لـن تنـال العلـم إلا بسـتة
سـأنبيـك عـن تفـاصيلهـا ببيـان
ذكـاء وحـرص واجتهـاد وبلغـة
وصـحبـة أسـتاذ وطـول زمـان •

ويقـول[٨]

تعلم فليس المـرء يولد عالمـا — وليس أخو علم كمن هو جاهل
وان كبـير القوم لا علم لـه — صغير اذا التفت عليه الجحافل
وان صغير القوم إن كان عالمـا — كبـير اذا ردت إليه المحافل

---

(٦) الغزالي — إحياء علوم الدين — الجزء الاول — ص ٧ •
(٧) ديوان الشافعي — ص ١٦٣ — بيروت ١٩٦٢ •
(٨) ديوان الشافعي — ص ١٤٦ — بيروت ١٩٦٢ •

* وقال معاذ بن جبل (رضي الله عنه)

« عليكم بالعلم فان طلبه لله عبادة ، ومعرفته خشية ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، ومذاكرته تسبيح ، به يعرف الله ويعبد ، وبه يسجد له ويوحد ، ويرفع الله بالعلم اقواما يجعلهم للناس قادة وأئمة يهتدون بهم وينتهون الى رأيهم » .

* وقال ابن مسعود :

« عليكم بالعلم قبل ان يرفع ، ورفعه موت رواته » .

وقال « إنما العلم بالتعلم » .

* وقال عبدالملك بن مروان لبنيه[9]

« يابني تعلموا العلم فان استغنيتم كان لكم كمالا ، وان افتقرتم كان لكم مالا » .

* وقال سابق البلوي المعروف بالبربري في قصيدة له[10]

العلم فيه حياة للقلوب كما
تحيا البلاد اذا ما مسها المطر
والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه
كما يجلي سواد الظلمة القمر
وليس ذو العلم بالتقوى كجاهلها
ولا البصير كأعمى ماله بصر

* وفي العلم يقول الخليل بن احمد الفراهيدي :

---

(٩) جامع بيان العلم وفضله ـ الجزء الاول ـ للامام ابي عمر يوسف بن عبد البر النمري ـ صححه وراجعه عبدالرحمن محمد عثمان ـ ص ٣٦٨ .

(١٠) نفس المصدر ص ٥٩ .

العلـم يـذكـي عقــولا حــين يصـحبها
وقـد يـزيـدهـا طــول التجــاريـب

وذو التــأدب فــي الجهــال مغتــرب
يـرى ويسمــع ألــوان الاعــاجيـب

* وقال الشريف الجرجاني[11] ان العلم « هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع . وقال الحكماء : هو حصول صورة الشيء في العقل . وقيل : العلم صفة راسخة يدرك بها الكليات والجزئيات » .

* وفي المعجم الوسيط « العلم : مجموعة مسائل واصول كلية تجمعها جهة واحدة »

لقد برز العلماء العرب والمسلمون وذاع صيتهم في مختلف نواحي العالم في مجال العلوم والآداب والفلسفة . فكان منهم الفراهيدي والجاحظ وابن الهيثم وجابر بن حيان والخوارزمي وابن البيطار واولاد شاكر والبتاني وابن وحشية وابن سينا وابن النفيس وابن رشد والادريسي وابن خلدون وغيرهم .

لقد ادخل العلماء العرب إجراء التجارب وقياس المتغيرات فكان لهم السبق بتأسيس علوم الكيمياء والجبر والاجتماع فضلا عن تطويرهم علوم الفلك والطب والهندسة والعلوم الانسانية المختلفة .

٤ ـ تصنيف العلوم في الحضارة العربية الاسلامية :

٤ـ١ الغزالي والعلـم :

يتطرق الامام ابو حامد محمد بن محمد بن احمد الغزالي الى العلم فيقول[12] :

---

(١١) الشريف الجرجاني « كتاب التعريفات » ـ ص ١٦٠ .
(١٢) الغزالي ـ الجزء الاول ـ إحياء علوم الدين ـ ص ٢٦ .

ـ « العلم هو معرفة الشيء على ما هو عليه » •

وقيل[13] « اول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره » •

وقـال[14]:

« غذاء القلب العلم والحكمة كما غذاء الجسد الطعام ، ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به » •

وقـال[15]:

« من الفضائل النفيسة : العلم والعقل : فالعلم يحرسك والعلم يزيد بالانفاق والعلم نافع في كل حال ومطلق ابدا » •

وقـال[16]:

« أن شرف العلم يدرك بشيئين : احدهما بشرف ثمرته والاخر بوثاقة دلالته » •

ـ والعلم عند الغزالي يحصل بالبحث عن حقيقة النفس وماهيتها ، ووجه علاقتها بالبدن ، ووجه خاصيتها التي خلقت لها ، ووجه التذاذه بخاصيته وكماله ، مع معرفة الرذائل المانعة له من كماله[17]•

ـ والعلم عند الغزالي هو اليقين والعلم هو ما يهدي اليه الحس الصادق ، والعلم ما يهدي اليه النص • لهذا حدد مراده من العلم بأنه « الذي ينكشف

(١٣) المصدر نفسه ـ ص ١١ •
(١٤) المصدر نفسه ـ ص ٨ •
(١٥) جامع بيان العلم وفضائله ـ للامام ابن عمر يوسف بن عبد النمري القرطبي المتوفى ٤٦٣هـ • حققه وراجعه عبدالرحمن محمد عثمان ـ ص ٣٠٨ •
(١٦) المصدر نفسه ـ ص٣٥١ •
(١٧) الغزالي ـ ميزان العمل ـ حققه د. سليمان دنيا ـ دار المعارف ـ مصر ـ ١٩٦٤ ـ ص (٨) •

فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريبة ، ولا يقارنه إمكان الغلط ، ولا يتسع القلب بتقدير ذلك ، بل الأمان من الخطأ ينبغي ان يكون مقارنا لليقين »[١٨].

ـ فالغزالي يخرج من ازمة الشك واثقا بالضرورة العقلية فقط وهو يتخذ هذه الضرورة العقلية وسيلته الوحيدة للوصول الى الحقيقة[١٩].

ويقول[٢٠] : « السعادة لا تنال إلا بالعلم والعمل » .

ويقول[٢١] :: « .. اما العلم فليس يخفى دوام العز به ، اذ لا يقبل العزل والابطال بعزل الولاة وابطالهم » .

ـ ويقسم الغزالي العلوم الى ستة اقسام :

١ ـ علوم رياضية : (علوم الحساب والهندسة وهيئة العالم) .

٢ ـ علوم منطقية .

٣ ـ علوم طبيعية (تبحث عن السموات وكواكبها وما تحتها ـ من ماء وهواء وتراب ونار) ـ والاجسام المركبة كالحيوان والنبات والمعادن .

٤ ـ علوم إلهية .

٥ ـ علوم سياسية (فمجموع كلامهم فيها يرجع الى الحكم المصلحية المتعلقة بالامور الدنيوية السلطانية) .

٦ ـ علوم خلقية : (ويرجع اليها حصر صفات النفس واخلاقها وذكر اجناسها وانواعها وكيفية معالجتها ومجاهدتها) .

---

(١٨) المصدر نفسه ـ ص (٥٣) .
(١٩) المصدر نفسه ـ ص (٢٠) .
(٢٠) الغزالي ـ ميزان العمل ـ تحقيق د. سليمان دنيا ـ ص ١٧٩ .
(٢١) المصدر نفسه ـ ص (١٩١) .

٤ ـ ٢ نظـرة الفارابي الى العلـوم :

اذا كان أرسطو يعد المعلم الاول فان الفارابي يعد المعلم الثاني •ويقدم الفارابي في كتابه إحصاء العلوم[٢٢] العلوم في خمسة فصول :

١ ـ علم اللسان : وفروعه من اللغة والنحو والصرف والشعر والكتابة والقراءة•
٢ ـ علم المنطق : المقولات والعبارة والقياس والبرهان والمواضيع الجدلية والحكمة المموهة والخطابة والشعر •
٣ ـ علم التعاليم (الرياضيات) : علم العدد وعلم الهندسة وعلم المناظر (البصريات) ، وعلم الفلك ، والموسيقى ، وعلم الاثقال وعلم الجبل (الميكانيك) •
٤ ـ العلم الالهي (ما بعد الطبيعة) •
٥ ـ العلم المدني : علم الاخلاق وعلم السياسة وعلم الفقه وعلم الكلام •

ويقسم العلوم الى قسمين :

أ ـ قسم تحصل به معرفة الموجودات التي ليس للانسان فعلها وهو العلوم النظرية •

ب ـ قسم تحصل به معرفة الاشياء التي شأنها ان تفعل والقوة على فعل الجميل منها وهو العلوم العملية والفلسفة المدنية •

٤ ـ ٣ إخـوان الصـفا[٢٣] :

يقول إخوان الصفا « الفلسفة اولها محبة العلوم ، واوسطها معرفة حقائق الموجودات ـ بحسب الطاقة الانسانية ـ وآخرها القول والعمل بما يوافق العلم » •

---

(٢٢) الفارابي « إحصاء العلوم » تحقيق د. عثمان امين مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة ـ ١٩٦٨ .

(٢٣) رسائل اخوان الصفا ـ الجزء الاول ـ القاهرة ـ ١٩٣٨ ص ٢٣ .

والعلوم الفلسفية اربعة انواع هي :

١ ــ الرياضيات
٢ ــ المنطقيات
٣ ــ الطبيعيات
٤ ــ الالهيات

٤ ــ ٤ الخوارزمي في مفاتيح العلوم(٢٤) :

يقدم ابو عبدالله محمد ابن احمد بن يوسف الخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٧هـ ــ ٩٩٧م كتاب مفاتيح العلوم المؤلف بين ٣٦٥ــ٣٨١هـ في مقالتين :

الاولى ــ في ستة ابواب : تخص علوم الشريعة وما يتصل بها من العلوم العربية (الفقه والكلام والنحو والكتابة والشعر والعروض والاخبار) .

الثانية ــ في تسعة ابواب وتتناول علوم « العجم » : (الفلسفة والمنطق والطب وعلم العدد والهندسة وعلم النجوم والموسيقى والحيل والكيمياء) .

٤ ــ ٥ ابن سينا ونظرته الى العلوم(٢٥،٢٦)

اتبع ابن سينا اسلوب الفارابي في إحصاء العلوم وبسطه وجعل الحكمة قسمين :

اولا ــ الحكمة النظرية : وتنقسم الى ثلاثة اقسام

١ ــ العلم الطبيعي
٢ ــ العلم الرياضي
٣ ــ العلم الالهي

(٢٤) الخوارزمي ــ « مفاتيح العلوم » طبع فان فلونتن ــ ليدن ــ هولندا ــ ١٨٩٥
(٢٥) ابن سينا « كتاب الشفاء » ــ طهران ــ ١٣٩٣هـ .
(٢٦) ابن سينا ــ « اقسام العلوم العقلية » ــ مجموعة الرسائل ــ طبع الكردي ــ القاهرة ١٣٢٨هـ .

ثانيا ــ الحكمة العلمية ــ وتنقسم الى ثلاثة اقسام

١ ــ علم الاخلاق
٢ ــ علم سياسة المنزل (تدبير الانسان لمنزله) •
٣ ــ علم سياسة المدينة (اصناف السياسات والرياسات والاجتماعات المدنية الفاضلة والفاسدة)

٤ ــ ٦ تقسيم ابن خلدون للعلوم[٢٧] :

في فصل العلوم من مقدمة ابن خلدون المتوفى سنة ٧٨٤هـ ــ ١٣٨٢م تكلم عن علوم الحضارة في عهده كعلوم القرآن والفقه والكلام والتصوف والرياضة والمنطق والطبيعيات والطب والالهيات والسحر والطلسميات •••الخ•

ان اساس تقسيم العلوم عند ابن خلدون لا يختلف كثيرا عن اساسه عند الخوارزمي في مفاتيح العلوم •

٥ ــ تعريف بعض المنظمات للعلم :

تعرفه المنظمات العالمية المعنية بالعلم والتقانة بما يأتي :

٥ ــ ١ منظمة اليونسكو :

تعرف العلم[٢٨] بانه « شروع الجنس البشري في محاولة لاكتشاف سلسلة من العمليات والسيطرة عليها عن طريق الدراسة الموضوعية للظواهر الملحوظة وجمع المعارف الناتجة عن ذلك بشكل منهجي » •

٥ ــ ٢ الاكاديمية الاسلامية للعلوم :

يعرف الدكتور القاضي رئيس الاكاديمية الاسلامية للعلوم السابق العلم بأنه « مجموعة من المعلومات او المعارف المنظمة التي هي نتاج تفكير وتعلم

---

(٢٧) ابن خلدون ــ المقدمة ــ
(٢٨) اليونسكو ــ العلم والتكنولوجيا في تنمية الدول العربية ــ تقرير رقم ٤١.

مستمرين متراكمين تمارسها عقول مستنيرة مفكرة متعددة في العالم . وهو تمرين في تقصي الحقائق متواصل دون هوادة يقدم البيانات الدافعة لمزيد من التفكير » .

٥ ـ ٣ اتحاد مجالس البحث العلمي العربية :

يعرف الاتحاد العلم(٢٩) بانه « نظام المعارف الانسانية المتعلقة بحقائق الوجود وقوانينه ومظاهره التي اكتسبها الانسان او اكتشفها او توصل اليها من خلال مسيرته الحضارية على المدى التاريخي الكامل للحياة البشرية » .

٦ ـ كيف ينظر المجمعيون في العراق الى العلم ؟

في استفسار لاعضاء المجمع العلمي العراقي حول تعريفهم للعلم اجاب بعضهم مشكورا حول مفهومهم للعلم بما يأتي :

١ ـ **الدكتور صالح احمد العلي** : دكتوراه تاريخ ، جامعة اكسفورد ١٩٤٩

« العلم بالمفهوم العام المعاصر هو الحقائق المثبتة بالطريقة العلمية القائمة على الفحص الشامل الدقيق للفرضيات والتثبت من دقة هذه الحقائق واصالتها وانطباقها على كافة الحالات المشابهة » .

٢ ـ **الدكتور عبدالعزيز البسام** : دكتوراه علم النفس ، جامعة لندن ١٩٥٠

يشير الدكتور البسام الى الدلالة اللغوية للعلم في العربية فهو مايراد به الدقة والاتقان وهو نقيض الجهل . ثم يتطرق الى الطبيعة العامة للعلم ومنهجه المعتمد ومحتوى العلم وتطبيقاته ليخلص الى التعريف الاتي :

« العلم نمط متميز من البحث في مسائل الكون والمادة والحياة وبني الانسان افرادا ومجتمعات ، غايته الفهم والمنفعة ، يتجلى تميزه في ماله من منهج ومحتوى وتطبيق .

---

(٢٩) اتحاد مجالس البحث العلمي العربية ـ العلم والتكنولوجيا في الوطن العربي ـ بغداد ـ ١٩٨٢ .

فأما المنهج فيعتمد على ملاحظة الظواهر ولاسيما بالتجارب والقياس الكمي لمتغيراتها ، وباستقرار حالاتها وتمحيص فرضياتها على هدي من الوقائع واستنتاج نتيجة تفسيرها .

أما المحتوى فيتألف مما يتراكم من تلك النتائج يتم التنسيق بينها في منظومات كل منظومة تخص نوعاً من الظواهر ، في معرفة متقنة مرتبة مصنفة بمفاهيمها ومبادئها وقوانينها ونظرياتها ، تتعمق في تفسيرها وتيسر فهمها والتنبؤ عن وقوع مثيلاتها على سبيل الاحتمال والرجحان» .

٣ ــ **الدكتور جميل الملائكة** : دكتوراه هندسة مدنية ، جامعة ايوا ستيت ١٩٤٩

يرى الدكتور الملائكة انه ليس من الصواب محاولة وضع تعريف عام تفصيلي للعلم ينطبق على كل موضوعاته من طبيعية وفلسفية واجتماعية وادبية وشرعية .. الخ .

اما العلم " **Science** " الذي اتخذ للدلالة على الموضوعات الطبيعية الصرف والتطبيقية فيعرفه كما يأتي :

« هو المعرفة المنظمة المستندة الى استقراء المعرفة السابقة ، والى المشاهدة والتجربة ، وجمع المعطيات وتنسيقها ، وتحليلها ، والتوصل الى مبادىء قابلة للتحقيق والتطبيق » .

٤ ــ **الدكتور مسارع الراوي** : دكتوراه ، التربية ــ جامعة كاليفورنيا ــ بيركلي ١٩٥٨

يرى الدكتور الراوي ان العلم من حيث الماهية من الصعوبة تحديده ، الا ان من الممكن التعرف على العلم من حيث سماته ومحتواه وطريقة التوصل اليه .

فالعلم من حيث السمات : هو المعرفة المنظمة والدقيقة المجردة (الموضوعية) التي تم التوصل اليها بالتفكير والبرهان ، اما من حيث

المضمون والميادين فيتمثل العلم بالعلوم الصرفة والتطبيقية والعلـــوم الانسانية والاجتماعية اكتشافا واختراعا .

٥ ـ **الدكتور احمد مطلوب** : دكتوراه ، اللغة العربية ـ جامعة القاهرة ١٩٦٣

يعرف العلم بأنه « الكشـــف عن الحقائق ووضـــع القواعد والاصـــول للعمل بهـــا » .

٦ ـ **الدكتور جعفر ضياء جعفر** : دكتوراه الفيزياء النووية ـ جامعة برمنكهـــام ١٩٦٥

يعرف العلم بأنه « حصيلة الفكر والتجربة البشرية ، المستندة الى اســس منطقية ، الهادفة الى فهم الطبيعة بكافة جوانبها واسلوب تطورها منذ ان خلق الكون ، وقد ينجم عن تطبيق هذا الفهم فوائد شـــتى تستفيد منـــه المجتمعات البشرية لتحقيق اهدافها » .

٧ ـ **الدكتور فخري الحديثي** : طب العيون ـ زميل كلية الجراحين البريطانيـــة ادنبـــرة

يعرف العلـــم بأنه « هو الفكـــر والحكمـــة لمعرفة الـــذات الانســـانية والمحيط الخارجي » .

٨ ـ **الدكتور رياض الدباغ** : دكتوراه ـ هايدرولوجي ـ جامعة لندن ١٩٧٥

عرف العلم بأنه « مجموعـــة الحقائق المنظمـــة والمصـــنفة والخاضـــعة للبرهان التجريبي »

٩ ـ **الاستاذة اميرة نور الدين** : ماجستير ـ الادب العربي ـ جامعة القاهرة ١٩٥٧

تعرف العلم بأنه « المعرفة والتفهم والاستيعاب لاختصاص بعينه ، والعلم ينمو ويتسع ويتطور وعلى المرء ان يواكب نموه واتساعه وتطوره فـــان لم يفعل وقف جامدا ثم تراجع الى الخلف » .

١٠ــ **الدكتور مازن عبدالحميد كاظم** : دكتوراه الهندسة الالكترونية ــ جامعة نوتنكهام ١٩٧١

يذكر الدكتور مازن ان العلم هو « المعرفة والدراية المستعملة بتدبر وتعقل وحكمة » . وهو نقيض الجهل ويستشهد بأبيات من الشعر :

* اذا ما رأى الجهال ذا العلم مائلا ⁂ الى ذي الفتى مالوا اليه وسارعوا
* إني لاخفي من علمي جواهره ⁂ كي لا يرى العلم ذو جهل فيفتتنا
* رب ميت قد صار بالعلم حيا ⁂ ومبقي قد حاز جهلا وغيا
* عرف العالمون فضلك بالعلم ⁂ وقال الجهال بالتقليد

وذكر مختارات شعرية للشافعي في صفات العلم (كما ورد في القسم ــ٣)

١١ــ **الدكتور منذر نعمان بكر** : دكتوراه الهندسة الالكترونية ــ جامعة سلفورد ١٩٧١

يعرف العلم بأنه « منظومة المعرفة الانسانية المرتبطة بحقائق الكون والوجود والقوانين التي تحكمه ومظاهره التي سعى الانسان الى اكتشافها او اكتسابها او التوصل اليها خلال مسيرته الحضارية ومنذ بدء الخليقة » .

١٢ــ **الدكتور هاشم الملاح** : دكتوراه ــ التاريخ الاسلامي ــ جامعة سانت اندروز ١٩٧١

يشير الملاح الى ان مفهوم العلم قد تطور عبر عصور التاريخ ويختلف حسب اختلاف الاختصاص . ويهتدي الى ان « المنهج العلمي قد عرف بانه الملاحظة المنظمة للظواهر التي يراد بحثها وذلك عن طريق الوسائل الحسية والعقلية والتجريبية لاجل اكتشاف العلاقات الداخلية ، ومن ثم الوصول الى القوانين الجزئيية ، واخيرا استنباط نظرية عامة » .

١٣ـ الدكتور عامر سليمان : دكتوراه ـ اللغات السامية ـ جامعة لندن ١٩٦٦

يستنتج الدكتور عامر بان العلم يطلق على مجموع مسائل واصول كلية تجمعها جهة واحدة كعلم الكلام وعلم الارض وعلم الاثار والعلم بالنسبة للمؤرخ والاثاري هو « مجموعة من الحقائق التاريخية والاستنتاجات امكن الوصول اليها بالبحث والتحري والنقد والتدقيق . وهو يسعى بصورة عامة الى معرفة النفس البشرية وما حققته من انجازات » .

١٤ـ الدكتور طه النعيمي : دكتوراه ـ الهندسة الكهربائية ـ جامعة ويلز ـ بانكور ـ ١٩٧٠

لا يتبنى الدكتور النعيمي تعريفا خاصا إنما يستشهد بثلاثة تعاريف : تعريف قاموس « وبستر » : مجموعة المعارف المنظمة والمصاغة والمقبولة بالرجوع الى الاكتشافات والحقائق والقوانين العامة .

- العلم هو « نتائج البحث عن اسرار الطبيعة والقوى المتحكمة فيها بواسطة التجارب والمنطق المتوافق » .
- العلم هو « البحث عن الحقيقة » .
- ويتفق الدكتور النعيمي مع القائلين بتقسيم العلوم الى اربعة تخصصات : العلوم الرياضية ، والعلوم الانسانية ، العلوم الطبيعية ، والعلوم التقنية .

٧ ـ العلم كما يعرفه بعض العلماء الاجانب :

لقد اجرى الدكتور مهدي كولشاني[٣٠] استطلاعا لعدد من الاساتذة والعلماء في العلوم الصرفة وبعض المختصين بدراسة الاديان والفلسفة لمفهوم العلم ، ندرج فيما يأتي خلفية هؤلاء العلماء وإجاباتهم بتصرف :

---

(30) Mehdi Golshanl' Can Science Dispense with Religion - Institute for Humanities and Cultural studies - Tehran - 1998.

٧ ـ ١ ـ اسـاتذة الفيزيـاء :

ـ **الدكتور بـل** (**R. Bell**) فيزياء ذرية ـ جامعة لندن ١٩٧٩

العلم « محاولة شاملة للتحري والتوضيح لحالة محددة ونشاط معين » •

ـ **الدكتور بيوب** (**R. Bube**) ـ فيزياء ـ جامعة برنستون ١٩٥٠ ، اسـتاذ متمرس في جامعة ستانفورد :

« العلم طريقة للحصول على المعرفة بتعليل مفعم بفحص وتفسير يقـوم به الانسان » •

ـ **الدكتور فلجيمز** (**P. Fullgames**) استاذ الفيزياء ـ جامعة برمنكهام

« ان غاية العلم هي تفسير الظواهر الطبيعية بنظريات أثبتت بالملاحظـة والتجـربة » •

ـ **الدكتور كبرسون** (**K. W. Giberson**) ـ فيزياء ـ جامعة رايس ـ تكساس ١٩٨٤

« العلم هو الشيء الذي يتعامل مع نوع من إدعاء الحقيقة التي يدافـع عنها في النهاية بالملاحظات » •

ـ **الدكتور هودكسن** (**P. E. Hodgson**) فيزياء نووية ـ جامعة لندن ١٩٥١ رئيس قسم الفيزياء ـ جامعة اكسفورد :

« العلم هو جميع معلوماتنا المنظمة والمثبوتة عن الطبيعة » •

ـ **الدكتور هبرت** (**J. Hubert**) : دكتوراه فيزياء ـ جامعة جاكليبـون ـ بولندة ، دكتوراه ـ إنسانيات ـ جامعة نانسي ـ فرنسـا ، استاذ الفيزياء ، جامعة كراكور ـ بولندة

« يعتمد العلم على قياسـات وطرق تحر مرئية فيزياويا ويمكن إعـادة قياسها عالميـا • ان هدف العلـم هو اكتسـاب المعرفة عن القوانـين والميكانيكيات التي تحكم العالم الخارجي ولحد ما عالمنا الداخلي » •

ـ **الدكتور بلندل** (**H. Plendl**) دكتوراه ـ فيزياء ـ جامعة ييل ١٩٥٨ ، استاذ الفيزياء ـ جامعة فلوريدا .

« العلم هو محاولة الانسان للاجابة عن تساؤلات اساسية حول تكوين

العالم وخلق الجنس البشري : العلاقة بين الانسان والكون والقوى الموجودة فيه ، مستقبل الكون والبشرية ، وذلك بالملاحظة والتجربة والتعليل الرياضي المنطقي » .

- **الدكتور مظهر محمد قريشي** - دكتوراه فيزياء - مانشستر ١٩٤٩
الامين العام لاكاديمية العلوم الباكستانية

- « معلومات منتظمة عن الطبيعة مبنية على دراسة ظواهر يمكن إعادة الحصول عليها والوصول الى قوانين تتحكم فيها - وفي اسبابها المباشرة - لخدمة الانسان » .

- **الدكتور رج** (K. H. Reich) دكتوراه - فيزياء - جامعة نوتنكهام -
استاذ في عدد من الجامعات الامريكية والالمانية

« العلم هو استثمار الانسان لمحاولة اكتشاف عالم الطبيعة ، واستخدام المعلومات المستخرجة لخدمة الحياة ، ولكن للاسف يمكن ان تحطم الحياة » .

٧ - ٢ - اساتذة الرياضيات :

- **الدكتور جورج الياس** (G. Ellis) دكتوراه في الرياضيات التطبيقية والفيزياء النظرية - جامعة كمبردج ١٩٦٤ - استاذ زائر في عدد من الجامعات.

يعرف العلم بأنه « هو البحث المنظم لفهم هيكل الكون الطبيعي وعمله » .

- **الدكتور فورناس** (J. E. Fornaeess) دكتوراه رياضيات - جامعة واشنطن - سياتل - ١٩٧٤ . استاذ الرياضيات في جامعة مشيكن
« العلم يشرح الكون واجزاءه » .

- **الاستاذ اندري كريب** (A. Grib) رئيس قسم الرياضيات جامعة بطرس برغ (لنينغراد - سابقا) - روسيا .

« هو الحصول التدريجي والمنتظم لمعلومات عن الكون الذي يحيط بنا وعن الانسان » .

- **الدكتور سرجي كريب** (S. Grib) ـ دكتوراه في الرياضيات والفيزياء ـ جامعة لنينغراد ـ ١٩٧٢

« العلم يتعامل مع الطبيعة باستخدام المنطق والاجهزة التي صنعها الانسان . انه معني بدراسة الظواهر الطبيعية واكتشافها » .

- **الاستاذ فلاديمير كاتا سونوف** (V. Katasonov) خريج جامعة موسكو الرسمية عام ١٩٧٦ ، استاذ الرياضيات ، رئيس جامعة ، عضو اكاديمية العلوم الروسية منذ ١٩٨٦

« العلم هو معرفة الحقيقة الهادفة » .

- **الدكتور سمث**(W. Smith)ماجستير فيزياء ـ جامعة بردو ، دكتوراه رياضيات ـ جامعة كولومبيا . استاذ ـ جامعة اويكن الرسمية

« كل علم يمكن تعريفه بخصوصيته ، فهو ليس معني بالطبيعة والحقيقة فحسب ، بل بذلك المستوى من الحقيقة التي يتم التوصل اليها بالملاحظة » .

٧ ـ ٣ ـ اساتذة الكيمياء :

الدكتور ديل ري(G. Del Re) دكتوراه في الكيمياء من جامعة نابولي ـ ايطاليا

« العلم نشاط ذهني وعملي به يطور الانسان نفسه في محيط يجعله قادرا على ان يفهم ما يجري حوله » .

- **الدكتور إيرلي** (J. Earley) دكتوراه في الكيمياء الفيزياوية واللاعضوية جامعة بروان ـ استاذ الكيمياء جامعة جورج تاون ـ واشنطن .

« العلم هو جهود الانسان لفهم الكون الذي نعيش فيه وكيف يعمل هذا الكون » .

ـ **الدكتور زكي كرماني (Z. Kirmani)** ـ دكتوراه من المعهد التكنولوجي نيودلهي ـ ١٩٧٣ ـ مدير مركز الدراسات العلمية اليكره ـ الهند

« العلم هو قيام الانسان بدراسة الاشياء والظواهر بالملاحظات والخبرة للوصول الى اهداف شخصية او عامة » .

٧ ـ ٤ ـ اساتذة علوم الحياة :

ـ **الدكتور نسيم بت (N. Butt)** ـ دكتوراه من جامعة لندن ـ رئيس قسم العلوم ـ اكاديمية الملك فهد ـ لندن ، عضو الاكاديمية الاسلامية للعلوم

« العلم طريقة للبحث عن المعرفة ومستوى اعمق لفهم العالم الفيزياوي والبايولوجي » .

ـ **الاستاذ سيرمونتي G. Sermonti** استاذ الوراثة ، جامعة بالرمو ـ ايطاليا

ـ « العلم يمكن اعتباره طريقة لاكتساب المعرفة » .

٧ ـ ٥ ـ اساتذة باختصاصات مختلفة :

ـ **الدكتور ديفز (E. Davis)** : دكتوراه في تاريخ العلم وفلسفته ـ جامعة انديانة ١٩٨٤

« العلم هو محاولة للسيطرة على الطبيعة وفهمها » .

ـ **الدكتور كندي T. G. Kennedy** دكتوراه في علم الاديان ـ جامعة روما ـ ١٩٨٠

« العلم هو دراسة عالم الطبيعة : عالم الظواهر الفيزياوية والاجتماعية ، ويشمل الاختصاصات الجامعية الحديثة كالفيزياء والكيمياء وعلم الحاسوب وعلوم الحياة وعلم النفس والاقتصاد .. وغيرها من العلوم » .

- **السيد ميشيل بوول** (**M. W. Poole**) - **M.ph.** من جامعة لندن عام ١٩٨٣ في التربية والعلوم الدينية

« العلم هو دراسة منظمة لعالم الطبيعة مستخدما نماذج لتسهيل فهم الظاهرة الطبيعية وشرحها » ٠

- **الدكتور سمث** (**H. Smith**)ـ دكتوراه في فلسفة الدين من جامعة شيكاغو . استاذ الفلسفة في **(M.I.T)**.

« هو العالَم الذي يعتمد على الملاحظة والتجربة » ٠

٧ ـ ٦ ـ العلم بنظر انشتاين(٣١) :

« انه إعادة بناء الوجود في وقت لاحق بواسطة عملية التطور الفكري »٠

الخاتمة

يتضح مما تقدم ان تقسيم العلم وتصنيفه يتطور مع الزمن واكتشافاته فكلما تعمقت الابحاث وتطورت استحدثت تخصصات علمية جديدة وفروع وتصنيفات جديدة ٠

ومهما تقاربت آراء العلماء والمفكرين فيتعريف العلمفان هناك اختلافات واضحة يفرضها الاختصاص الدقيق وخبرة العالم .٠ فنظرة رجال الفقه والدين تختلف عن علماء الفيزياء والكيمياء والرياضيات ٠

وبعد استعراض وجهات نظر عدد من العلماء الى العلم ، هل تم التوصل الى تعريف متفق عليه ؟ لعل تعريف منظمة اليونسكو بوصفها منظمة عالمية تعنى بالثقافة والتربية والعلوم قدمت تعريفا شاملا في الوقت الراهن ، ينظر من الجوانب المختلفة والمتشعبة للعلم ٠٠ هذه الكلمة القديمة المتجددة ، فبالعلم يسعد البشر وبه قد يكون شقاؤه ٠

---

(31) Albert Einstion Science, 23 March 1956

شــكر وتقديــر

يقدم الباحث شكره وتقديره للدكتور احمد مطلوب عضو المجمع العلمي وأمينه العام لتدقيق البحث لغويا ومقترحاته القيمة التي اغنت البحث ، والى زملائه اعضاء المجمع الذين استجابوا لاستفساره حول تعريف العلم .

المصـــــــادر

١ ـ القــرآن الكــريم .
٢ ـ ابن منظور « لسان العرب » .
٣ ـ هاشم الملاح ـ « اقوال مأثورة » ـ اوراق مجمعية ـ العدد ١١ ـ الســنة الثانية ـ المجمع العلمي ـ بغداد ـ تشرين الثاني ١٩٩٩ .
٤ ـ الغزالي ـ « احياء علوم الدين » ـ الجزء الاول .
٥ ـ ديوان الشافعي ـ بيروت ١٩٦٢م .
٦ ـ النمري « جامع بيان العلم وفضيلته » ـ الجزء الاول للامام ابي عمر يوسف بن عبد البر النمري ـ صححه وراجعه عبدالرحمن محمد عثمان .
٧ ـ الشريف الجرجاني ـ « كتاب التعريفات » .
٨ ـ الغزالي ـ « ميزان العمل » ـ حققه د. سليمان دنيا ـ دار المعــارف ـ مصر ١٩٦٤ .
٩ ـ الفارابي « إحصاء العلوم » تحقيق د. عثمان امين ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة ١٩٦٨ .
١٠ـ رسائل اخوان الصفا ـ الجزء الاول ـ القاهرة ـ ١٩٣٨ .
١١ـ الخوارزمي « مفاتيح العلوم » ـ طبع فان فلوتن ـ ليدن ـ هولندا ١٨٩٥ .
١٢ـ ابن سينا « كتاب الشفاء » طهران ١٣٩٣هـ .
١٣ـ ابن سينا « اقسام العلوم العقلية » ـ مجموعة الرسائل طبع الكــردي ـ القاهرة ـ ١٣٢٨هـ .
١٤ـ اليونسكو ـ العلم والتكنولوجيا في تنمية الدول العربية تقرير رقم ٤١ .
١٥ـ اتحاد مجالس البحث العلمي العربية ـ العلم والتكنولوجيا في الوطـــن العربي ـ بغداد ١٩٨٤ .

16- Mehdi Golshani " Can Science Dispense with Religion ? " - Institute for Humanities and Cultural Studies 1998 Tehran
17- Albert Einstion
Science, 23 March 1956

بعض متطلبات إعداد الملاكات الهندسية والتقنية

ا.د. داخل حسن جريو
عضو المجمع العلمي
رئيس الجامعة التكنولوجية

الملخـــص

كانت التكنولوجيا على الدوام المحرك الاساسي لاي تقدم انساني ، وتشير الدراسات الى انه كلما إزداد عدد المهندسين والتقنيين في أي بلد من البلدان كلما إزدادت وتائر التقدم في ذلك البلد ، وتشير تجارب الماضي القريب والبعيد الى ان القوة تكمن بأمتلاك ناصية العلم والتقانة الحديثة ، لـذا ستتناول هذه الدراسة تحديد افضل سبل إعداد الملاكات العلمية (الهندسية والتقنية) لتلبية احتياجات بلادنا المتطلعة الى امتلاك اسباب تقدمها وإزدهارها على وفق رؤية علمية سليمة ، آخذين في الاعتبار تجاربنا الخاصة ، والافـادة من تجارب الاخرين في حقل ميدان التعليم الهندسي والتقني ونحن على اعتاب قرن جديد .

١ ـ مقدمة :

تشير الدراسات الى ان وادي الرافدين كان مهد الهندسة ، كما هو مهد الحضارة الانسانية ، حيث دلت التحريات الاثرية على اعمال هندسة معمارية ومنظومات ري ومياه وطرق وتخطيط مدن متطورة . وقد توصل المهندسون البابليون الى العمليات الحسابية والجبرية الاساسية ، وبذلك تمكنوا من حساب المساحات السطحية والحجوم المختلفة . ومازلنا حتى الان نستعمل القياسات البابلية لحساب الزمن والزوايا . كما استطاعوا تشييد المباني والجسور وشق الطرق وتعبيدها وذلك قبل اكثر من ثلاثة الاف سنة قبل الميلاد . واليوم إذ تبذل بلادنا جهودا حثيثة لاعادة امجادها الحضارية وتبوؤ مكانتها اللائقة بين امم الارض الاكثر رقيا وتقدما ، ولان المهندسين يؤدون دورا مميزا في نهضة اي بلد من البلدان ورقيه حيث اثبتت تجارب الامم انه كلما إزداد عدد المهندسين كماً ونوعاً ، إزداد كذلك تقدم هذه الامم في مجالات الحياة المختلفة . لذا ستسلط هذه الدراسة الضوء على افضل سبل الملاكات الهندسية والتقنية ووسائلها ومتطلباتها واعدادها لاسيما ونحن على اعتاب قرن جديد باتت فيه العلوم والتقانة تؤدي دورا اكثر من اي وقت مضى في دفع عجلة التقدم لاي بلد من البلدان .

والهندسة كما هو معروف مهنة شأنها شأن المهن الاخرى تتطلب درجة عالية من المهارة لا يمكن اكتسابها إلا من خلال التجربة والمران الواسعين ، وهي مهنة تستند في الوقت نفسه الى العلوم والمعارف التقنية بدرجة كبيرة الامر الذي يتطلب الالمام بها واستيعابها ومواكبة مستجداتها وتنمية القدرة على توظيفها بصورة مبدعة وخلاقة في انجاز الاعمال والمشاريع الهندسية

المختلفة • وحيث ان الهندسة تعد احد اهم مرتكزات الصناعة في عصرنا الراهن التي تشهد تنافسا شديدا لتصريف منتوجاتها المختلفة في الاسواق المحلية والدولية على حد سواء ، لذا يتطلب الامر كذلك إعداد الملاكات الهندسية بحيث تكون قادرة على فهم آليات السوق ومبادىء الاقتصاد وادارة الاعمال اذ لم تعد المهارات الهندسية واكتساب المعارف الهندسية وحدها تكفي لنجاح المهندسين بأدائهم لاعمالهم • وباتت المهنة الهندسية تتسم بشفافية عالية ولها انعكاسات مهمة بتدمير البيئة البشرية او الحفاظ عليها من التلوث الذي يمكن ان تنجم عنه اضرار بالغة بالحياة الانسانية الامر الذي يتطلب مراعاتها في برامج الدراسات الهندسية ، وقبل هذا وذاك ينبغي ان تستجيب برامج الدراسات الهندسية لتلبية احتياجات الناس الاساسية التي تضمن لهم حياة انسانية كريمة ، وان لا تكون اداة للعدوان وسلب حقوق الاخرين وثرواتهم • وهذا يتطلب مزاوجة برامج الدراسات الهندسية بمفردات مواضيع انسانية وحضارية متطورة • ستتناول هذه الدراسة في البنود اللاحقة بعض متطلبات إعداد الملاكات الهندسية والتقنية على وفق منظور انساني وحضاري بحيث تجمع برامج الدراسات الهندسية مفردات المهارات التقنية ومستجدات العلوم الهندسية وبعض مفردات العلوم الانسانية والعلوم الادارية والاقتصادية وعلوم البيئة وتقنياتها لتخريج ملاكات هندسية متكاملة علما وخلقا ومتفهمة لاحتياجات بلدانها على وفق رؤية انسانية نبيلة •

٢ ـ مهام المهندس :

يقوم المهندس عادة بتشخيص المعضلات التقنية وحلها بتطبيق المبادىء والاسس العلمية بمهارة عالية لايجاد الحلول الناجعة في المكان والزمان المطلوبين وبتكاليف اقتصادية مناسبة وبأسعار تنافسية مع الاخرين • لذا ينبغي ان يكون المهندس عالما واقتصاديا ومبدعا ومواكبا لتطور العلوم والمعارف وقادرا على

استشراف آفاق المستقبل ، الامر الذي يعني حتما امتلاكه لخيال خصب وحس مرهف ومعرفة واسعة بالعلوم الهندسية وبما انجزه من سبقوه وما ينجزه معاصروه لضمان تفوقه وبالتالي تفوق مؤسسته التي يعمل فيها وربما تفوق بلده في عالم تشتد فيه المنافسة في الاسواق العالمية لتصريف السلع والبضائع والمنتوجات الصناعية المختلفة لتأمين مستويات معيشية افضل لمواطنيها • وفي ضوء ما تقدم يمكن ايجاز مهام المهندس بالاتي :ـ

١ ــ التصميم **Design**

٢ ــ الانتاج **Production**

٣ ــ التشغيل **Operation**

٤ ــ الاستشارة **Consultation**

٥ ــ الادارة **Management**

٦ ــ البيع **Sales**

٧ ــ البحث **Research**

٨ ــ التطوير **Developmment**

ولابد من ان نشير هنا الى ضرورة التمييز بين مهام المهندس **engineer** والتقني **technologist** بوضوح استنادا الى طبيعة إعداد كل منهما ومهامهما كما سيوضح ذلك في البند اللاحق من هذه الدراسة •

٣ ــ الدراسات الهندسية والتكنولوجية :

يحتدم الجدل في الاوساط الهندسية والتكنولوجية في انحاء عديدة في العالم حول مفاهيم الهندسة **engineering** والتكنولوجيا **technology** حيث تؤدي الدراسات الهندسية الى تخريج مهندسين يتسم عملهم بدرجة عالية من الابداع والابتكار ، وتؤدي الدراسات التكنولوجية الى تخريج تقنيين يتسم عملهم بصورة عامة بتشغيل الاجهزة والمعدات التكنولوجية وصيانتها • ويوضح الجدول (١) اهم سمات الدراسات

(١)

سمات الدراسات الهندسية والدراسات التكنولوجية

خصائص الدراسات الهندسية	خصائص الدراسات التكنولوجية
١ ـ تركز الدراسات الهندسية على تنمية القدرات التحليلية والابداعية للطالب بدرجة اكبر بهدف ايجاد الحلول المناسبة للمشكلات الهندسية .	١ ـ تركز الدراسات التكنولوجية على تدريب الطالب بدرجة اكبر لاكتساب المهارات لحل المشكلات التكنولوجية .
٢ ـ تطوير المفاهيم الهندسية .	٢ ـ تطوير المهارات .
٣ ـ التعرف على مبادىء التصاميم الهندسية العامة .	٣ ـ الاستفادة من التصاميم شائعة الاستعمال في الصناعة لاغراض التعليم التكنولوجي .
٤ ـ اعتماد التخصصات الهندسية العامة .	٤ ـ اعتماد التخصصات الهندسية الفرعية .
٥ ـ يقوم المهندس بأيجاد الطرق الجديدة لحل المشكلات الهندسية .	٥ ـ يطبق التكنولوجي الطرق المعروفة لحل المشكلات التكنولوجية .
٦ ـ تهتم الدراسات الهندسية بالجوانب النظرية لجميع المقررات الدراسية .	٦ ـ تهتم الدراسات التكنولوجية بالجوانب العملية .
٧ ـ يترجم المهندس معلوماته الاساسية في العلوم والرياضيات الى منتوجات وعمليات صناعية ومنظومات ومواد مختلفة .	٧ ـ يقوم التكنولوجي بأسناد دور المهندس في اثناء إعداد التصاميم لتهيئة المخططات الهندسية وتهيئة المعدات واعمال الصيانة وغيرها .
٨ ـ يحتاج المهندس فترة تدريب اكبر قبل توليه مهامه الهندسية .	٨ ـ بأمكان التكنولوجي ممارسة مهامه العملية بعد التخرج مباشرة .
٩ ـ بامكان المهندس تولى مهام فنية ادارية .	٩ ـ بأمكان التكنولوجي تولي مهام اشراف صناعية .

ويتم اعداد المهندسين والتقنيين والفنيين والعمال المهرة على وفق هيكل هرمي يمثل قاعدته الواسعة عدد العمال المهرة المطلوبين في كل فريق تقني مقابل كل مهندس يمثله رأس الهرم • ويلي العمال المهرة في السلم الهرمي الفنيون ثم التقنيون وتختلف نسبة المهندسين الى التقنيين الى الفنيين الى العمال المهرة من بلد الى آخر تبعا لدرجة التطور العلمي والتكنولوجي • ويعتقد ان نسبة (١) مهندس الى (٥) تقنيين الى (١٥) فنيا الى (٣٠) عاملا ماهرا نسبة مقبولة في معظم التخصصات الهندسية والتكنولوجية في معظم اقطار العالم • الا انه يلاحظ ان الهيكل الهرمي للفريق التقني مقلوب رأسا على عقب في العديد من الاقطار النامية ، اي انه في احسن الاحوال لا تختلف سعة قاعدته عن سعة رأسه كثيرا الامر الذي يؤدي الى تحميل المهندسين القيام باعمال التقنيين والفنيين •

٤ ـ فلسفة التعليم الهندسي :ـ

يهدف التعليم الهندسي الى إعداد مهندسين مسلحين بالعلم والمعرفة الواسعة في حقل التخصص ، وملمين بالاساليب العلمية الحديثة في التحليل والتفكير ، ومتفهمين للابعاد الانسانية للمهنة الهندسية ، وقادرين على تحويل المعطيات النظرية العلمية الى واقع عملي عبر التصاميم الهندسية التي يتجلى فيها الخلق والابداع ، وتوظيفها لصالح التنمية والتقدم الانساني في مناحي الحياة المختلفة ، ومواكبة آخر مستجدات العلوم والتقانة الحديثة بهدف الاستفادة منها ، لذا تعد المناهج الدراسية كي يتمكن الطالب من الالمام بالمبادىء والاسس العلمية الهندسية التي تستند اليها المهارات الهندسية • وحيث ان الهندسة اليوم هي علم ومهنة في آن واحد تتجلى فيها المعرفة العلمية التي لا تكفي بحد ذاتها مالم يصاحبها قدر معين من الخلق والابداع والمهارة الهندسية • ولكي يحقق التعليم الهندسي اهدافه لابد من ان يستند الى فلسفة تعليمية واضحة يمكن ابراز اهم سماتها بالاتي [٢] :ـ

١ ـ إعداد الشخصية الهندسية المتكاملة والمتوازنة فكرا وعلما وخلقا والملمة باحتياجات المجتمع والمدركة لطموحاته وحقه المشروع في الرقي والتقدم .

٢ ـ لا يمكن تحقيق نهضة شاملة لاي بلد ما لم يصحب ذلك تهيئة قاعدة تقنية صلبة تستند اليها هذه النهضة ذلك ان التقنية هي المحـرك الاساسي لاي تقدم انساني اذ تشير الدراسات الى انه كلما ازداد عدد المهندسين كلمـا أزدادت فرص التقدم والعكس صحيح تماما .

٣ ـ أن تكون محتويات المناهج الدراسية مواكبة لحركة تطور العلوم الهندسية وملبية لاحتياجات حقل العمل بصورة فاعلة ومؤثرة وان لا تكون مجرد تكرار مطابق لمثيلاتها التي تدرس في الجامعات الاخرى .

٤ ـ تنمية قدرات الطالب المنطقية والتحليلية واستقراء الحقائق وتوظيفها فيما يمكن تحويله الى اعمال هندسية مفيدة .

٥ ـ تنمية قدرات الطالب على التعلم الذاتي والتعلم المستمر لمواكبة التطورات العلمية والتقنية اولا باول .

٦ ـ تنمية روح العمل الجماعي لدى الطالب مع الحفاظ على روح المبـادرة الفردية والمنافسة بين اعضاء الفريق الهندسي وابراز دور القائد العلـمي في اطار العمل الهندسي الجماعي .

٧ ـ اكساب الطالب المهارات العملية وتنمية قدراته لربط المعطيات النظريـة بالوقائع العملية بصورة فاعلة ومؤثرة .

٨ ـ إدراك الطالب اهمية عنصري الزمن والكلفة عند تنفيذ المشاريع الهندسية من دون المساس بجودة المنتوج او مواصفات المشروع .

٩ ـ تنمية قدرات الطالب لتشغيل الاجهزة والمعـدات الهندسية وادامتهـا وصيانتها بصورة مباشرة او بتوجيه آخرين تحت اشرافهم .

١٠ ـ استناد التعليم الهندسي الى التدريب العملي في المؤسسات الصناعية .

من ذلك يتضح ان التعليم الهندسي كي يحقق اهدافه بنجاح لابد من ان تراعى فيه اعتبارات علمية وتقنية ومهنية وانسانية بغية إعداد المهندس الكفوء القادر على التعامل المبدع والخلاق مع حركة تطور العلوم والتقانة الحديثة وتطويعها لصالح تطور المجتمع باتجاه تحقيق رفاهيته • ومنذ منتصف عقد السبعينات بعد ان جنى العراق ثمرة نضاله الدؤوب بتأميم ثروته النفطية والعراق يشهد نهضة شاملة في جميع المجالات وعلى جميع الاصعدة • ولان العراق اختط لنفسه نهجا مستقلا راح يطرق ابواب العلم والتقانة بقوة ويسعى بجد ومثابرة لتوظيفها لصالح تقدم العراق والامة العربية ، الامر الذي افزع الدول الاستعمارية وافقدها صوابها الى الحد الذي شنت فيه اكبر حرب عدوانية في التاريخ الحديث ضد شعب مسالم آمن تحت ذرائع وحجج واهية ، مستهدفة حقيقة مشروع العراق النهضوي والحضاري وايقاف مسيرة تقدمه العلمي والتقني • وما الحصار الظالم المفروض على القطر منذ اكثر من عشر سنوات تحت لافتة الشرعية الدولية وقرارات مجلس الامن الدولي إلا شكل آخر من اشكال العدوان السافر بلا اي مسوغ قانوني على الاطلاق ، وعلى الرغم من كل ذلك يواصل عراقنا العظيم مسيرته العلمية والتقنية بشموخ واباء •

وما تجربة البناء والاعمار التي حققها العراق في ظروف صعبة جدا حيث الموارد النادرة والشحيحة إلا دليل ساطع على عظمة العراق واصرار شعبه على العيش الكريم وتحقيق كل اسباب نهضته وتقدمه • لقد ادى المهندسون العراقيون دورا بارزا في إعادة الاعمار والبناء الامر الذي يؤشر حتما صحة فلسفة التعليم الهندسي العراقي وجودته وتمييزه •

٥ ـ النظـام الدراسـي :ـ

يعد نظام الساعات الدراسية المعتمدة افضل النظم الدراسية لتأهيل طلبة الدراسات الهندسية والتقنية في الوقت الحاضر لما يتصف بمزايا جيدة يمكن ايجازها بالاتي :ـ

١ ـ يتيح هذا النظام للطلبة النابهين فرصة أكمال دراستهم وتحصيلهم العلمي في وقت مبكر قياسا الى النظم الدراسية الاخرى من دون المساس بالمستوى العلمي للطلبة وذلك بالاستفادة من الفصل الدراسي الصيفي الذي تتوقف فيه التدريسات والنظم الدراسية الاخرى ، اي ان بأمكان الطالب التخرج من الجامعة بأقل من اربع سنوات إن رغب في ذلك • كما يتيح هذا النظام للطالب المجد والراغب في تعميق اختصاصه ان يتجاوز الحد الادنى من الوحدات اللازمة للتخرج ان رغب في تعميق اختصاصه الاساسي او لزيادة معرفته باختصاص آخر •

٢ ـ يحقق نظام الساعات المعتمدة صيغة فعالة لتوثيق العلاقة بين الطالب والتدريسي من خلال نظام الاشراف المستمر من قبل التدريسي المشرف على مسيرة الطالب الدراسية مما سيكون له الاثر الجيد في العملية التعليمية والتربوية •

٣ ـ يسمح نظام الساعات المعتمدة للطالب باختيار الاختصاص الذي يناسبه ويوسع معرفته في مجالات اخرى مما يساعد على بناء شخصية الطالب بالمبادرة وتحمل المسؤولية من خلال مشاركته باختيار البرنامج الدراسي•

٤ ـ يتجاوز هذا النظام المشاكل المعتادة في النظم الاخرى بالنسبة لغيابات الطلبة وإنتظام الدوام على مدار العام وامتحانات الدور الثاني ، الامر الذي يساعد على خلق حياة جامعية سليمة قائمة على المودة والاحترام المتبادل والتفاعل بين الطلبة والتدريسيين •

أما أبرز معوقات النظام يمكن ايجازها بالاتي :ـ

١ ـ يتطلب النظام ملاكا تدريسيا ووظيفيا بكفاءة عالية كماً ونوعاً قياساً على النظم الدراسية الاخرى •

٢ ـ يتطلب النظام توافر قاعات دراسية اكثر •

٣ ـ يتطلب النظام حملة تثقيفية واسعة لتفهم سبل تطبيقه بصورة صحيحة لتحقيق الاهداف المتوخاة منه •

٤ ـ قد يتعذر الاستفادة التامة من الفصل الدراسي الصيفي في العديد من الجامعات بسبب حرارة الجو •

وتظرا لما لنظام الساعات المعتمدة من مزايا وخصائص ممتازة بما يوفره من فرص تعليمية افضل نحو تكوين الشخصية العلمية المتخصصة للطالب وتلبية احتياجات المجتمع ومستلزمات تطويره لاتسامه بمرونة عالية في المنهج والتطبيق وخلق مفردات بيئة جامعية سليمة تسودها المودة والاحترام بين الطلبة والتدريسيين والفهم المشترك لمتطلبات العملية التعليمية في اطار الرصانة العلمية • لهذا ينبغي بذل جهود اكبر تتجاوز معوقات تطبيقية باسرع وقت ممكن •

٦ ـ بعض متطلبات إعداد الملاكات الهندسية :ـ

يهدف التعليم الهندسي الى إعداد مهندسين مسلحين بالعلم والمعرفة الواسعة وملمين بالاساليب العلمية الحديثة في التحليل والتفكير ومتفهمين للقيم الانسانية النبيلة وبما يمكنهم من ترجمة النظريات العلمية الى واقع عملي في التصاميم الهندسية بصورة مبدعة وخلاقة لصالح الانسان ورفاهيته• ولاجل تحقيق ذلك لابد ان تعد البرامج الدراسية الهندسية بحيث يراعى ما يأتي :ـ

٦ ـ ١ ـ المناهج الدراسية ـ

ينبغي ان تكون محتويات المناهج الدراسية الهندسية مواكبة لحركة تطور العلوم الهندسية وملبية لاحتياجات المجتمع الحالية والمستقبلية ، ويراعى في ذلك التسلسل المنطقي والطبيعي للمواد الدراسية وربط الجوانب النظرية بالجوانب التطبيقية مع تحديد نسب الدروس النظرية الى الدروس العملية ، ونسب المواد الاساسية والتخصصية حسب طبيعة كل تخصص ، فضلا عن المواد الانسانية لتوسيع دائرة الاعداد العلمي والثقافي والحضاري للطالب . وتعد النسب المبينة في الجدول (٢) نسبا مقبولة لهذه المفردات في الاوساط التعليمية الهندسية .

جـدول (٢)

نسبة مكونات المنهج الدراسي الهندسي

مكونات المنهج	النسبة المئوية		عدد وحدات التخرج	مجموع ساعات الدراسة الكلية	عدد سنوات الدراسة
	الحد الادنى	الحد الاعلى			
العلوم الهندسية الاساسية	٢٥	٤٠	١٥٠ ـ ١٦٠ في جميع التخصصات عدا الهندسة المعمارية ١٨٠ وحدة	٣٥٠٠ـ٤٥٠٠ في جميع التخصصات عدا الهندسة المعمارية ٤٥٠٠ ـ ٥٥٠٠ ساعة	٤ ـ ٥ او ٨ ـ ١٠ فصول دراسية عدا الهندسة المعمارية ٥ ـ ٦ سنوات او ١٠ ـ ١٢ فصل دراسي
العلوم الهندسية التخصصية	٢٠	٣٠			
العلوم الانسانية	٥	١٥			
التطبيقات الهندسية	٢٥	٤٠			
المحاضرات النظرية	٤٠	٦٠			
التمارين	١٠	٣٠			
المختبرات والمشاغل	٢٠	٤٠			

ويراعى في اعداد المناهج الدراسية ضمان مشاركة الطالب الفاعلة في المناقشة والتتبع والاستقراء والتحليل بدلا من الحفظ واسترجاع المادة العلمية بصورة علمية • ولهذا الغرض يجب اعتماد طرائق التدريس الحديثة والاساليب التربوية المتطورة التي تعزز الثقة بين المعلم والمتعلم في جو من الالفة والمودة • وان تكون مفردات المناهج الدراسية مرنة بما يكفي للاستجابة السريعة لمتطلبات المؤسسات الصناعية المختلفة من جهة ، ومستجدات العلوم الهندسية من جهة اخرى •

٦ ـ ٢ ـ الدروس العلمية ـ

ولغرض اكساب الطالب المهارات العلمية وربط النظرية بالتطبيق بصورة فاعلة ومؤثرة ، نرى ضرورة توصيف العمل المختبري بدقة ووضوح تام بحيث تعكس التجارب المختبرية المقرر اجراؤها من قبل الطلبة اخر مستجدات العلوم والتطورات العلمية والتكنولوجية في موضوعات هذه التجارب ، وان تكون هذه التجارب على شكل مجاميع ، تشكل كل مجموعة منها موضوعا معينا او منظومة معينة مؤلفة من عدة تجارب مترابطة وذات صلة ببعضها ضمن موضوعها • ويراعي في اعداد التجارب ان يكون الطالب العنصر الفاعل بتنفيذها وبما يعزز قدراته على التحليل والاستقراء ، واجراء القياسات الصحيحة واستخراج البيانات المطلوبة ، واعتماد الحقائق العلمية وتوظيفها في حل المعضلات الهندسية والتكنولوجية بصورة منطقية وعملية ، فضلا عن تنمية قدرات الطالب وتمكينه من كتابة التقارير العلمية بصورة سهلة وبسيطة • وثمة مسألة اخرى جديرة بالاهتمام هي ان لا تصمم جميع التجارب المختبرية ضمن توقيتات ثابتة ومحددة كما هو مطبق حاليا بحيث لا تزيد عن ثلاث ساعات في جميع الاحوال وكأنها قدر محتوم ، وانما يفضل ان تصمم التجارب في الصفوف المنتهية لاكثر من ثلاث ساعات كأن يكون بعضها تسع ساعات او اكثر بحيث يقضي الطالب يوما كاملا او اكثر في المختبر ، وبذلك يتعود على

اجواء العمل العلمي من جهة ، وعلى ترابط الموضوعات العلمية عبر سلسلة تجارب مختلفة تشكل قضية علمية معينة يستغرق انجازها ساعات طويلة نسبيا قياسا لما متعارف عليه في سنوات دراسته الاولى ، وبذلك نكون قد مهدنا له الدخول في عالم الابحاث العلمية منذ وقت مبكر والتعود على اجراء العمل العلمي •

٦ ـ ٣ ـ التصاميم الهندسية ـ

وحيث أن التصاميم الهندسية تشكل ركنا اساسيا في الاعمال الهندسية والتقنية ، لابد اذن من ان يلم الطالب بمبادىء التصاميم الهندسية بهدف تطوير قدراته في المبادرة والخلق والابداع والابتكار ، واخذ عاملي الكلفة والزمن بالحسبان عند تنفيذ المشاريع الهندسية ذلك ان الزمن يعد هو الاخر كلفة تترتب عليه خسائر مالية اذا لم تنفذ التصاميم وتنجز المشاريع في مواعيدها ، فالتصميم هو عملية اتخاذ قرارات بأستخدام اساسيات العلوم والرياضيات والعلوم الهندسية والمهارات التقنية لتحقيق الاهداف المنشودة • ومن عناصر التصميم الهندسي الاساسية تحديد الاهداف والمعايير وسبل التنفيذ والتحليل والاختبار والتقويم وتحديد الكلفة والتقييد بعامل الزمن وحيث ان الحواسيب والتصاميم باستخدام الحواسيب اصبحت حالة مألوفة في الاوساط الهندسية والتقنية لذا فأن هناك ضرورة ملحة لاعادة النظر بوسائل اعداد المهندسين بحيث يعطي اهتماما اكبر لعناصر الابداع وادارة المشاريع والتصاميم بأسناد الحواسيب الالكترونية ، وان يمتلك المهندس رؤية هندسية وتقنية واضحة جدا وان يمتلك ادوات التصاميم الراقية ومهاراتها للتصدي للمشاكل الهندسية والتقنية وايجاد الحلول المناسبة لها بكفاءة وفاعلية عالية في ظروف عمل وبيئات صناعية سريعة التغيير وشديدة المنافسة •

٦ ـ ٤ ـ الدروس الانسانية ـ

ولابد من ان يعد الطالب اعداد انسانيا يدرك من خلاله اهمية تخصصه الهندسي في تحقيق النهضة الشاملة لبلده وامته ، حيث يتوقع في هذا القرن توغل التقنية في جميع مناحي الحياة ، وبالتالي ازدياد تأثيرها في مفردات الحياة اليومية الاعتيادية لاي منا . لابد اذن من ان يدرك المهندس ابعاد هذه التقنية وتأثيراتها المختلفة في البيئة والمجتمع واختيار ما يناسب مجتمعه ويلبي احتياجات شعبه وتطلعات امته في التقدم والرقي ، الامر الذي يتطلب معرفة تراث امته وحضارتها لتأكيد هويته الوطنية والقومية . وادراك اهمية دوره في عملية التنمية بمفهومها الواسع والشامل لتأمين المكانة اللائقة لبلاده لتكون في طليعة الركب العلمي والحضاري . ولتحقيق هذه الغاية لابد من ان تتضمن المناهج الدراسية الهندسية مواضيع دراسية في العلوم السياسية والعلوم الاقتصادية والعلوم الاجتماعية والعلوم الادارية ، وفي الفلسفة والحضارة بهذا القدر او ذاك للمساعدة في بناء شخصية الطالب المتوازنة علما وخلقا وادبا . كما يرى بعضهم ان دراسة اللغة القومية والادب القومي وتراث الامة تساعد هي الاخرى في بناء هذه الشخصية . فعلى سبيل المثال تعطي بعض الجامعات الامريكية دروسا بعنوان الدستور الامريكي او التاريخ الامريكي او الديمقراطية الامريكية ، وتقدم اغلب هذه المواد في السنتين الاوليين من الدراسة الجامعية ، وتعطي الجامعات الروسية دروسا في اللغة والادب الروسي كدروس تحقق الناحية النظرية في تربية الطالب الجامعي . تقدم بعض الجامعات دروسا في علم النفس او الفلسفة او الادب العالمي او الفنون الجميلة كالتصوير او تذوق الموسيقى ، وترى في هذه الدروس وسيلة لكي يقدر الطالب ما قدمته الثقافات الانسانية المختلفة ، الى جانب ان هذه الفنون تشبع الناحية الانسانية المشتركة وبذا تغذي النزعة الانسانية عنده . وتقدم كثير من الجامعات لغة اجنبية وسيلة للتعرف على ثقافات الامم وحضاراتها المختلفة .

تقـدم بعض الجامعـات العربيـة دروسـا في تاريخ الحضـارة الاسلامية والادب العربي وتاريخ العلوم عنـد العرب وعلـم النفس وعلـم الاجتماع والثقافة القومية والثقافة الاسلامية والتربية الرياضية ومبادىء في السياسـة ومبادىء في الفلسفة ومدخل للفن وتاريخـه ومبادىء في الادارة ومبادىء في الاقتصاد ومبادىء في الحضارة والفكر والثقافة الاسلامية [٣] • وتتطلـب الجامعات من الطلبة اختيار عدد مناسب من هذه الدروس كجزء من متطلبات الحصول على الشهادة الجامعية الهندسية • وفي ضوء ما تقدم يتضح جليا ان مناهج الدراسات الهندسية والتقنية بحاجة ماسة جدا الى تطعيمها بمـــواد دراسية في تخصصات انسانية عديدة وعدم الاكتفاء بتدريس مادة الثقـــافة القومية التي يجري تدريسها حاليا في جميع التخصصات الدراسية الجامعية •

٦ ـ ٥ ـ مشروع التخرج ـ

يطالب عادة طلبة الصفوف المنتهية في الدراســات الهندســية والتقنيــة بانجاز مشاريع هندسية كجزء من متطلبات التخرج ، الا انه يلاحظ ضــعف الاهتمام بهذه المشاريع لاسباب عديدة ، ابرزها كثرة عدد الطلبة قياسا الــى عدد اعضاء الهيئة التدريســية الامر الذي ينجـم عنه تكليف عضــو الهيئة التدريسية بالاشراف على عدد كبير نسبيا لاسيما ان اغلب اعضاء الهيئــة التدريسية مثقلون بواجبات واعباء تدريسية وادارية عديدة ، وكذلك ضعف الامكانات المادية المتاحة من اجهزة ومعدات وكتب ولوازم دراسية التي جميعها تؤثر سلبا بانجاز هــذه المشاريــع • ونتيجة لذلك فقد تحولت معظم هــذه المشاريع الى دراسات نظرية او دراسات قوامها البرامج الحاسوبية الى حــد كبير • وفي احسن الاحوال فان المناهج الدراسية الهندسية والتقنية لم تخصص اساسا الوقت الكافي لانجاز مشاريع هندسية حقيقية طبقا لمتطلبات التخــرج التي يفترض ان تتجلى فيها قدرات الطالب الهندسية العلمية والابداعية علــى حد سواء • ولمعالجة هذه الحالة يفترض ابتداءً تخصيص ما لا يقل عن فصــل

دراسي كامل يفضل ان يكون الفصل الدراسي الثاني من السنة الاخيرة لدراسة الطالب ، يتفرغ فيه الطالب تماما لانجاز المشروع • وان يعطى ثقلا اكبر لوحدات المشروع بما لا يقل عن مجموع وحدات دروس فصل دراسي كامل ، وبذلك يأخذ المشروع استحقاقه في احتساب معدل تخرج الطالب • وفي هذه الحالة يطالب الطالب بتقديم تقرير عن مشروعه ومناقشته من قبل مختصين • ويفضل ان يتناول المشروع مشكلات او معضلات حقيقية من حقل العمل وربما تحت اشراف مشترك من اعضاء الهيئة التدريسية وكبار المهندسين من حقل العمل • ولعل من المفيد ان نشير هنا الى تجارب بعض الجامعات البريطانية بهذا الصدد حيث خصصت السنة المنتهية بأكملها لانجاز المشروع الهندسي في مؤسسة صناعية ، يمنح بعدها الخريج شهادة الماجستير في الهندسة في موضوع تخصصه المعروفة اختصارا .M.Eng واعتبار هذه الشهادة شهادة جامعية اولية في التخصصات الهندسية ، ويمنح الطلبة الاخرون الذين تقل مدة دراستهم سنة دراسية كاملة عن هؤلاء الطلبة شهادة البكالوريوس المتعارف عليها التي يعبر عنها اختصارا .B.Eng ان الشهادتين الممنوحتين تعد كل منهما شهادة جامعية اولية ، الا ان الشهادة الاولى شهادة هندسية ذات توجهات صناعية • ويمكن ايضا تكليف الطلبة في مشاريع هندسية جماعية تعرف باسم المشروع الجماعي group project ، ينجز كل مشروع من قبل اربعة طلبة او خمسة تحت اشراف عضو هيئة تدريسية • ويتناول كل مشروع مشكلة او معضلة تقنية ذات طبيعة يتطلب حلها تضافر جهود فريق من الطلبة وليس جهد طالب واحد فقط ، وذلك لتعويد الطلبة على روح العمل الجماعي والتواصل العلمي فيما بينهم بهدف تكامل جهودهم لانجاز هدف محدد بصيغة مشروع معين كما هي في الغالب طبيعة الاعمال الهندسية ، وتقديم تقرير موحد بذلك • ويعد المشروع الجماعي احد متطلبات التخرج ولكن بدرجة اقل اهمية من المشروع الانفرادي •

٦ ـ ٦ ـ التدريب العملي ـ

اولت الجامعات التعليم الهندسي والتقني المستند الى التدريب العملي في المؤسسات الصناعية اهمية كبيرة ، وقد تمثل ذلك بقضاء الطالب فترات معينة للتدريب خلال العطل الصيفية على وفق برامج معدة لهذا الغرض بالتنسيق بين الجامعة وحقل العمل . ولا يعد الطالب متخرجا الا بعد أستيفائه متطلبات التدريب بنجاح . وقد ذهبت بعض الجامعات ابعد من ذلك حيث الزمت الطالب بقضاء سنة عمل كاملة في احدى المؤسسات الصناعية قبل منحه شهادة التخرج، واعتمدت بعض الجامعات نظام التعليم المتناوب الى جانب نظامها التعليمي التقليدي ، حيث يقضي الطالب نصف مدة دراسته بالتدريب العملي في احدى المؤسسات الصناعية ، وفي جميع الاحوال يجب ان لا تقل مدة التدريب عن ثلاثة شهور في حقل العمل بصرف النظر عن النظام الدراسي المعتمد .

يهدف التدريب العملي الى استكمال تأهيل الطالب بالتطبيق العملي في المؤسسات الصناعية وتعريفهم بظروف العمل وطبيعته في البيئة الصناعية والانتاجية بهدف غرس روح حب العمل لديهم وتنمية السلوك المهني الخاص بالعمل وزرع الثقة بالنفس من خلال المساهمة في العملية الانتاجية وضبط النفس واحترام نظم العمل . لذا يتطلب الامر ايلاء التدريب اهمية خاصة والعمل بكل الوسائل على انجاحه وتحقيق اهدافه ، وان لا يكون هذا التدريب مجرد ممارسة شكلية لاستكمال متطلبات التخرج ، وان تعنى الجامعات بشؤونه بأستحداث دائرة متخصصة بالتدريب وبناء قاعدة معلومات بالمؤسسات الصناعية لتأشير قدراتها التدريبية وبرامجها المعدة لهذا الغرض ودرجة تعاونها مع الجامعات ، ان مناهج التعليم الهندسي المرتبطة بالتدريب العملي تحسن فرصة العمل امام الخريجين دون شك .

٦ ـ ٧ ـ التعلم الذاتي ـ

من المسلم به ان من اهداف التعليم الهندسي والتكنولوجي هو بناء قاعدة تكنولوجية صلبة يستند اليها الطالب عند تخرجه ومزاولته المهنة الهندسية • وحيث ان العلوم الهندسية والتكنولوجية تشهد تطورات سريعة جدا ، لذا يتطلب الامر ان يكون المهندس قادرا على مواكبة هذه التطورات واستيعابها وذلك من خلال تنمية قدراته على التعلم الذاتي في اثناء سني الدراسة • ولعل من المفيد ان نشير هنا باختصار الى تجربة جامعة ماستسوش الامريكية University of Massachusetts التي اعدت برنامجا خاصا لهذا الغرض باسم ممارسة المهنة بتوجيه التعليم الهندسي ـ

Professional Practice Directed Engineering Education

(PPDEE)

يتضمن البرنامج اشتغال الطالب بمشاريع هندسية حقيقية تنفذ لحساب جهات معينة ، وبذلك يكتسب الطالب الخبرة والتوجيه من اعضاء الهيئة التدريسية الذين يقومون عمل الطالب بصورة مستمرة • ويكلف الطالب باعداد دراسات بطريقة التعلم الذاتي في ثلاثة تخصصات مختلفة في اثناء الدراسة [٤] •

يهدف برنامج (PPDEE) الى إعداد الطلبة ليكونوا مهيئين لممارسة انواع التعلم الذاتي الذي سيحتاجونه عند ممارستهم المهنة بعد تخرجهم • يمكن ان يتعرض الطالب الى نوعين من التعلم اولهما تعلم المواد المطلوبة مباشرة لتنفيذ المشروع وثانيهما تعلم المواد المتوقع استخدامها في المستقبل • وبذلك يمتلك الطالب حصيلة معلومات غزيرة لمواجهة المشكلات الهندسية والتكنولوجية الجديدة التي تتطلب منه جهدا مبدعا وخلاقا • ويتطلب التعلم الذاتي تنمية قدرة الطالب على تحديد مصادر المعلومات وكيفية الاستفادة منها ، والتعلم بدون مدرس ، وتحديد مستوى التعلم المطلوب ، وتقويم مدى هذا التعلم ومدى استجابته لبناء قدرات الطالب الهندسية والتكنولوجية • ولتحقيق نشاط مثل هذا لابد من ان تعد المناهج الدراسية بطريقة تلزم الطالب

بالتعلم الذاتي لما لذلك من مردودات ايجابية منها تعويد الطالب على تحمل المسؤولية منذ وقت مبكر وتدريبه على الاستقراء والتحليل العلمي والمنطقي وجمع المعلومات وتوظيفها لاداء اغراض محددة وضمن كلف محسوبة وتحت سقف زمني ، وكذلك ادراك اهمية التواصل العلمي والتعلم المستمر ٠

يتضمن برنامج التعليم الذاتي مطالبة الطالب باجتياز بنجاح ثلاث مواد دراسية من مجموع المواد الدراسية المطالب بها وبدون مدرس ، ولكن توفر للطالب الكتب الدراسية على وفق منهج دراسي محدد وتحت اشراف احد اعضاء الهيئة التدريسية ، ويجري بعدها اختبار الطالب لتحديد مدى استيعابه للمادة العلمية ، وفي المادة الثانية المختارة للتعلم الذاتي لا يحدد للطالب اي كتاب منهجي ، وانما يترك للطالب اختيار ما يناسبه من كتب على وفق منهج دراسي محدد ويترك لهم حرية اختيار اسلوب تقويمهم من قبل القسم العلمي٠ اما المادة الثالثة فتترك فيها للطالب حرية اختيار الموضوع وجمع المعلومات المتعلقة به واستحصال موافقة القسم العلمي على هذا الموضوع ٠

٦ ـ ٨ ـ التعليم المستمر ـ

يكتسب التعليم المستمر اهمية خاصة في الوقت الحاضر ذلك ان عالمنا المعاصر يشهد ثورة تقنية هائلة ستكون لها آثارها البليغة في القرن الحادي والعشرين ، إذ يتوقع إحلال الانسان الآلي والمعدات المتحركة ذاتيا محل الانسان في المصانع ، وتكون المصانع في هذه الحالة عبارة عن وحدات صغيرة يعمل فيها اشخاص قليلون ٠ ولا يتوقع ان يستمر الانسان في عمل واحد محدد قد يمتد مدى الحياة كما هو الحال الان ، بل ينتقل من عمل الى آخر على وفق عقود صغيرة الامد ، وربما يكون العمل عن بعد في البيوت هو الاكثر شيوعا ٠ ولاشك في ان اسلوب العمل الجديد هذا يتطلب التأهيل واعادة التأهيل بصورة مستمرة على وفق برامج تعد لهذا الغرض في اطار فرص عمل مناسبة للمهندسين والتقنيين لمواكبة آخر تطورات العلوم

والتكنولوجيا الحديثة ضمن برامج التعليم المستمر لاسيما ان هذه العلوم تشهد تدفقا معرفيا لم يسبق له مثيل في تاريخ البشرية إذ لم تعد العلوم الهندسية مقتصرة على بضعة تخصصات ، وانما باتت اليوم تضم عشرات التخصصات الهندسية والتقنية التي يتطلب التصدي لها على وفق برامج علمية رصينة لتخريج ملاكات هندسية رفيعة المستوى العلمي ، وكذلك تطوير قدرات المهندسين العاملين في المؤسسات الصناعية لتحقيق التواصل العلمي بين اجيال المهندسين والتقنيين المختلفة ، كما تشهد العلوم الهندسية والتقنية تداخلات كبيرة فيما بينها منها على سبيل المثال : الهندسة الميكانيكية والمنظومات الالكترونية ، وهندسة الانشاءات والتصاميم المعمارية ، والهندسة الالكترونية وعلم الحياة ، والهندسة الكهربائية والتعدين ، وهندسة المنظومات الكهروميكانيكية وغيرها . وتتجه العلوم الهندسية والتقنية في الوقت نفسه باتجاه التخصصات الدقيقة على مستوى الدراسات الجامعية الاولية ، منها على سبيل المثال : الهندسة الالكترونية الطبية ، وهندسة التصنيع الالكترونية ، وهندسة الالكترونيات الدقيقة ، وهندسة الانسان الآلي ، وهندسة المنظومات الفضائية ، والهندسة الكيمياوية الحياتية وغيرها ، وتطورات علمية كهذه يتطلب مواكبتها واطلاع المهندسين والتقنيين في حقل العمل عليها والعمل على رفع قدراتهم العلمية عبر برامج التعليم المستمر .

٧ ـ المستلزمات البشرية والمادية :ـ

لا يختلف اثنان في اهمية توافر المستلزمات البشرية كماً ونوعاً ، وتوافر المستلزمات المادية من اجهزة ومعدات وكتب ومجلات ودوريات علمية ولوازم دراسية مختلفة ، لعمل اية منظومة تعليمية جامعية او سواها ، بكفاءة عالية لتحقيق الاهداف المتوخاة منها . ولان قطاع التعليم الجامعي عامة وقطاع التعليم الهندسي والتقني خاصة يعاني من نقص حاد بملاكاته التدريسية إذ يلاحظ تزايد نسبة حملة شهادة الماجستير حديثي التخرج وقليلي الخبرة حيث

لا تقل نسبتهم في اية مؤسسة هندسية تعليمية عن ٥٠٪ من مجموع اعضاء الهيئة التدريسية ، وقد تتجاوز هذه النسبة كثيرا في العديد منها ، فضلا عن تسرب اعداد غير قليلة من اعضاء الهيئة التدريسية المشهود لهم بالكفاءة والخبرة والتفوق العلمي في الوقت الذي يشهده فيه قطاع التعليم العالي توسعا باستحداث كليات واقسام علمية عديدة وزيادات كبيرة في اعداد الطلبة المقبولين . لذا يستلزم الامر تضافر الجهود الخيرة لبناء ملاكات علمية رصينة من خلال التوسع في دراسات الدكتوراه على حساب دراسات الماجستير والدراسات الجامعية الاولية في الوقت الحاضر في آن واحد ، وذلك بحشد جميع الامكانات المتوفرة في الجامعات ودوائر الدولة ومؤسساتها المختلفة المادية والبشرية منها على حد سواء ، مع تأكيد تطبيق اعلى اجراءات التقويم والقياس لضبط الجودة النوعية للخريجين لتأمين اعلى درجات الرصانة العلمية . كما انه لابد من ايجاد مسارات وقنوات تعاون علمي جاد مع الجامعات العربية الشقيقة وجامعات الدول الصديقة في اطار تبادل المنافع والمصالح المشتركة لتأمين تأهيل ملاكاتنا التعليمية الجامعية او تطويرها واطلاعها على مستجدات العلوم والتقانة الحديثة ، وفي مجال الاجهزة والمعدات المختبرية لابد من بذل جهود اكبر لسد احتياجات قطاع التعليم الهندسي ، وكذا الحال بالنسبة للكتب العلمية والمجلات والدوريات لضمان التواصل مع مجريات التطور العلمي الهندسي والتقني في العالم حيث مازال القطاع الهندسي والتقني بأمس الحاجة الى الاجهزة والمعدات والكتب والدوريات الحديثة على الرغم من التحسن النسبي الذي طرأ في السنوات الاخيرة . وبأعتقادنا اننا لا نضيف شيئا جديدا إذ قلنا إن الحاجة الوطنية تدعو الى الاهتمام بالملاكات التعليمية الجامعية والعمل على تأمين العيش الكريم لها في بيئة علمية جامعية تسودها القيم والتقاليد والاعراف الجامعية السليمة وتوفير كل اسباب تقدمها وازدهارها للارتقاء بالعملية التعليمية الجامعية الى افضل مستوياتها . ولابد هنا من ان نشير الى الجهود الكبيرة التي بذلتها بعض الجامعات في إعداد

مستلزمات برامج دراسات عليا وتهيئتها في تخصصات هندسية وتقنية استحدث بعضها اول مرة على صعيد جامعات القطر وربما على صعيد جامعات الوطن العربي ، التي كان لها اثرها البالغ بسد قسط كبير من إحتياجات الجامعات من الملاكات التعليمية ، فضلا عن سد احتياجات مؤسسات الدولة ودوائرها المختلفة ، وما زالت الجهود متواصلة بهذا الاتجاه على الرغم من شحة الموارد وندرتها في معظم الاحيان •

٨ ـ الترابط مع حقل العمل :ـ

لكي تؤدي الجامعات دورها الصحيح في التنمية يجب ان تراعي التوازن الصحيح بين ما تعده من ملاكات وما يحتاجه المجتمع • ولاجل الاستفادة القصوى والسريعة من هذه الملاكات ينبغي للجامعات إعداد هذه الملاكات بالمستوى والنوعية التي يحتاجها المجتمع لتنفيذ برامجه ، الامر الذي يتطلب تعاونا وثيقا بين الجامعات ومؤسسات المجتمع المختلفة فيما يتعلق بالمناهج الدراسية وبرامج التدريب المهني ومتطلبات سوق العمل وإستيعاب متطلبات العلوم والتقانة ووصف الوظائف وتحديد متطلبات كل منها من حيث الكم والنوع [٥] • وهذا يتطلب تعاونا وثيقا بين الجامعات والمؤسسات الصناعية بحيث تؤدي المؤسسات الصناعية دورا واضحا في صياغة المناهج الدراسية الهندسية والتقنية بما يلبي احتياجات هذه المؤسسات من جهة ، ويؤمن مواكبتها لمستجدات العلوم والتقانة الحديثة من جهة اخرى • وان تسخر المؤسسات الصناعية جميع امكاناتها بما لا يؤثر في سير العملية الانتاجية لديها ، لصالح العملية التعليمية ولاسيما ما يتعلق منها ببرامج التدريب المهني بحيث يصبح هذا التدريب جزءا اساسيا من متطلبات إعداد طلبة العلوم الهندسية والتقنية • كما يفضل اشراك الهيئات التدريسية الهندسية في اعمال ومشاريع هندسية بهدف اكسابهم الخبرات العملية وتطويرها بما يعود بالنفع على العملية التعليمية ، والعكس صحيح ايضا اي اشراك كبار المهندسين والتقنيين

في العملية التعليمية بغية نقل خبراتهم العملية الى الاوساط الهندسية التعليمية. وبذلك يقترب التعليم الهندسي اكثر فاكثر من تحقيق اهدافه ببناء شخصية الطالب المزود بالعلوم والمهارات الهندسية والتقنية والمستند الى قاعدة عملية وصناعية تؤهله لممارسة مهنته الهندسية بصورة جيدة فور تخرجه من جامعته. ويمكن ان تؤدي تجربة معايشة اعضاء الهيئة التدريسية المطبقة حاليا في جامعاتنا منذ عدة سنوات خلال العطل الصيفية ، وكذلك التعاون القائم حاليا في اطار آلية التعاون بين الجامعات وحقل العمل ، ومشاركة كبار المهندسين من حقل العمل بالتدريس في الجامعات والاشراف على رسائل طلبة الدراسات العليا وأطاريحهم ، وما تقدمه المكاتب الاستشارية من خدمات دورا هاما بتعزيز التعاون والتفاعل بين الجامعات وحقل العمل وبما يعود بالمنفعة لتطوير العملية التعليمية الجامعية وخدمة المجتمع .

٩ ـ الخاتمة :ـ

لقد أصبح التعليم الهندسي والتقني احد العوامل الاساسية التي تسهم في رقي الشعوب وتقدمها اجتماعيا واقتصاديا . لذا فقد اولته الدول المتقدمة اهتماما خاصاً ووفرت له الاموال اللازمة لتأمين تفوقها التقني في عالم يشتد فيه الصراع على امتلاك ناصية العلم وحلقات التقانة المتقدمة لضمان امنها ومستقبل اجيالها في الحياة الكريمة . ويتضح من ذلك ان التنمية الوطنية هي حجر الاساس الذي يرتكز عليه التقدم الصناعي والاقتصادي . ومن هنا ينبغي اعداد مهندس القرن الحادي والعشرين اعدادا خاصا بحيث يكون قادرا على الابداع والابتكار والتعامل مع تقنيات العصر ومبتكراته وتوظيفها لصالح تقدم امته ورفاهية شعبه في المكان والزمان المطلوبين ، وبكلف اقتصادية تنافسية لصالح الانتاج الوطني وبنوعية جيدة كي يضمن لامته مكانتها اللائقة بين امم الارض .

المصـــادر :ـ

١ ـ

Mc Collom , Kenneth A .
Approach to the Engineering Technology Interface ,
ASEE Annual Conference Proceedings , U.S.A., 1980

٢ ـ جريو ، داخل حسن
التعليم الهندسي في العراق ومواجهة تحديات الحصار ،
مجلة المجمع العلمي ، الجزء الرابع ، المجلد الرابع والاربعون ١٩٩٧ .

٣ ـ جريو ، داخل حسن
خصائص المنهج الهندسي مع اشارة خاصة الى مكوناته العلمية والانسانية،
مجلة اتحاد الجامعات العربية ، عمان ، ١٩٩٠ .

٤ ـ

Zinsmeister , George E. & Nelson , carl W.
Teaching Self - Teaching Skills ,
ASEE Annual Conference Proceedings . U.S.A., 1980

٥ ـ جريو ، داخل حسن
الترابط بين الجامعات وحقل العمل
مجلة التعريب ، العدد السادس ، ١٩٩٣ .
المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر ، دمشق .

الجذور التاريخية لبعض العقوبات الاسلامية

أ.د. هاشم يحيى الملاح
عضو المجمع العلمي
استاذ التاريخ الاسلامي ـ كلية
الاداب / جامعة الموصل

الملخـــص

يتناول البحث الجذور التاريخية لبعض العقوبات الاسلامية كجريمة القتل ، والسرقة ، والزنا ، وشرب الخمر ، ويوضح أن الرسالة الاسلامية جاءت لمعالجة السلبيات التي كانت قائمة في المجتمع العربي عند ظهور الاسلام ، وإقرار الفضائل والتوجهات الايجابية التي كانت سائدة فيه . وبذلك ساعد الاسلام على تحقيق نقلة نوعية في حياة الامة العربية والانسانية في مجالات الحياة كافة .

تمهيـــد :

حينما ظهر الاسلام في مكة في نحو سنة ٦١٠م وجد ان للعرب عـادات وتقاليد هي بمثابة قانون او تشريع لهم ، فأقر الصالح منها وعمل على الغـاء الطالح أو تعديله . فما اقره الاسلام من هذه العادات والتقاليـد بنصـوص القرآن الكريم او سنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) فهو المبـاح والحلال ، وهو المعروف . اما ما أنكره ودعا الى الغائه فهو المنكر والحرام[١] . لذافأن سنة الرسول لم تقتصر على اقواله صلى الله عليه وسلم وافعاله وإنما تضمنت ايضا إقراراته لافعال الاخرين اي ما جروا على فعله بحكـم العادة والعـرف ولم يعترض عليه[٢] . وهكذا فقد دخلت عادات العرب واعرافهم القديمة التي اقرها الاسلام ضمن احكامه وتشريعاته . لذا فقد تقرر في الفقه الاسلامي « ان الاصل في الاشياء الاباحة » التي تعني أن كل مالم يحرم فهو مباح ، كما تقرر ان « العرف قاضٍ والعادة محكمة » ، « وأن العادة تجعل حكما اذا لم يوجد تصريح بخلافه »[٣] . وأن مما يؤكد ما ورد آنفا ما رواه الإمام احمد بن حنبل في مسـنده ان الرسـول ــ صـلى الله عليه وسلم ــ امر بالعمـل بفضائل الجاهلية[٤] ، ويبدو ان العلة في ذلك ان هذه الفضائل لا تعدو ان تكون مـن انواع (المعروف) الذي جاء الاسلام ليؤكده كالعدل والاحسان وبر الاهـل والاقارب وغير ذلك من محاسن الاخلاق .

---

(١) القرآن الكريم ، سورة آل عمران : ١٠٤ ، ١١٠ ، ١١٤ ، سورة المائدة ٤ــ٥ ، سورة النساء : ٢٤ ، سورة البقرة : ٢٧٥ .

(٢) الحيدر آبادي ، محمد حميد الله : دولة الاسلام والعالـم ، مصـر ١٩٦٢ ص ٥٧ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٥٧ .

(٤) المرجع نفسه ، ٦٠ .

إن ما تقدم ، يفرض على الباحثين ان يعلموا على دراسة عادات العرب قبل الاسلام في جميع مجالات الحياة للتعرف على علاقتها بالتشريع الاسلامي من اجل إدراك مقدار التحولات التي احدثتها الرسالة الاسلامية في حياة العرب • وان مما يؤسف له أن البحوث في هذا المجال مازالت قليلة وربماكان السبب في ذلك ان المادة العلمية لمثل هذه البحوث كما يقول الاستاذ الاثري « نزرة في الاثار والكتب ، ومنتشرة في تفاسير القرآن الكريم وشروح الحديث الشريف وشروح اشعار الشعراء الجاهليين وليس من السهل على طالبها الامعان في البحث عنها »[٥] •

وربما كان من اهم المجالات التي تمس الحاجة الى دراستها هي احكام الجرائم والعقوبات عند عرب ما قبل الاسلام لغموضها من جهة ولاتصالها بالتشريع الجنائي الاسلامي من جهة أخرى • وقد فطن الى اهمية هذاالموضوع السيد محمود شكري الآلوسي منذ مطلع هذا القرن فأنشا دراسة عنوانها « عقوبات العرب في جاهليتها وحدود المعاصي التي يرتكبها بعضهم » ، واذا كانت هذه الدراسة لم تصل من حيث الشمول والمنهجية الى المستوى الذي يتطلع اليهرواد البحث الحديثفانه يكفيهاانهكان لها فضل الريادة فيهذالمجال• وقد اشار الاستاذ الاثري في شرحه وتحقيقه لها الى ذلك بقوله « ولست اعرف في موضوعها دراسة مستقلة غيرها ، وإن كانت في جملتها لم تبلغ غاية المدى او الشوط الابعد ، ولهذا اسباب عدة ، وحسبها انها فتحت الباب لولوجه ، وعبدت الطريق لسلوك جدده ، وعلى الخلف متابعة مجهود السلف وبناء الصرح فوق الصرح »[٦]•

---

(٥) الاثري ، محمد بهجة ، مقدمة لدراسة : عقوبات العرب في جاهليتها وحدود المعاصي التي يرتكبها بعضهم ، محمود شكري الالوسي ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، نيسان ١٩٨٤ ، ص ٥ .

(٦) المرجع نفسه ، ص ٥ .

لقد حفزت هذه الدعوة الكريمة الباحث على محاولة استكمال ما بدأه السلف في هذا المجال ، عسى ان يكون له بعض الفضل في اضافة لبنة الى الصرح العلمي الذي سعى اسلافنا الى اشادته وهو سيحاول في عمله هذا ان يلتزم بالمنهج التاريخي في البحث مع الاستفادة بما هو مقرر في مجال القانون الجنائي المقارن ما وسعه الجهد ذلك •

سيتولى البحث عرض اهم العقوبات التي فرضها الاسلام لمعالجة كل جريمة على حدة مبتدئين بدراسة عقوبات الجرائم التي تمس النفس ، وتلك التي تمس المال ، ثم التي تمس العرض ، واخيرا عقوبات الجرائم التي تمس العقل والمجتمع • وسيركز البحث كما هو واضح من عنوانه ليس على دراسة طبيعة كل جريمةفي ذاتها واحكام الفقه الاسلامي بشأنها وإنما ستوجه نحو دراسة جذورها التاريخية ومحاولة توضيح مدى وجود تلك الجريمة وعقوبتها عند العرب ولاسيما اهل مكة والحجاز في الحقبة التي سبقت الاسلام من اجل ابراز التحولات التي احدثها الاسلام في هذا المجال •

١ ـ عقوبات الجرائم على النفس :

يعد القتل العمد (غير مشروع) اهم هذه الجرائم ، وقد صرح القرآن الكريم في آيات عدة بتحريمه مما يشعر بكثرة ارتكاب الناس له ، وإسرافهم في استخدامه في عصر ما قبل الاسلام مما ادى الى تعميق الكراهية والبغضاء بين الناس ، واشاع بينهم روح الثأر والصراع المستمر[٧] • قال تعالى : « ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً »[٨] • ان هذه الآية من

---

(٧) القرآن الكريم ، سورة الفرقان : ٦٨ ، سورة الاسراء : ٣٣ ، سورة الانعام : ١٥١ ، سورة المائدة : ٣٢ ، ٤٥ ، سورة البقرة : ١٧٨ـ١٧٩ .

(٨) سورة الاسراء : ٣٣ .

الآيات المكية التي نزلت قبل هجرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى المدينة مما يدل على انها كانت تعالج حالة شائعة في المجتمع العربي قبل قيام دولة الاسلام .

وقد اوضح القرآن الكريم ان الله قد حرم قتل النفس بغير حق منذ ظهور الاديان السماوية : « من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفساً بغير نفس او فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعاً »[٩].

وقد نص القرآن بصراحة على عقوبة القتل العمد بقوله : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم »[١٠].

وهكذا فقد فرض الاسلام ان يعاقب القاتل بالقتل مالم يعف ولي المقتول عن القاتل لسبب من الاسباب المشروعة كقبول الدية ، وهو امر شجع عليه الاسلام لاشاعة روح التسامح والوفاق في المجتمع وابعاده عن جو الثأر والانتقام[١١].

إن الاحكام التي وضعها الاسلام لمعالجة جرائم القتل العمد غير المشروع جاءت لعلاج الاوضاع التي كانت سائدة عند ظهوره ، فقد كان العربي ينظر الى القتل بصفته عدوانا ليس على نفس فرد من الافراد فقط وإنما هو عدوان على القبيلة التي ينتمي اليها بأجمعها ، ومن ثم فان من واجب هذه القبيلة ان تقتص من الجاني وقبيلته عن طريق قتل الجاني نفسه ، او قتل احد افراد قبيلته ممن يوازي المجني عليه في المكانة والقيمة . ولم تكن القبيلة في غالب الاحيان

---

(٩) سورة المائدة : ٣٢ .

(١٠) سورة البقرة : ١٧٨ـ١٧٩ .

(١١) عبدالقادر عودة ، التشريع الجنائي الاسلامي ، ط٥ ، بلا مكان ، ١٩٦٨ ، ج١ ، ص ٥٤٦ـ٥٤٨ .

توافق على تسليم الجاني لذوي المجني عليه لقتله لان ذلك يتنافى مع روح التضامن بين افراد القبيلة ، وقد افسح ذلك المجال للصراع والحرب بين القبائل، وشجع على انتشار روح الثأر والخصام بينها[١٢] .

لقد عرف المجتمع العربي قبل الاسلام فكرة تعويض ذوي المقتول عن طريق دفع الدية وهي مبلغ من المال يتناسب مع مكانة القتيل ، فان كان الرجل من عامة افراد القبيلة فان فديته بحسب التقاليد العربية مائة بعير .. اما ان كان شريفا فان فديته قد تصل الى الف بعير .. ولم يكن العرب ينظرون بارتياح الى اخذ الفدية لانها تعبر عن حالة الضعف والعجز بالنسبة لمن يأخذها .. وهكذا فقد كانت القبيلة القوية تصر على الثأر والقتال[١٣] ، وقد جرت اقوالهم وامثالهم على تأكيد هذا الاتجاه . ومنها « القتل انفى للقتل » ، « لا ينام من أثأر » والدم لا يغسله الا الدم[١٤] . وقد قال الشاعر مرة بن عداء الفقعسي يحث قومه على عدم قبول الدية :ـ فلا تأخذوا عقلا من القوم ، إنني ارى العار يبقى ، والمعاقل تذهب[١٥] إن التشدد والغلو في طلب الثأر قد ادى الى سفك دماء كثيرة بين العرب واخذ البريء بجريرة المذنب مما حمل بعض عقلاء العرب على الدعوة للصلح وقبول الدية عوضا عن الثأر . وهكذا فقد مدح زهير بن أبي سلمى في شعره هرم بن سنان والحارث بن عوف لانهما سعيا للصلح بين قبيلة عبس وذبيان وتحملا ديات القوم . ويلاحظ ان افراد

---

(١٢) العلي ، صالح ، محاضرات في تاريخ العرب قبل الاسلام ، الموصل ١٩٨١ ، ص ١٦٢ــ١٦٥ .

(١٣) المرجع نفسه ، ص ١٦٣ــ١٦٤ ، الشريف ، احمد ابراهيم ، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، مصر ، ط٢ ، بلا تاريخ ، ص ٣٤ــ٣٥ .

(١٤) هاشم يونس عبدالرحمن ، الحياة الفكرية في الجزيرة العربية قبل الاسلام وعصر الرسالة ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، الموصل ١٩٩٢ ، ص١٨٦ .

(١٥) الالوسي ، عقوبات العرب في جاهليتها ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، نيسان ١٩٨٤ ٣٨ــ٣٩ .

عشيرة الجاني كانوا يتضامنون في تحمل الدية في حالة الموافقة على ادائها كما يتضامنون في الدفاع عن الجاني في حالة رفض تسليمه للقصاص(١٦).

إن ابرز تحول احدثه الاسلام في التعامل مع جريمة القتل هو انه في الوقت الذي اعطى الحق لولي المقتول ان يقتص من القاتل بالقتل، وان له ان يوقعه بنفسه تحت اشراف الدولة، فانه حرم عليه ان يتجاوز شخص القاتل بقتل غيره عن طريق الثأر، وفضلاً عن ذلك فانه قد شجع على العفو والصفح والموافقة على اخذ الدية لان في ذلك صلاح ذات البين ودوام المودة بين افراد الامة(١٧). وتعد الصحيفة التي اعلنها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في المدينة لتنظيم العلاقات بين اهل المدينة خير نموذج لتطبيق هذه المبادىء في تسوية المنازعات(١٨).

٢ ـ عقوبات الجرائم على المال :ـ

إن اهم انواع الجرائم على المال هي السرقة، ويشترط في تحققهـا ان تقع على مال منقول، وان يؤخذ ذلك المال من دون علم المجني عليه ومن دون رضاه(١٩) وقد نزل القرآن الكريم بتحريمها وتحديد عقوبتها. قال تعالى: « والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاءً بما كسبا، نكالاً من الله، والله عزيز حكيم، فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه، إن الله غفور رحيم »(٢٠).

---

(١٦) هاشم يونس عبدالرحمن، المثل والقيم الخلقية عند عرب ما قبل الاسلام وعصر الرسالة، رسالة ماجستير (غير منشورة) الموصل ١٩٨٧، ص١٥٧

(١٧) عودة، التشريع الجنائي الاسلامي، ج١ ص ٥٤٦ـ٥٤٨.

(١٨) ابن هشام، السيرة النبوية، مصر ١٩٥٥، ق١، ص ٥٠١ ـ ٥٠٤.

(١٩) عودة، التشريع الجنائي الاسلامي، ج٢ ص ٥١٤.

(٢٠) سورة المائدة : ٣٧ـ٣٨.

وعلى الرغم من ان كتب التفسير لم تذكر سبب نزول الآية ، الا ان صراحة التحريم وصراحة العقوبة توحي بأن جريمة السرقة كانت شائعة في المجتمع العربي في عصر الرسالة مما استوجب المعالجة والحسم . وقد ذكرت بعض المصادر ان عقوبة قطع يد السارق كانت معروفة عند العرب قبل الاسلام، وانها قد طبقت على عدد من الافراد الذين اوردت اسماءهم . وعلى سبيل المثال فقد ذكر القرطبي عند تفسيره للآية ٣٧ من سورة المائدة مانصه : « وقد قطع السارق في الجاهلية ، واول من حكم بقطعه في الجاهلية الوليد بن المغيرة ، فأمر الله بقطعه في الاسلام ، فكان اول سارق قطعه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الرجال الخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ، ومن النساء مرة بنت سفيان بن عبد الاسد من بني مخزوم »[٢١].

وقد اشار ابن هشام عند حديثه عن بنيان الكعبة وحكم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بين قريش في وضع الحجر الاسود « ان نفرا سرقوا كنزا للكعبة ، وإنما كان يكون في بئر في جوف الكعبة ، وكان الذين وجد عنده الكنز دويكا مولى لبني مليح بن عمرو من خزاعة . قال ابن هشام : فقطعت قريش يده ، وتزعم قريش ان الذين سرقوه وضعوه عند دويك »[٢٢].

ويقدم ابن حبيب تفصيلات اوسع عن هذا الموضوع فيقول : « وكانوا يقطعون يد السارق اليمنى .. وقطعت قريش رجالا في الجاهلية في السرق ، منهم وابصة بن خالد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، سرق في الجاهلية فقطعت يده».

قال هشام : وقطع عوف بن عبيد بن عمر بن مخزوم ، وقطع مرارا ثم سرق فرجم حتى مات ، والخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ، وعبيدالله بن

---

(٢١) القرطبي ، محمد بن احمد الانصاري ، الجامع لاحكام القرآن ، القاهرة ١٩٥٩ ، ج٦ ، ص ١٦٠ ، القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، القاهرة ، ج١ ص ٤٣٥ .

(٢٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ق١ ، ص ١٩٤ .

عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ، قطع في سرقـة إبل ، ومدرك بن عوف بن عبيد بن عمر بن مخزوم ، ومليح بن شريـح بن الحارث بن أسد ، ومقيس بن قيس ابن عدي السهمي وكانا سرقا حلي الكعبة في الجاهلية ..»[٢٣]

ويبدو من النص الاتف الذكر ان المصدر الذي اخذ عنه ابن حبيب هذه المعلومات هو هشام بن محمد الكلبي ، وقد صرح ابن حبيب بذلك بقولـه : « قال هشام » وقد ذكر الآلوسي ان « لهشام الكلبي كتاب في ذلك سـماه : كتاب ما كانت الجاهلية تفعله ووافق حكم الاسلام »[٢٤].

وقد ذكر هذا الكتاب محمد بن اسحاق النديم في (الفهرست) واسـمه فيه : كتاب ما كانت الجاهلية تفعله ويوافق حكم الاسلام[٢٥] . وقد اشـار الآلوسي فضلا عما تقدم الى ان العسقلاني قد ذكر في (شرح البخـاري) ان ابن الكلبي قد عقد بابا لمن قطع في الجاهلية بسبب السرقة في (كتاب المثالب)، وذكر قصة الذين سرقوا غزال الكعبة ، فقطعوا في عهد عبدالمطلب جد النبـي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « وذكر من قطع في السرقة : (عوف بن عبيد بـن عمر بن مخزوم) ، و (مقيـس بن قيس بن عـدي بن سـعد بن سهـم) ، وغيرهما »[٢٦].

ويرى الاستاذ محمد بهجة الاثري ان هذه الاخبار التي اوردها ابـن حبيب وغيره مصدرها جميعا هشام بن محمد بن السائب الكلبي (الشعوبي)، وان « مراده من تخصيص نفر من ابناء بيوتات قريش في الجاهلية باقتـراف رذيلة السرقة ، تحقير لجملة قبيلة قريش التي هي في الذروة والسنام مـن

(٢٣) ابن حبيب ، محمد ، المحبر ، بيروت ١٣٦١هـ ، ص ٣٢٧ــ٣٢٧ .

(٢٤) الآلوسي ، عقوبات العرب في جاهليتها ، ص ٢٣ــ٢٤ .

(٢٥) الاثري ، في شرحه وتعليقه على بحث الآلوسي : عقوبـات العـرب في جاهليتها ص ٢٤ .

(٢٦) المرجع السابق ، ص ٢٤ــ٢٧ .

العرب ، وهي قبيلة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ومؤدى تحقيرها تحقيره وتحقير العرب اجمع ، وإسقاطهم .. »[٢٧].

واذا وضعنا جانبا الشبهة التي عرضها الاستاذ الاثري حول مصداقية مصدر هذه الاخبار فأن هنالك اعتراضا آخر يقف في طريقها ، وهو انطبيعة النظام الاجتماعي والسياسي الذي كان قائما في مكة لم تكن تسمح باصدار هذه العقوبات وايقاعها على ابناء العشائر القوية في مكة مثل بني مخزوم وبني سهم وبني عبد مناف الذين كانوا يساهمون في حكم مكة وادارتها عن طريق الملأ . لقد كان يشترط في قرارات الملأ كي تكون قابلة للتطبيق ان تحظى باجماع او شبه اجماع العشائر المكية[٢٨] ، فهل يعقل ان يوافق ممثلو هذه العشائر في الملأ على معاقبة ابناء عشائرهم بقطع ايديهم وهم الذين يقوم نظامهم الاجتماعي على قاعدة انصر اخاك ظالما كان او مظلوما ؟!

ان هذا الاحتمال بعيد جدا ، واقصى ما يمكن قبوله من هذه الاخبار هو ما ذكره ابن هشام من ان قريشا عاقبت دويكا ، وهو مولى ،لا عصبية، قوية تحميه ، بقطع يده حينما وجد عنده غزال الكعبة (او كنزها) المسروق ، وهو على ما تشير اليه رواية ابن هشام لم يكن السارق الفعلي وإنما الذين سرقوه ووضعوه عنده كانوا اشخاصا آخرين من ذوي القوة والعصبية الذين لم يكن النظام الاجتماعي والسياسي في مكة يسمح بالوصول اليهم لمعاقبتهم .

يظهر مما تقدم ان العرب قبل الاسلام قد عرفوا جريمة السرقة ووضعوا عقوبة القطع لها ، ولكن نظامهم الاجتماعي والسياسي (القبلي) الذي لم يعرف السلطة المركزية التي تتولى تنظيم شؤون القضاء وتنفيذ قراراته لم تكن تسمح بتطبيق عقوبة السرقة الا ضد المستضعفين كالرقيق والموالي . وقد بقي

---

(٢٧) الاثري ، المرجع السابق ، هامش ٢٥ .

(٢٨) الملاح ، هاشم يحيى ، الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام ، الموصل ١٩٩٥ ، ص ٢٨٦-٢٨٧ ، ٣٨٥-٣٨٦ .

الامر على هذه الحال حتى جاء الاسلام واسس دولته التي نقلت تطبيق العدالة من ايدي العشائر والحكام الى يد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ • عند ذلك اصبح بالامكان تطبيق احكام عقوبة السرقة وغيرها على الجميع دون تفريق • وقد روي عن الرسول انه قال في هذا المجال : « •• لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » اخرجه الخمسة[٢٩] وان مما له علاقة وثيقة بجريمة السرقة « جريمة الحرابة » وقد سميت عند فقهاء الشريعة الاسلامية بالسرقة الكبرى ، وهي « الخروج لاخذ المال على سبيل المغالبة اذا ادى هذا الخروج الى اخافة السبيل او اخذ المال او قتل انسان »[٣٠] • وهكذا فان الفرق الاساسي بين السرقة وبين الحرابة ان الاولى يتم فيها اخذ المال من المجني عليه خفية في حين يتم في الثانية اخذ المال عن طريق المغالبة واستخدام القوة ضد المجني عليه • فالحارابة على وفق التعريف المتقدم هي صورة من صور الغزو او النهب الذي كان يقوم به الاعراب ضد القوافل التجارية او ضد القرى والمدن التي ليس بينها وبينهم احلاف • وقد تسببت هذه الاعمال في فقدان الامن والاستقرار في شبه جزيرة العرب مما حمل سكان المدن كأهل مكة على الدعوة لاحترام الاشهر الحرم والاماكن الحرم وعدم سفك الدماء او العدوان على الاخرين • وعلى الرغم من نجاح هذه المساعي في التخفيف من حدة اعمال الحرابة والغزو الا انها لم تفلح في القضاء عليها او اقناع الناس بوصفها جريمة تحط من قدر صاحبها ، بل انها استمرت عنواناً على القوة والشجاعة في نظر الاعراب ، وكانوا يلجأون اليها في غالب الاحيان في اوقات الحاجة والشدة ، ويستخدمونها ضد القبائل والجماعات التي ليس بينهم وبينها احلاف ومواثيق • لقد حملت هذه الاوضاع العرب على تأمين انفسهم

(٢٩) ابن الديبع الشيباني ، عبدالرحمن بن علي ، تيسير الوصول الى جامع الاصول ، مصر ١٩٣٤ ، ج٢ ص١٣ •

(٣٠) عودة ، التشريع الجنائي الاسلامي ، ج٢ ، ص ٦٣٨–٦٣٩ •

عن طريق التحالف وعقد المواثيق من اجل ضمان سلامتهم مع القبائل المجاورة او تلك التي تتعلق مصالحهم التجارية او الدينية بها كما فعلت قريش عندما عقدت حلف « الايلاف »(٣١).

وقد لجأ حكام بعض الدول والامارات العربية كملوك اليمن وملوك الحيرة الى صلب الرجل اذا قطع الطريق(٣٢) « وقد صلب النعمان بن المنذر رجلا من بني عبد مناف بن دارم من تميم كان يقطع الطريق »(٣٣).

في ضوء ما تقدم ، فقد كان من الضروري ان يلجأ الاسلام الى اعتبار الغزو والنهب (الحرابة) جريمة كبرى ، وان يعاقب عليها عقوبة رادعة من اجل ضمان الامن والاستقرار في ربوع دولة الاسلام .. وهكذا فقد عد القرآن الكريم هذه الاعمال محاربة لله ورسوله واشاعة الفساد في الارض . قال تعالى : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً أن يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم . الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فأعلموا ان الله غفور رحيم »(٣٤).

وقد اختلفت المصادر في بيان السبب المباشر لنزول هذه الآية « فقال بعضهم انها نزلت في قوم مشركين كان بينهم وبين النبي ميثاق فنقضوا العهد وقطعوا السبيل وافسدوا في الارض . وقال البعض انها نزلت في قوم من اهل الكتاب ، وقال البعض انها نزلت في قوم اسلموا ثم ارتدوا واستاقوا إبلا

---

(٣١) العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ، ص ١٦٠–١٦١ ، الملاح ، الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ص ٢٨٧–٢٩٤ .
......

(٣٢) الشهرستاني ، محمد عبدالكريم ، الملل والنحل ، مصر ١٩٦١ : ج٢ ص ٢٤٩ .

(٣٣) ابن حبيب ، المحبر ، ص ٣٢٧–٣٢٨ .

(٣٤) سورة المائدة : ٣٣–٣٤ .

لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقتلوا راعيها . والرأي الذي عليه جمهور الفقهاء ان المحارب هو المسلم او الذي يقطع الطريق او يخرج لاخذ المال على سبيل المغالبة »(٣٥).

اما كيفية تطبيق هذه العقوبة على الجاني فقد اختلف الفقهاء فيها ولكن الرأي الذي عليه جمهور الفقهاء يذهب الى ان الحد يقام على الجاني بقدر فعله « فمن أخاف السبيل واخذ المال قطعت يده ورجله من خلاف ، وان اخذ المال قتل ، وان هو لم يأخذ المال ولم يقتل نفي »(٣٦) . وهكذا فان شدة العقوبة على وفق هذا الرأي ينبغي ان تتناسب مع جسامة الجرم الذي ارتكبه الجاني بحق الضحية .

٣ ـ عقوبة جريمة الزنا : ـ

يعد الزنا ، وهو كل وطيء محرم(٣٧) ، اي كل اتصال جنسي خارج اطار العلاقة الزوجية ، جريمة تعاقب عليها الشريعة الاسلامية عقوبة رادعة . وقد تمثلت هذه العقوبة بجلد الزاني غير المتزوج مائة جلدة . ورجم الزاني المتزوج حتى الموت ، ذكرا كان او انثى(٣٨) . وقد عدت الشريعة الاسلامية جريمة الزنا جريمة ضد المجتمع لانها تمثل « اعتداءً شديدا على نظام الاسرة ، والاسرة هي الاساس الذي تقوم عليه الجماعة ، ولان في اباحة الزنا اشاعة للفاحشة وهذا يؤدي الى هدم الاسرة ثم الى فساد المجتمع وانحلاله »(٣٩).

---

(٣٥) عودة ، التشريع الجنائي الاسلامي ، ج٢ ص ٦٣٩ ، انظر ايضا القرطبي الجامع لاحكان القرآن ، ج٦ ص ١٤٨ــ١٤٩ .
(٣٦) القرطبي ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص ١٥١ .
(٣٧) عودة ، التشريع الجنائي الاسلامي ، ج٢ ، ص ٣٤٦ .
(٣٨) المرجع نفسه ، ج٢ ص ٣٧٧ ، راجع سورة النور : ٢ــ٣ ، النساء:١٥ــ١٦
(٣٩) المرجع نفسه ، ج٢ ص ٣٤٦ .

وهنا يسوغ للقارىء ان يتساءل هل يعد هذا الموقف الذي اتخذته الشريعة الاسلامية من الزنا تحولا اساسيا في موقف المجتمع العربي منه ام انه تأكيد وتطوير للموقف الذي كان يتخذه هذا المجتمع منه ومن ممارسته ؟

لقد كان المجتمع العربي قبل الاسلام يقوم على اساس الولاء والتعصب للاسرة والقبيلة والفخر بصراحة النسب واصالته ، وهذا يعني التمسك بمؤسسة الزوجية ومحاربة الزنا لانه يؤدي الى الاباحية واختلاط الانساب[٤٠].

في ضوء ما تقدم فلم تكن المثل العليا للمجتمع العربي تسمح للمرأة الحرة ان تقترف جريمة الزنا ، وكان جزاء من تقدم على هذه الفعلة هو معاقبتها بالقتل مع من اقترف معها هذه الجريمة . وقد اوضح الآلوسي هذه المسألة بقوله : « والزنى ، كان عندهم من اعظم المنكرات ، وافظع المعاصي واشنعها . لذلك جعلوا عقوبته إزهاق الروح ، والقتل الذي هو اعظم الحدود . ومن شواهد ذلك ما كان من النعمان بن المنذر من قتل المتجردة والمنخل العبدي لما اطلع على ما كان من امرهما . واراد قتل النابغة الذبياني لما تعرض في قصيدته الدالية المشهورة لوصف حرمه ، ثم اعتذر منه بعدة قصائد ، فعفا عنه »[٤١] . وقد استمر هذا الموقف حتى ظهور الاسلام . لذا فقد اعترض بعض الصحابة على وجوب اثبات واقعة زنا الزوجة من خلال تقديم اربعة شهود قبل ايقاع عقوبة القتل عليها وعلى من زنا بها . فقد روى مسلم وابو داؤد « ان سعد بن عبادة رضي الله عنه قال يا رسول الله : أرأيت لو وجدت مع امرأتي رجلا ، امهله حتى آتي بأربعة شهداء ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : نعم » . وفي رواية اخرى قال : « أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله ؟

---

(٤٠) الملاح ، الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ص ٣٦٠-٣٦٧ ، ٣٧٥-٣٧٩ .

(٤١) الآلوسي ، عقوبات العرب في جاهليتها ، ص ٣٢-٣٤ .

قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : لا قال سعد : بلى والذي اكرمك بالحق إن كنت لاعاجله بالسيف قبل ذلك ، فقال صلى الله عليه وسلم : إسمعوا الى ما يقول سيدكم »(٤٢).

إن ما تقدم يفسر موقف هند بنت عتبة زوجة ابي سفيان حينما جاءت الى الرسول ــ عليه السلام ــ لتبايعه على الاسلام ، فاشترط فيما اشترط الا تزني ، فقالت له باستغراب : وهل تزني الحرة ؟(٤٣).

لقد كان الزنا امرا مستنكرا ومستقبحا ، ويعاقب عليه بالقتل اذا مس امرأة حرة لان فيه تهديدا لسلامة النظام الاجتماعي الذي يقوم على وحدة الاسرة ونقاء النسب . غير ان المجتمع العربي قبل الاسلام تسامح مع الاماء المملوكات ، فكان يسمح لهن باقامة علاقة مع اسيادهن لانهن ملك يمينهم ولا يعدون ذلك زنا ، كما كان يسمح لهن باقامة علاقات مع الاغراب اذا سمح اسيادهن لهن بذلك . وهنا ظهرت حالة البغايا من ذوي الرايات ، وكن إماءً أي رقيقا ينصبن على ابوابهن رايات تكون علاما ، فمن ارادهن دخل عليهن(٤٤).

ويلاحظ ان وجود حالة البغايا من اصحاب الرايات في مجتمع ما قبل الاسلام لا تدل على ان المثل الاخلاقية للمجتمع كانت تشجع هذه الحالة وانما تدل على انها امر واقع واثر من آثار نظام الرق الذي كان شائعا في العالم منذ اقدم العصور وحتى مطلع العصر الحديث . وعلى الرغم مما تقدم فقد وصل الينا من الشعر والاخبار ما يدل على ان بعض عرب ما قبل الاسلام كانوا ينأون بأنفسهم عن ذلك ويحرمون الزنا على انفسهم . وكان ممن فعل ذلك

---

(٤٢) ابن الربيع الشيباني ، تيسير الوصول الى جامع الاصول ، ج٢ ص٤ .

(٤٣) ابن سعد ، محمد ، الطبقات الكبرى ، بيروت ١٩٥٨ ، ج٨ ، ص٢٣٧ .

(٤٤) الآلوسي ، عقوبات العرب في جاهليتها ، ص ٣٥ ، راجع ايضا ابن الربيع الشيباني ، تيسير الوصول ، ج٤ ص ٢٣٠–٢٣١ .

الاسلوم اليامي « وكان ممن حرم الزنى والخمر في الجاهلية »(٤٥) . وقد وصف ذلك في شعره فقال :

وتركت شرب الراح وهي اثيرة والمومسات وترك ذلك اشرف
وعففت عنه يا اميم تكرما وكذلك يفعل ذو الحجى المتعفف(٤٦)

وقال حاتم الطائي في تحريم الخمر والفجور :

وإنـي لارجو ان اموت ولم انل متاعا من الدنيا فجورا ولاخمرا(٤٧)

وقال عفيف بن معد يكرب الكندي ، وقد حرم الزنى على نفسه :

وقالت لي : هلم الى التصابي فقلت : عففت عما تعلمينا(٤٨) .

يظهر مما تقدم ان المثل الاعلى عند العرب قبل الاسلام كان يرفض الزنا بكل صوره واشكاله(٤٩) ، فلما جاء الاسلام اقر هذا المثل الاعلى ، وحرم الزنا سواءً أكانت ممارسته مع امرأة حرة ام امرأة أمة . ووضع عقوبات رادعة ضد من يمارسه وإن كان قد حاول ان يتدرج في العقوبة بحسب الظروف التي تحيط به ، فلم يعاقب الزاني بالقتل في كل الاحوال كما كان يفعل العرب قبل الاسلام ، بل اشترط قبل ايقاع العقاب اثبات الواقعة من

---

(٤٥) ابن حبيب ، المحبر ، ص ٢٣٩ .
(٤٦) المصدر نفسه ، ص ٢٤٠ .
(٤٧) المصدر نفسه ، ص ٢٤١ .
(٤٨) الآلوسي ، محمود شكري ، بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ، مصر ١٣٤٢هـ ، ج٢ ، ص ٢٩٤ .
(٤٩) ذكر اليعقوبي ان عبدالمطلب بن عبد مناف ـ جد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان قد حرم الزنا واقام الحد عليه ، وربما كان في ذلك مبالغة بقصد الاشادة بمكانته ، تاريخ اليعقوبي ، بيروت ١٩٨٠ ، ج٢ ص ١٠ ، كما ذكر القلقشندي ان اول من رجم في الزنا في الجاهلية ربيع بن حدان ، ثم جاء الاسلام بتقريره في المحصن . ويلاحظ ان القلشندي متأخر (توفي سنة ٨٢١هـ) وانه ليس لدينا معلومات عن ربيع بن حدان هذا . راجع صبح الاعشى في صناعة الانشا ، القاهرة ، بلات ، ج١ ص٤٣٥

خلال شهادة اربعة شهود . ثم انه فرق في العقاب بين المتزوج والاعزب ، فجعل عقوبة الاول الرجم اي القتل وجعل عقوبة الثاني الجلد مائة جلدة . كما خفف من عقوبة الامة فجعلها نصف عقوبة الحرة لانها لا تملك حرية التصرف ، فضلا عن ضعف وضعها في المجتمع(٥٠) .

٤ ـ تحريم الخمر والمعاقبة على شربه :

لقد تدرج القرآن الكريم في اعلان موقفه من تحريم الخمر ، واول نصوص التحريم قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون »(٥١) ، ثم جاء القرآن بعد ذلك بتأثيم شاربها في قوله تعالى : « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس ، وإثمهما اكبر من نفعهما »(٥٢) ثم نزل التحريم القاطع في قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجسٌ من عمل الشيطان فأجتنبوه»(٥٣) . وقد اشير الى ان سبب تحريم الاسلام للخمر انه يعدها ام الخبائث وهي « مضيعة للنفس والعقل والصحة والمال »(٥٤) . بدليل قوله تعالى : « إنما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل انتم منتهون »(٥٥) . ويبدو من تدرج القرآن الكريم في تحريم الخمر وتوضيحه لاسباب تحريمه ، ان شرب الخمر كان شائعا في المجتمع العربي قبل الاسلام ويشير جواد علي الى « ان استعمالها كان قد انتشر انتشارا فظيعا قبيل الاسلام وعند ظهوره ، بدليل

---

(٥٠) عودة ، التشريع الجنائي الاسلامي ، ج٢ ، ص ٣٧٩ .
(٥١) سورة النساء : ٤٣ .
(٥٢) سورة البقرة : ٢١٩ .
(٥٣) سورة المائدة : ٩٠ .
(٥٤) عودة ، التشريع الجنائي الاسلامي ، ج٢ ، ص ٤٩٦ .
(٥٥) سورة المائدة : ٩١ .

تحريمها (في الاسلام) وكثرة ما ورد عنها في الشعر والاخبار من تفاخر وتباه بكثرة شربها وادمان صاحبها عليها حتى عد شربها عندهم نوعاً من التفاخر والتباهي ، اذ هي علامة اليسر والغنى والنفوذ . وطالما وردت في الشعر الجاهلي وفي الاخبار جملة (زق الخمر) يسقون منه الضيوف الكبار واصحاب الجاه ... ونجد في كتب الحديث ايضا ان كثيرين ممن اسلموا اضطروا الى اهراق ما كان عندهم من خمر لعدم تمكنهم من بيعها بسبب التحريم ، وقد كانوا يحفظون الخمر في زق او في راوية ، او في مزادة وهي قربة كبيرة تصنع من جلد البعير او في دن »[٥٦].

وعلى الرغم من هذا الانتشار الواسع لعادة شرب الخمر في المجتمع العربي قبل الاسلام فقد وصلت الينا اخبار كثيرة عن بعض رجالات العرب وساداتهم الذين ادركوا مضار الخمر فحرموها على انفسهم واخذوا يحثون الناس على تجنب تناولها[٥٧]. وعلى سبيل المثال فقد اورد ابن حبيب قائمة باسماء اكثر من ثلاثين رجلا من رجالات قريش وغيرها كانوا قد حرموا الخمر على انفسهم وكان بعضهم من الاحناف والبعض الاخر من وجوه الناس وساداتهم[٥٨].

وكان بعضهم لا يكتفي بالامتناع عن شربها بل يعاقب اولاده على تعاطيها فقد ذكر ابن حبيب ان الوليد بن المغيرة حرمها على نفسه « وضرب فيها ابنه هشاما على شربها »[٥٩] . كما اشار بعضهم الى السبب الذي يدعوه الى تحريمها فقال العباس بن مرداس السلمي « لا أشرب شرابا اصبح سيد قومي وامسي سفيههم»[٦٠] .

---

(٥٦) جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، بغداد ١٩٥٦ ، ج٦ ص ٣٣٦-٣٣٧
(٥٧) المرجع نفسه ، ج٦ ، ص ٣٣٧ .
(٥٨) ابن حبيب ، المحبر ، ص ٢٣٧-٢٤١ .
(٥٩) المصدر نفسه ، ص ٢٣٧ .
(٦٠) المصدر نفسه ، ص ٢٣٧ .

وفضلا عما تقدم فقد قال بعضهم شعرا بفضح مساوىء شرب الخمر ويدعو الى تجنبها ، ومن جملة هؤلاء قيس بن عاصم وكان قد سكر فغمز عكنة ابنته فلما اخبر بذلك حرمها وقال :

رأيت الخمر مصلحة وفيها خصال تفسد الرجل الكريما
فلا والله اشربها حياتي ولا ادعو لها ابدا نديما
فإن الخمر تفضح شاربها وتجنبهم بها الامر العظيما
اذا دارت حمياها تعلت طوالع تسفه المرء الحليما(٦١) .

وقالعبدالله بن جدعان في ذم الخمر :

شربت الخمر حتى قال صحبي ألست عن السفاه بمستفيق ؟
وحتى مالو اوسد في منام أنام به سوى الترب السحيق
وحتى اغلق الحانوت رهني وأنكرت العدو من الصديق(٦٢)

وقال عامر بن الظرب العدواني :

إن أشرب الخمر أشربها للذتها وإن ادعها فإني ماقت قالي
لولا اللذاذة والقينات لم ارها ولا اتني الا من مدى عالي
سآله للفتى ما ليس يملكه ذهابة بعقول القوم والمال
مورثة اضغانا بلا إحن مزرية بالفتى ذي النجدة الحال(٦٣)

وفضلا عما تقدم فقد كان عدد من صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يمتنعون عن شرب الخمر ويتمنون نزول تشريع بتحريمها . يقول ابن

(٦١) المصدر نفسه ، ص ٢٣٨-٢٣٩ .
(٦٢) ابن حبيب المحبر ، ص ٢٤٠ .
(٦٣) المصدر نفسه ، ص ٢٣٩ ، الآلوسي ، بلوغ الارب ، ج٢ ص ٢٩٥ .

قتيبة في كتاب الاشربة : « وقد كان كثير من اصحاب رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ حرموا الخمر على انفسهم في الجاهلية لعلمهم بسوء مصرعهـــا وكثرة جناياتها . وقالت عائشة رضي الله عنها : ما شـــرب ابو بكر خمـــرا في جاهلية ولا إسلام . وقال عثمان رضـــي الله عنه : ما تغنيـــت ولا تفتيـــت ، ولا شربت خمرا في جاهلية ولا اسلام »[٦٤] . وكان عثمان بن مظعون حـــرم الخمر في الجاهلية وقال « لا اشرب شرابا يذهب بعقلي ويضحك بي من هـــو ادنى مني وازوج كريمتي من لا اريد . فبينما هو بالعوالي إذ اتاه آتٍ فقال : أشعرت ان الخمر حرمت وتلا عليه الآية في المائدة فقال : « تبا لها لقـــد كان بصري بها نافذا »[٦٥].

لقد اوردت كتب التفسير بعض الوقائع التي كانت سببا مباشرا لنـــزول القرآن بتحريم الخمر تحريما قاطعا وهي بمجملها تعبر عن وجود وعي لـــدى الناس وحاجة اجتماعية لتحريمها .

اورد القرطبي رواية عن سعد بن ابي وقاص (نقلها عن صحيح مســـلم) قال فيها : « نزلت في آيات من القرآن ، وفيه قال : وأتيت على نفر من الانصار، فقالوا : تعال نطعمك ونسقيك خمرا ، وذلك قبل ان تحرم الخمر ، قـــال : فأتيتهم في حش والحش البستان ـــ فاذا رأس جزور مشـــوي عندهم ، وزق خمر ، قال : فأكلت وشربت معهم ، قال : فذكرت الانصار والمهاجرين عندهم فقلت : المهاجرون خير من الانصار ، قال فأخذ رجل لحيي جمل فضربني بـــه فجرح انفي ـــ وفي رواية فغزره (أي شقه) ، وكان انف سعد مغزورا ، فأتيت رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فأخبرته ، فأنزل الله في ـــ يعني نفســـه شأن الخمر »[٦٦].

---

(٦٤) الآلوسي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٢٩٦ .
(٦٥) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٢٩٧ .
(٦٦) القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن ، ج٦ ص ٢٨٦–٢٨٧ .

وفضلا عما تقدمفقد اورد البخاري ومسلم وابو داود روايةعن الحسن بن علي عن ابيه رضي الله عنهما في سبب تحريم الخمر قال فيها : « كـان لـي شارف ــ اي ناقة ــ من نصيبي يوم بدر ، واعطانـي رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ شارفا من الخمس ، فبينما شارفاي مناختان الى حجرة رجل من الانصار فجئت ، فاذا شارفي قد جبت ــ اي قطعت ــ اسنمتها ، وبقرت خواصرهما ، واخذ من اكبادهما ، فلم املك عيني حين رأيت ذلك المنظر فقلت : من فعل هذا ؟ قالوا فعله حمزة وهو في هذا البيت في شرب من الانصار ــ اي مجلس شرب غنته قينة ، فقالت في غنائها :

الا يـا حمـز للشـرف النـواء   وهـن معقـلات بالغنـاء
ضـع السـكين في اللبـات منها   وعجـل مـن قديـد او شـواء

فوثب حمـزة الى السـيف فأجـب أسنمتهمـا ، وبقـر بطونهمـا واخذ من اكبادهما • قال فأنطلقت فدخلت على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعند زيد بن حارثة ، فعرف في وجهي الذي لقيت ، فقال : مالـك ؟ فقلت يارسول الله : ما رأيت كاليوم : عدا حمزة على ناقتي فأجتب اسنمتهما، وبقر خواصرهما ، وهاهو ذا في البيت معه شرب ، فدعا صلى الله عليه وسلم بردائه فأرتداه ، ثم انطلق يمشي واتبعناه حتى جاء البيت الذي فيه حمـزة ، فأستأذن فأذن له ، فاذا هم شرب ، فطفق صلى الله عليه وسلم يلوم حمزة في فعله ، فاذا حمزة ثمل محمرة عيناه ، فنظر الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، ثم صعد النظر فنظر الى وجهه ، ثم قال : وهل انتم الا عبيد لابي، فعرف صلى الله عليه وسلم انه قد ثمل فنكص على عقبيه القهقرى حتى خرج وخرجنا معه ، وذلك قبل تحريم الخمر »(٦٧).

---

(٦٧) ابن الربيع الشيباني ، تيسير الوصول ، ج٢ ، ص ١٦٥ــ١٦٦ .

ان هذه الوقائع وغيرها قد ولدت شعورا لدى المسلمين بوجوب تحريم الخمر ، لذا فقد روي ان عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ « ذكر للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ عيوب الخمر ، وما ينزل بالناس من اجلها ، ودعى الله في تحريمها وقال « اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا » فنزلت آية (إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ...).. فقال عمر : انتهينا ، انتهينا[٦٨] . ويلاحظ انه على الرغم من ان القرآن الكريم قد حرم شرب الخمر تحريما قاطعا في الآية المشار اليها أنفا ، الا انه لم يضع عقوبة محددة لمعاقبة مرتكبي هذا العمل . لذا فقد تولى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وضع هذه العقوبة .. ويبدو مما وصل الى ايدينا من احاديث انه كان يراعي ظروف كل حالة عند الامر بايقاع العقاب .

عن انس ــ رضي الله عنه ــ قال : « ضرب النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ في الخمر بالجريد ، والنعال ، وجلد ابو بكر ــ رضي الله عنه ــ اربعين » اخرجه الخمسة الا النسائي . في رواية للترمذي : « أتي رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ برجل قد شرب الخمر فجلده بجريدة نحو اربعين ، وفعله ابو بكر ، فلما كان عمر ــ رضي الله عنه ــ ، استشار الناس ، فقال عبدالرحمن بن عوف : اخف الحدود ثمانين ، فأمر به عمر ــ رضي الله عنه ــ »[٦٩] . وفي رواية للامام مالك ان علي بن ابي طالب ــ رضي الله عنه ــ قال لعمر : « ارى ان تجلده ثمانين جلدة ، فانه اذا شرب سكر ، واذا سكر هذى ، واذا هذى افترى ، فجلد عمر ــ رضي الله عنه ــ ثمانين جلدة في حد الخمر »[٧٠].

---

(٦٨) القرطبي ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص ٢٨٦ .
(٦٩) ابن الربيع الشيباني ، جامع الاصول ، ج٢ ، ص ١٥ــ١٦ .
(٧٠) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٦ .

وقد اخرج ابو داود حديثا في هذا المجال جاء فيه ان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ اتي بشارب خمر وهو بحنين اي في حوالي السنة الثامنة للهجرة ، « فحثى في وجهه التراب ، ثم امر الصحابة فضربوه بنعالهم وما كان في ايديهم حتى قال لهم : إرفعوا ...»[٧١].

يظهر مما تقدم ان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يراعي ظروف كل حالة عند تقرير عقوبة شارب الخمر وانه لم تزد في عهده عن اربعين جلدة ، إلا ان هذه العقوبة ضوعفت منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ ربما بسبب تغير ظروف واوضاع المجتمع واجتراء بعض الناس على شرب الخمر . علما بأن التحريم القاطع لشرب الخمر قد تم في السنة الثالثة للهجرة بعد معركة احد[٧٢].

يظهر من كل ما تقدم ان العقوبات الاسلامية جاءت استجابة لحاجات حقيقية وعميقة كانت قائمة في المجتمع العربي عند ظهور الاسلام . وانها قد قدمت العلاج لعدد من الجرائم والاوضاع السلبية التي كان يعاني منها هذا المجتمع .

---

(٧١) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٦ .

(٧٢) القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن ، ج٦ ، ص ٢٨٥ .

الشورى في النظم العربية الاسلامية(*)

ا. د. توفيق سلطان اليوزبكي
كلية الآداب ــ جامعة الموصل

الملخـــص

كان العمل بالشورى جزءاً من السلوك الاجتماعي والسياسي عند العرب قبل الاسلام ، واصبحت مع فجر الاسلام جزءا من قواعد الشريعة الاسلامية . فقد حث القرآن الكريم على الشـــورى في آيتـــين (وأمرهم شورى بينهم) و (شاورهم في الامر) ، واستمدت السيرة النبوية نهجها من فيض القـــرآن الكريم فكان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يتشاور مع اصحابه في مختلف شؤون المسلمين . وجاءت الشورى في عصر الراشدين مفتاحاً لحل الازمـــات التي واجهوها.وفي العصرين الاموي والعباسي كانت الشورى علاجاً لكثير من الاحداث فقد استعانوا بأهل العلم والحكمة واهل الرأي في التشاور .

---

* للتفاصيل انظر (الشورى في الدولة العربية الاسلامية حتى نهاية العصر الامـوي) رســالة دكتـــوراه غـير منشـــورة اشـرف عليها الدكتـــور توفيق سلطان اليوزبكي ، واعدها الطالب خيري شيت شكر/كلية الاداب/ جامعة الموصل ، ١٩٩٦ .

تعد الشورى حاجة انسانية يقتضيها طابع العلاقة بين البشر في احكام شؤون الحياة الاجتماعية والسياسية وغيرها ، وان تلك الحاجة واحدة سواء في المجتمعات المتمدنة ام المجتمعات البدائية ، فلا غنى عنها عند الحاكم والمحكوم لانها تحتكم الى التعامل الاخلاقي في ادارة امور الحياة الخاصة والعامة ، ومما يصعب على الباحث ان يجد تحديدا زمانيا او مكانيا نشأة ظاهرة الشورى لطبيعة التكوين البشري واثر العامل الاجتماعي والسياسي وطبقا لدرجة التطور والوعي العام . فظاهرة الشورى ثمرة ظرفها وبيئتها ، وهي وان اختلفت في صفاتها الفنية والادارية وطريقة ممارستها لكنها واحدة سواء في المجتمعات العرفية او الدستورية لاتفاقها في الظاهر في موضوع تبادل الآراء والافكار وصولا الى افضلها ، لذلك فان العمل بالشورى كان جزءا من السلوك الاجتماعي والسياسي عند العرب منذ ابتداء الحضارة العربية واصبحت مع فجر الاسلام جزءا من قواعد الشريعة الاسلامية .

مصطلح الشورى ودلالاتها :

ان لمفردة (الشورى) معنى دلاليا شاملا يتعلق بالعامل الاجتماعي والسياسي ، وقد امتلكت عمقا لا يستهان به في حياة العرب قبل ظهور الاسلام وبعده ، والشورى في مصطلح اللغة مشتقة من كلمة (شور) من اشار العسل اي استخرجه من الوقبة واجتباه[1] . وتأتي بمعنى المؤامرة لتدل على اجتماع

(١) ابن منظور : لسان العرب (مادة شور) جـ٢ ص٣٧٩ ، ابن الاثير : النهاية في غريب الحديث جـ٢ ص٤٠ .

الاراء كما في قوله تعالى (ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك[٢])، ويتسع مفهوم الشورى ويتعدى حدود المعجم فيأخذ شكل المناظرة وتبادل الاراء[٣] • كما في قول النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ (لقحوا عقولكم بالمذاكرة ، واستعينوا على اموركم بالمشاورة)[٤] ، وبذلك تنشط العقول وتتحقق افضل الغايات ولذا قال بشار بن برد[٥] :

اذا بلغ الرأي المشورة فاستعن برأي لبيب او مشورة حازم

وقد عد الفقهاء والمحدثون الشورى لازمة لصاحب لامر ، وهي الملجأ او الملاذ لانها من قواعد الشريعة وعزائم الاحكام[٦] • وهي لازمة لما جاء في قوله تعالى للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ (وشاورهم في الامر)[٧] وقوله تعالى ايضا (وأمرهم شورى بينهم)[٨] • وقد تمثل النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ هذا المعنى الكريم فقال مخاطبا المسلمين (اذا كان امراؤكم خياركم واغنياؤكم سمحائكم وامركم شورى بينكم فظهر الارض خير من بطنها)[٩] • وبذلك فأن الشورى ركن من اركان النظام الاسلامي كما له علاقة وثيقة بتطبيق الشريعة وما يتعلق منها بشؤون الادارة وسياسة الحكم •

---

(٢) سورة القصص الآية ٢٠ .
(٣) الدوري : الشورى بين النظرية والتطبيق ص٣٥ .
(٤) الشيزري : المنهج المسلوك ص٤٧٩ .
(٥) ابن نباتة : سرح العيون ص١٧٥ .
(٦) تفسير القرطبي ج٤ ص٢٤٩ .
(٧) سورة آل عمران الآية ١٥٩ .
(٨) سورة الشوري الآية ٣٨ .
(٩) انظر نص الحديث في تفسير القرطبي ج١٦ ص٣٨ .

الشورى في انظمة الحكم عند العرب قبل الاسلام

١ . الشورى في النظام القبلي :

القبيلة : هي الوحدة السياسية التي يبنى عليها النظام الاجتماعي عند العرب ، وهي تمثل جماعة من الناس ينتمون او يزعمون انهم ينتمون الى جد واحد مشترك انحدروا منه مما اوجد شعورا بالتماسك والاندماج والعصبية القائمة على اساس الدم(١٠) . وقد اضطر ابناء القبيلة الانضواء تحت لواء قائد محنك يبغي وحدتهم ويحفظ كيانهم وسموا هذا القائد بالشيخ والرئيس والسيد والامير(١١) . يكون ممن يتصف بالشجاعة والنجدة والمروءة والجود والحلم والبيان وقوة الحجة(١٢) لذلك فان وجوده ضرورة لازمة لقيادة القبيلة ، قال الشاعر :

لا يصلح القوم فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا(١٣)

ويتولى انتخاب رئيس القبيلة (مجلس شورى القبيلة) ويتكون من رؤساء ألاسر والمتنفذين وكل من بلغ الاربعين من العمر ويتمتع العضو بحرية تامة بالتحدث في اجتماعات المجلس(١٤) . وكانت القبيلة تناظر شؤونها في مجلسها الذي جاء بتسميات متعددة فهو المجلس(١٥) والنادي(١٦) ومنه دار الندوة(١٧).

---

(١٠) القلقشندي : صبح الاعشى جا ص٣٠٨ ، اليوزبكي : النظم العربية الاسلامية ص٢٩ .

(١١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ جـ٢ ص٢٢١ ، ابن هشام : السيرة النبوية جا ص١٧١ .

(١٢) ابن دريد : الاشتقاق ص٢٤٩ .

(١٣) ابن منقذ : لباب الالباب ص١٧٥ ، الالوسي : بلوغ الارب ج٣ ص١٠٦ .

(١٤) اليوزبكي : النظم العربية الاسلامية ص٣٠ .

(١٥) الطبري : تفسير جه ص١٤٦ .

(١٦) ابن منظور : لسان العرب (مادة نده) ج٣ ص٦١٠ .

(١٧) الرازي : تفسير جا٣ ص٢٥ ، ابن منظور : لسان العرب ج٣ ص٦١٠ .

ان ممارسة الشورى وتبادل الرأي كان أفضل السبل للمحافظة على تماسك القبيلة لذلك حظي مجلس شورى القبيلة بمكانة متميزة بين ابناء القبيلة ، وقد شبههم الشعر بالاوتاد والعمد كما في قول الافوة الاودي الذي يجسد ذلك(١٨) :

والبيت لا يبتنى الا على عمد ولا عماد اذا لم ترس اوتاد

ب . الشورى في الممالك والحواضر العربية :

اولا : الشورى عند المناذرة في العراق

كانت الحيرة عاصمة دولة المناذرة في العراق ، فقد وقع على ملوكها مسؤولية سياسية واجتماعية في تحقيق التوازن بين قبائلها مما ادى الى تكوين مجلس ملكي شوري يتكون من رؤساء القبائل ووجوهها والمستشارين والندماء ، ويرأسه الملك الذي كان يعد مرجعا للاستشارة ، وقد وصفهم مؤرخونا بأنهم (الثقاة)(١٩) و (العظماء)(٢٠) و (أهل الرأي)(٢١) و (وأهل الحجى والنهي)(٢٢) و (الاصحاب)(٢٣) و (الروادف)(٢٤) فقد كان (قصير بن سعد)(٢٥) المستشار الخاص لجذيمة الوضاح يرجع اليه في تدقيق صحة

---

(١٨) الآلوسي : بلوغ الارب ج٣ ص١٠٦ .
(١٩) ابن الاثير الكامل ج١ ص١٩٩ .
(٢٠) الجاحظ : المحاسن والاضداد ص١٥١ .
(٢١) ابن حبيب : اسماء المغتالين ص١١٣ .
(٢٢) الطبري : تاريخ ج١ ص٦١٩ .
(٢٣) اليعقوبي : تاريخ ج١ ص١٨٠ ، المسعودي : مروج الذهب ج٢ ص٩٣ .
(٢٤) الروادف : جمع (رديف) وارداف العرب (عند المناذرة) كانوا يخلفون الملوك في القيام بأمر المملكة ... فاذا غزا الملك قعد الردف موضعه حتى يعود (ابن منظور ج١١ ص١٣) .
(٢٥) (قصير) ضربت به الامثال في حكمته فقالوا (لو اطيع قصير) الطبري : تاريخ ج١ ص٦٢٢ .

اهل الشورى ، وقد ادى (الروادف) دورا مهما في حياة المناذرة السياسية والاجتماعية فكانوا بمثابة الوزراء في العصر العباسي[٢٦] . وتعبر اوصاف اهل الشورى عن رقي ممارسة الشورى لدى المناذرة في ادارة شؤون المملكة .

ثانيا : الشورى في بلاد الشام

تعاقب على بلاد الشام عدد من الاسر العربية التي حكمت فيه ومنها : دولة الانباط . فقد كان النظام السياسي يقوم على اساس الملكية ، وكان الملك يستعين بمجلس شعبي للتشاور في امور المملكة واحيانا حتى في حياة الملك الخاصة ، وللمجلس صلاحية مناقشة الاساليب التي يتبعها الملك كما تحيط بالملك طبقة من كبار الاغنياء يقال للواحد منهم (اخ ملكا) اي (أخا الملك) ، ويبدو انهم كانوا يستشارون وينظرون في الامور العليا في المملكة[٢٧] .

اما في دولة تدمر :فان النظام السياسي فيها كان يقوم أيضا على اساس الملكية ويعاون الملك مجلس الشيوخ من اصحاب الجاه والسن والثروة ، وله صلاحية سن القوانين يدعى بولي (Boule) ومجلس للعشائر يدعى كل منها بالديموس (Damos) [٢٨] . وتتولى هذه المجالس ادارة امور الدولة الادارية والمدنية عند حدوث الازمات السياسية والعسكرية .

اما نظام الحكم لدى الغساسنة : فكان يقوم هو الاخر على اساس الملكية الوراثية وكان الملك ينتقل من الاب الى الابن ، ولم يكن الملك يمارس سلطانه في الحكم او القيادة بصورة مطلقة بل كان يراعي في حكمه قاعدة الشورى ، فكان يستشير اعيان قومه ورؤساء القبائل في امور الدولة قبل

---

(٢٦) اليوزبكي : الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية ط٢ ص١٧ .

(٢٧) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج٣ ص٥٧ .

(٢٨) العلي : محاضرات في تاريخ العرب ص٥٢ .

اتخاذ اي قرار لان هؤلاء الاعيان كانوا يمثلون قبائلهم ويضطلعون بمعظم المهمات الواجب تنفيذها سواء في اوقات السلم او الحرب[٢٩].

ثالثا : الشورى في الجزيرة العربية

١ . الشورى في اليمن

كانت اليمن ممن تعاقب على حكمها عدد من الاسر منها : المعينيون وكان الحكم السائد فيها الملكية الوراثية يعاون الملك هيئة استشارية مكونة من بعض المقربين ورجال الدين وسادات القبائل ورؤساء مجالس المدن بمساعدته في الادارة والتشريع[٣٠] . ففي المقاطعات وجدت مجالس (المسود) وهو من الاشراف الذين كان لهم ممثلوهم في المجلس الملكي الاعلى الذي يقوم بفض الخلافات واتخاذ القرارات ، وهناك مجلس خاص بالكهان يسمى (عم)[٣١] وكان للملك كما يبدو ان يتجاوز احيانا مشاورات المجالس بما يمتلكه من حق مقدس في الحكم[٣٢].

أما في مملكة قتبان : فان ظاهرة الشورى كانت واضحة في ادارة المملكة وخدمت النقوش التي عثر عليها في تسليط الضوء على عمل المجالس الموصوفة بالنشاط الدستوري ، وعندما كانت الارادة الملكية ترغب في فرض ضرائب او زيادتها فانها تعلم المجالس المحلية لدراستها ورفع خلاصة المشاورات الى (مجلس الرأي الاعلى) الذي يرأسه الملك لاصدار القرار الملكي[٣٣] . كما يشار الى وجود مجلس الاشراف (عهرو) ويضم العقلاء والوجهاء الذين

---

(٢٩) بيغوليفسكيا : العرب على حدود بزنطة وايران ص٢٨٩ .

(٣٠) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام جـ٢ ص١٠٩ .

(٣١) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام جـ٥ ص٢١٤ ، ص٢١٥، ص٢٢٦ .

(٣٢) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام جـ٥ ص٢١٤ .

(٣٣) رودو كوناكيس : الحياة العامة للدول العربية الجنوبية ص١٣٢–١٣٣ .

تناط بهم مهمة مناقشة التعليمات الملكية والمشاكل القبلية وما يتعلق بسياسة البلاد الخارجية والاوضاع الاقتصادية[٣٤] . ويتكون (المجلس الاعلى) من الاشراف واهل الرأي من مجلس (عهرو) ومن شيوخ الافخاذ ومن رجال الدين الذين هم بدرجة (رشو)[٣٥] ومن رؤساء الدوائر وهم (الاقيان) ومن اصحاب الامتيازات والاغنياء من مجلس (فقضت) يتدارس الملك معهم فيما يتعلق بالامن والعلاقات السياسية وتصدر بلفظة (جزمن) اي جزم الملك رأيه[٣٦].

أما في الدولة الحميرية : فكان الملك يستعين بالمستشارين الذين يتكون منهم مجلس الشورى يقيم معه[٣٧] . يتكون من (المثامنة) حيث اعتمد الملك على ثماني قبائل في اليمن وكل قبيلة ترشح عشرة من اقدر رجالها الى المجلس الاعلى[٣٨] . لهم دور مؤثر في رسم السياسة الملكية وكذلك من (الاقيال او الاقوال)[٣٩] الذين امتلكوا صلاحية العزل والتنصيب وكانوا يتمتعون بالحكم عند غياب الملك ويتشاورون بانتخاب من يليق بالملوكية من مجلس المثامنة .

وفي حضرموت : كان الحكم يقوم على الملكية الدستورية ، ولم يستطع الملك ان ينفرد وحده في ممارسة السلطة بل اشرك معه ممثلين من الاشراف

---

(٣٤) حداد : تاريخ اليمن السياسي ص١٢٧ .
(٣٥) رودو كوناكيس : الحياة العامة للدول العربية الجنوبية ص١٣٩ .
(٣٦) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام جـ٥ ص٢٤١-٢٤٢ .
(٣٧) الحميري : ملوك حمير واقيال اليمن ص٥٣ .
(٣٨) علوان : الشورى في الجزيرة العربية ص٤٨ .
(٣٩) الاقيال : اختلف في مكانة (الاقيال) فقيل : هم الملوك (ابن ثعلب : المجالس جـ١ ص٣٢٥) ، وقيل : هم دون الملوك (ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ٢ ص٢٤) ، وقيل : هم القادة العسكريون (الطبري : تاريخ جـ١ ص٢٩١) وقيل هم شيوخ القرى (الاصفهاني : تاريخ سني ملوك الارض ص١٢٤) .

ورؤساء القبائل وكبار الملاكين مكونين المجلس العام[٤٠] وكان هؤلاء يختارون بالانتخاب ويمارسون مهامهم الاستشارية على وفق دستور البلاد[٤١].

أما في مملكة سبأ : فكانت الملوكية وراثية حيث جاءت بلقيس بعد ابيها الهدهاد بعد طول نظر وتشاور من قبل المجلس الشعبي بحكم الكفاءة وحسن التدبير والرأي[٤٢] . وكان المجلس الشوري يمتلك حق العزل والتنصيب[٤٣]. واتخاذ القرارات حيال القضايا المهمة وقد ظهر ذلك واضحا عند ورود كتاب النبي سليمان (عليه السلام) يدعوها الى السلام[٤٤] . فلجأت الى مستشاريها لمناقشة الامر واتخاذ الموقف حياله[٤٥] . فأشاروا عليها باتخاذ القوة العسكرية ولم توافقهم ففوضوها باتخاذ القرار المناسب الذي اشار اليه القرآن الكريم على لسان اهل الشورى (قالوا نحن اولو قوة وأولو بأس شديد والامر اليك فانظري ماذا تأمرين)[٤٦] فشخصت الى النبي سليمان (عليه السلام) مستسلمة فيمن معها من القبائل[٤٧].

وفي مدن اليمن يشار الى مجالس محلية تضم الوجهاء وكبار الملاكين ، ومجالس القبائل في الارياف وكان يطلق عليهم (الاسياد) ويدخل في اهل الشورى الوجوه البارزة من اهل الرأي من رجال الدين[٤٨].

---

(٤٠) الملاح : الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام ص٥٠ .
(٤١) علي : التاريخ العام لبلاد العرب الجنوبية ص٢٧٩ .
(٤٢) ابن حبيب : المحبر ص٣٦٧ ، جواد علي : المفصل : ج٤ ص٢٦٢ .
(٤٣) جواد علي : المرجع السابق ج٢ ص٣٢١ .
(٤٤) قالت : (يأيها الملؤ اني القي الي كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم) سورة النمل الآية ٢٩-٣٠ .
(٤٥) قالت : (يأيها الملؤ افتوني في أمري ما كنت قاطعة امراً حتى تشهدون) سورة النمل الآية ٣٢ .
(٤٦) سورة النمل : الاية ٣٣ .
(٤٧) جواد علي : المفصل ج٥ ص٢٢٧ .
(٤٨) جواد علي : المفصل ج٥ ص٢٢٩-٢٤١ .

ب ـ الشورى في مكة

تعود بدايات التنظيم الاداري والسياسي والاجتماعي في مكة بشكله البسيط الى ايام قصي بن كلاب(٤٩) الذي كانت قريش تستشيره في كافة احوالها(٥٠) وهو الذي بنى دار الندوة(٥١) ليلتقي الوجوه من رؤساء الشعاب للسمر او التشاور في شؤون الحكم(٥٢) فأصبحت المقر الرسمي لحكومة قصي ، ولم يكن يدخلها الا من بلغ الاربعين على اساس انه سن النضج عند العرب(٥٣) . ما عدا بعض الاستثناءات فقد دخلها حكيم بن حزام وهو في الخامسة عشرة ، وابو جهل عمرو بن هشام وهو ابن الثلاثين لجودة رأيه وحدة ذكائه(٥٤) . وقد دخلها وجوه القبائل واشراف الناس وحكماؤهم الذين يرجع اليهم ، وكانوا يتشاورون في الشؤون العامة من سياسية ودينية واقتصادية واجتماعية(٥٥) . وقد وصفهم القرآن الكريم بـ (الملأ)(٥٦) ووصفهم الجاحظ : بأنهم عظماء قريش وكبراء العرب وذوو الاخطار من كل قبيلة وذوو الاسنان من كل جيل(٥٧) . والمتتبع لتاريخ مكة يجد ما يشير الى ممارسات شورية في نواحي الحياة العامة فيها فقد حضر الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعض تلك المشاورات قبل البعثة النبوية ، وقد ذكر تلك المشاورات

---

(٤٩) ابن حبيب : المحبر ص١٦٦ .

(٥٠) الطبري : تاريخ جـ٢ ص٢٥٩ ، البيهقي : المحاسن والمساوىء ص٩٢ .

(٥١) سميت بدار الندوة لأن ملأ مكة كانوا ينتدون فيها ويتشاورون في حروبهم وامورهم ، البلاذري : انساب الاشراف جـ١ ص٢٢ .

(٥٢) اليعقوبي : تاريخ جـ١ ص٢١٠ ، الطبري : تاريخ جـ٢ ص٢٥٩ .

(٥٣) البخاري : التاريخ الكبير جـ١ ص٨ ، ابن دريد : الاشتقاق ص١٥٥ .

(٥٤) الجاحظ : رسائل الجاحظ جـ١ ص٣٠٠ .

(٥٥) البلاذري فتوح البلدان ص٦٤ ، الطبري : تاريخ جـ٢ ص٢٥٩ .

(٥٦) الملأ : وقد احصي مصطلح (الملأ) في القرآن الكريم في اكثر من (٢٥) موضعا ، انظر المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ص٦٧٢ .

(٥٧) الجاحظ : رسائل الجاحظ جـ١ ص٢٦٩ .

بقوله (صلى الله عليه وسلم) : (لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفا ما احب ان لي به حمر النعم ولو ادعي به من الاسلام لاجبت)(٥٨) • وفي حرب الفجار التي تعد من الايام البارزة في حياة العرب نشطت الشورى بشكل كبير(٥٩) • وكثيرا ما كان (مجلس الملأ) يتولى اصلاح ذات البين بين وجوه الملأ(٦٠) • كما ادت الشورى دورا سياسياً واجتماعيا في منع وقوع الازمات والحروب(٦١) • ففي حادث تجديد الكعبة الذي مثل فيه الحجر الاسود اساس المشكلة لمكانته المقدسة وشرف حامله(٦٢) • نجد ان وجوه مكة تحكّم الصادق الامين محمد (صلى الله عليه وسلم) وهو دون الاربعين لصفاته من صدق وامانة وقوة الحجة والحكمة للاشارة برأيه على اهل الحنكة والخبرة(٦٣)•

ولاهمية الشورى عند اهل مكة استحدثوا وظيفة (الشورى) او (المستشار) كان صاحبها يستشار في الامور المهمة فلم تكن قريش تجمع على امر حتى يعرضوه عليه(٦٤)•

الشورى في عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم)

اولا : الشورى والدعوة الاسلامية في مكة :

بعد ظهور الاسلام في مكة كان المسلمون الاوائل يتشاورون فيما بينهم في مختلف شؤون الدعوة الاسلامية وهناك ما يؤيد تبادل الرأي في اعلان الدين

---

(٥٨) ابن هشام : السيرة النبوية ج١ ص١٢٤ ، الثعالبي : ثمار القلوب ص١٤٢ .
(٥٩) ابن حبيب : المحبر ص١٦٧ .
(٦٠) الطبري : تاريخ ج٢ ص٢٥٣ .
(٦١) العسلي : الشورى في مكة ص ٧٦ .
(٦٢) الطبري : تاريخ ج٢ ص٢٩٠ .
(٦٣) ابن هشام : السيرة النبوية ج١ ص١٨٢ .
(٦٤) هو : يزيد بن زمعة الاسود (انظر جواد علي : المفصل ج٥ ص٢٤٨) .

الجديد في الكعبة[٦٥] فقد اشار عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ على الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالخروج من دار الارقم والصلاة في جوف الكعبة امام الملأ المكي[٦٦] . ثم ان لقاء الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالوافدين الى مكة في الحج ومشاوراته مع وافدي القبائل الى يثرب كشف عن اعلان مبدئيا بقبول الاسلام[٦٧] . ان وفد العقبة الاولى طلب الاذن من الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأن يتشاوروا في يثرب مع قبائلهم كما كانت بيعة العقبة الكبرى موضعا لعقد مشاورات ضم اكثر من سبعين من المؤمنين ، اربعون منهم من ذوي اسنانهم واشرافهم فضلا عن ثلاثين شابا من الاوس والخزرج مع حضور امرأتين من الانصار وكان موضوع الهجرة الى يثرب من ضمن ما تشاوروا عليه يومئذ .

ثانيا : الشورى في القرآن الكريم والسيرة النبوية :

حث القرآن الكريم على الشورى وخص المسلمين بآيتين احداهما مكية ، قال الله تعالى (وأمرهم شورى بينهم)[٦٨] والثانية مدنية نزلت بعد معركة احد، قال تعالى (وشاورهم في الامر)[٦٩] مما يعطي طابع التواصل في الشورى اينما حل الاسلام .

فالشورى على وفق المعنى الظاهر للآيتين محببة وأمرية ، ولم يكن نزول الآية الآمرية (وشاورهم في الامر) بسبب خسارة المسلمين في معركة احد ، فان الرسول (صلى الله عليه وسلم) استشار اصحابه في الخندق ٥هـ=٦٢٦م

---

(٦٥) الطبري : تاريخ جـ٢ ص٣٣٤ ـ ٣٣٥ .
(٦٦) البيهقي : المحاسن والمساويء ص١١٢ ، ابن الجوزي : مناقب عمر بن الخطاب ص١٣ ، ص١٨ .
(٦٧) ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ١ ص٢١٧ـ٢٢٠ ، ابن عبدالبر : الاستيعاب جـ١ ص٨٠ .
(٦٨) سورة الشوري : الآية ٣٨ .
(٦٩) سورة آل عمران : الآية ١٥٩ .

ليؤكد انه لم يعد في قلبه شيء تجاه من اكرهه على الخروج من المدينة[٧٠] . الى احد ، ولكن ارتباط الشورى بفرض الزكاة والصلاة لقوله تعالى (والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون)[٧١] ولكون النبي (صلى الله عليه وسلم) يشاور في امور الدنيا ومصالحها اوجب الله تعالى الشورى دينا ودنيا[٧٢] . ولان قول الله تعالى يفيد العموم في كل نواحي الحياة لكي لا ينفرد اولي الامر برأي حتى يتشاوروا فيه[٧٣] . فيما لا وحي فيه[٧٤] . لتحقيق الصلاح والاسهام في تحقيق النصيحة الى من طلب منه النصح كما ورد في قول الامام الغزالي (من حقوق المسلم ان تنصح له اذا استنصحك)[٧٥] فان الشورى من الله أدّب لله تعالى لنبيه عليه السلام مما جعلها مأدبة لسائر الملوك والامراء والسلاطين لما في المشاورة من حسن الادب[٧٦] . ولتكون سنة للمؤمنين بعد النبي (صلى الله عليه وسلم) فيما حل بهم من امر[٧٧] . وفيها استمالة قلوب المؤمنين وتطبيب نفوسهم[٧٨] فتحقق بها المشاركة الجماعية ويشعر كل واحد من المستشارين بحقه وحق الاسلام الذي اوجبها عليه .

اما الشورى في السيرة النبوية : فقد استمدت روحها من فيض القرآن الكريم الذي لم يعط للرسول (صلى الله عليه وسلم) وولاة الامر من بعده خيارا الا الانقياد الى الشورى[٧٩] . ولما نزّل قوله تعالى (وامرهم شورى

---

(٧٠) شلتوت : الاسلام عقيدة وشريعة ص٤٥٨ .
(٧١) سورة الشوري : الآية ٣٨ .
(٧٢) الماوردي : أدب القاضي جا ص٢٥٩ .
(٧٣) تفسير ابن الجوزي : ج٧ ص٢٩١ .
(٧٤) تفسير ابن كثير : ج٦ ص٢٠٨ .
(٧٥) الغزالي : أدب الصحبة والمعاشرة ص٣٢٠ .
(٧٦) الطرطوشي : سراج الملوك ص٩٣ .
(٧٧) الشافعي : الأم ج٧ ص٩٥ ، تفسير الطبري ج٤ ص١٥٢ .
(٧٨) تفسير الكشاف جا ص٤٣٢ ، النويري : نهاية الارب ج٥ ص١٩ .
(٧٩) ابن تيمية : السياسة الشرعية ص١٣٥ (الاغنى لولي الامر عن المشاورة).

بينهم) و (شاورهم في الامـر) ، قـال الرسـول (صلى الله عليه وسلم)[٩] : (اما ان الله ورسوله لغنيان عنها ولكن جعلها الله رحمة لامتي فمـن استشار منهم لم يعدم رشدا ومن تركها لم يعدم غيا)[٨٠] وقال ايضا (لقحوا عقولكم بالمذاكرة واستعينوا على اموركم بالمشاورة)[٨١].

ففي التشاور حول اسرى بدر ٢هـ/٦٢٣م ترك الرسول (صلى الله عليه وسلم) الامر شورى بين المسلمين فقبل ما اشار به ابو بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ بعدم قتلهم ، وترك رأي عمر بن الخطاب بقتلهم[٨٢] وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يشرك الجميع في ابداء الرأي لاجل التوصل الـى رأي صحيح يعمل به للمشاورة من فضل ونفع للمسلمين[٨٣] . ففي معركة احـد ٣هـ/٦٢٤م تكشف احداث السيرة النبوية عن عقد مجلس موسع للشـورى انعقد في مسجد المدينة ورأسه النبي (صلى الله عليه وسلم) وقد حبذ اهـل الرأي والخبرة من الصحابة عدم الخروج[٨٤] . لكن النبي (صلى الله عليـه وسلم) على الرغم من رأيه بعدم الخروج خارج المدينة لملاقاة مشركي قريش الا انه اثر الموافقة على رأي الاكثرية في الخروج[٨٥] . ان خسارة المسلمين في معركة احد قدمت درسا للمسلمين المتشاورين في معركة الخندق دفعهم الـى الاجتهاد ووحدة الرأي على البقاء في المدينة[٨٦].

ان مبدأ العمل في الشورى من خلال السيرة النبوية لم يكن مقصـورا على الجوانب العسكرية او السياسية فحسب فقد شمل كل نواحي الحياة ،

---

(٨٠) الالوسي : روح المعاني جـ١ ص٧٠٦ .
(٨١) الراغب الاصفهاني : محاضرات الادباء جـ١ ص٤١ ، الشيزري : المنهج المسلوك ص٤٧٩ .
(٨٢) سنن الترمذي : جـ٣ ص١٢٩ .
(٨٣) تفسير الطبري جـ٤ ص١٢٤ ، الماوردي : الاحكام السلطانية ص ٥٣ .
(٨٤) اليعقوبي : تاريخ جـ٢ ص٤٠ ، ابن حزم : جوامع السيرة ص١٥٦ .
(٨٥) ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٢ ص٣٨ .
(٨٦) الطبري : تاريخ جـ٢ ص٥٦٦ .

وكل امر لم يوحى للرسول (صلى الله عليه وسلم) بشأنه ، فقد شاور الرسول (صلى الله عليه وسلم) في مصاهرة علي بن ابي طالب ــ رضي الله عنه ــ[٨٧] وشاور المسلمين في الاذان[٨٨] • وشاور في امر تولية الصحابي معاذ بن جبل على اليمن[٨٩] • وشاور عائشة ــ رضي الله عنها ــ في النفقة[٩٠] • واستشار الصحابة في مسألة توزيع غنائم هوازن وخيرهم[٩١].

والمتتبع للسيرة النبوية يجد ما يشير الى ان احكام اهل الشورى لم تكن مطلقة القبول عند النبي (صلى الله عليه وسلم) فقد رفض بعض اراء الصحابة ، فرفض ما اشار اليه عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ بقتل حاطب بن ابي بلتعة الذي سرب بعض اخبار المسلمين الى قريش لعدم عقده النية على فعله ولانه من اهل بدر[٩٢] • ولم يأخذ النبي (صلى الله عليه وسلم) برأي علي بن ابي طالب ــ رضي الله عنه ــ الذي اشار عليه باستخدام ذهب مكة عند فتحها في حروبه[٩٣].

وفي السيرة النبوية ما يؤكد حرية الرأي فقد اعترض الصحابة على تأمير اسامة بن زيد على وجوه المهاجرين والانصار ، ومنهم ابو بكر وعمر في الحملة الى مشارف الشام ١١هـ/٦٣٢م فقال الرسول (صلى الله عليه وسلم) بان تكريمه لاسامة هو تكريم لابيه زيد بن حارثة الذي استشهد في معركة مؤتة ٨هـ/٦٢٩م وقال لهم : استوصوا به خيرا فانه من خياركم[٩٤].

---

(٨٧) التوحيدي : رسالة السقيفة ص١٣ ، ابن تيمية : الصارم المسلول ص٤٨.
(٨٨) صحيح البخاري : (الآذان) جـ١ ص١١٤ .
(٨٩) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص٥٢ .
(٩٠) صحيح البخاري : (تفسير سورة الاحزاب) جـ٣ ص٧٥ .
(٩١) صحيح البخاري : (كتاب الهبة وفضلها) جـ٢ ص٩٤ .
(٩٢) الطبري : تاريخ جـ٣ ص٤٩ .
(٩٣) ابن الزبير : الذخائر والتحف ص ١٥٥ .
(٩٤) صحيح البخاري : (مناقب زيد بن حارثة) جـ٢ ص٣٠٣ .

اهل الشورى في عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) :

تروي مصادر التاريخ الاسلامي وكتب الفقه تسميات عديدة لاهل الشورى منهم : (اهل بدر)[٩٥] ويوصف كذلك بـ (المهاجرين الاولين)[٩٦] و (الانصار)[٩٧] ووصفت السنة النبوية اهل الشورى بـ (العترة) بقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : (ان عترتي كسفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تأخر عنها هلك)[٩٨] ويدخل وصف اهل الشورى ضمن تسمية (الصحابة)[٩٩] وكذلك وصفوا بـ (العشرة المبشرة)[١٠٠] والنقباء (الكفلاء)[١٠١] و (اهل بيعة الرضوان)[١٠٢] الذين كرمهم الله تعالى بقوله (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة)[١٠٣].

والمتتبع لتطبيقات الشورى في السيرة النبوية يجد انها انحصرت غالبا في عدد معين من المسلمين الاوائل الموصوفين بجودة الرأي وتبصرهم

---

(٩٥) الشافعي : الأم ج٤ ص٢٥٠ ، سنن ابن ماجة (فضل أصحاب رسول الله) ج١ ص٦٩.

(٩٦) الطبري : تاريخ ج٣ ص٣٢ .

(٩٧) صحيح البخاري : (مناقب الانصار) ج٢ ص٣٠٩ ، سنن الترمذي ج٥ ص٣٧٤ .

(٩٨) الثعالبي : ثمار القلوب ص٣٩ .

(٩٩) التوحيدي : الامتاع والمؤانسة ج٢ ص٩٢ ، البسوي : المعرفة والتاريخ ج١ ص٤٨٥ .

(١٠٠) سنن الترمذي ج٥ ص٣١١ ، البيهقي : المحاسن والمساوىء ص٤٠ .

(١٠١) البغدادي : اصول الدين ص٣٠٠ ، ابن حجر : الاصابة في تمييز الصحابة ج٢ ص٣٠ .

(١٠٢) السهيلي : الروض الآنف ج٤ ص١٢٥ ، السخاوي : الاعلان بالتوبيخ ص٦٨ .

(١٠٣) سورة الفتح : الآية ١٨ .

وفراستهم[١٠٤] . وبعض رجال ملأ قريش الذين اسلموا وحسن اسلامهم[١٠٥]. وكذلك من الاصهار والمقربين[١٠٦].

ومما تقدم نجد ان بعض الاثباتات الرقمية قدر تعلق الامر بالشورى ما ذكره ابن هشام وابن سعد[١٠٧] فقد ذكرا اعداد اهل الشورى الذين يشاورهم النبي (صلى الله عليه وسلم) دائما بـ (١٠–١٢) مستشارا وهذه احصائية مستنتجة من قوله (صلى الله عليه وسلم) مخاطبا الانصار في بيعة العقبة الكبرى (اخرجوا اليّ اثني عشر نقيبا منكم يكونوا كفلاء على قومهم كما كفل الحواريون لعيسى بن مريم)[١٠٨] وتؤشر قائمة محمد عمارة عددهم بـ (١٠) من كبار الصحابة عدوا هيئة الشورى الرئيسة وهم : ابو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن ابي طالب ، وطلحة بن عبيدالله ، والزبير بن العوام ، وعبدالرحمن بن عوف ،وسعد بن أبي وقاص، وابو عبيدة بن الجراح ، وسعيد بن زيد)[١٠٩].

كما ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم يقنن الشورى ، ولم يضع لها قواعد ادارية ثابتة لتكون نظاما تشريعا تلتزم به الامة وانما ترك الخيار في تقويم الاحداث وفقا للتطور الاجتماعي والسياسي للدولة العربية الاسلامية في العصور التالية .

---

(١٠٤) الطبري : تاريخ جـ٢ ص٤٦٢ ، البخاري : التاريخ الكبير جـ٢ ص١٣٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ٨ ص٤٨ .

(١٠٥) ابن الزبير : الذخائر والتحف ص٦ ، ابن الجوزي : مناقب عمر بن الخطاب ص١١٠ .

(١٠٦) سنن ابن ماجة : (فضائل اصحاب رسول الله) جـ١ ص٥٣ ، ابن تيمية: الصارم المسلول ص٥٧٧ .

(١٠٧) السيرة النبوية جـ٢ ص٦٥ ، الطبقات الكبرى جـ٣ ص٦٠٢ .

(١٠٨) ابن حبيب : المحبر ص٤٦٤ ، الطبري : تاريخ جـ٢ ص٣٦٣ .

(١٠٩) عمارة : الشورى فلسفة الحكم ص٥٥ .

طبيعة الشورى في اجتماع السقيفة وعصر الخلفاء الراشدين

لقد احدثت وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) سنة ١١هـ/٦٣٢م قلقا شديدا لدى المسلمين فيمن يحل مكانه رئيسا للامة في وقت تؤشر بعض الدلائل في هوامش تنافس بين الشعور الاخلاقي الاسلامي وبين النزعة القبلية(١١٠) . فجاءت الشورى مفتاحا لحل لازمة التي كادت تعصف بالدولة الناشئة(١١١). ولكن التشاور وتبادل الرأي كان السبيل لتقيد الاصرار والاثرة للوصول الى الامان وسلامة الموقف(١١٢) . وهناك دلائل سياسية واجتماعية تبلورت من خلال اجتماع السقيفة منها قناعة اهل السقيفة بضرورة الانضواء تحت سلطة عليا وبأن التقوى لم تعد كافية وحدها في احتواء المستجدات السياسية ووجوب ان تدعمها الكفاية السياسية وقوة اهل الرأي لان كل اتجاه كان يرى اهليته في وراثة مكانة النبي (صلى الله عليه وسلم)(١١٣) . كما ان تصاعد الاراء التي تدعو بينهم الى التماسك وعدم التفرقة دلت بوضوح على ان بدائلهم السياسية كانت مستعجلة من خلال الاراء التي طرحها الانصار وعارضها الصحابي اسيد بن حضير الانصاري الذي خاطب الانصار قائلا ان محمدا رجل من قريش وقومه احق بميراثه وتولي سلطانه وايم الله لايراني الله انازعهم هذا الامر فاتقو الله ولا تنازعوهم ولا تخالفوهم(١١٤).

ومن خلال المشاورات التي حدثت في اثناء اجتماع السقيفة ارسيت تقاليد اجتماعية وسياسية واوجدت شعورا عاما لدى الجميع بالاخوة في الدين

---

(١١٠) البسوي : المعرفة والتاريخ جا ص٥٠٥ ، الثعالبي: ثمار القلوب ص١٤٦ .
(١١١) النويري : نهاية الأرب ج٣ ص١٤٢ ، الانصاري : الشوري واثرها في الديمقراطية ص٧٨ .
(١١٢) ابن منقذ : لباب الاداب ص٦١ ، الانصاري : الشوري ص٧٨ .
(١١٣) البخاري : التاريخ الكبير جه ص ٣٩ ، الهمذاني : شرح الصول الخمسة ص٧٦٥ .
(١١٤) ابن قتيبة : الأمامة والسياسة جا ص١٥ .

وامتثالا لقوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا)[١١٥].

وبالانتقال الى اختيار عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ لرئاسة الامة بعهد من ابي بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ انما كان اجتهادا منه ولكن بتفويض اهل الشورى الذين قالوا له : بعد ان استشارهم : رأينا يا خليفة رسول الله رأيك : قال : فلعلكم تختلفون قالوا :لا[١١٦] .

وتظهر الشورى في اثناء انتخاب عثمان بن عفان ــ رضي الله عنه ــ فقد راعى عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ مكانتهم العظيمة في الاسلام والقيمة الاجتماعية لاهل الشورى فسمى ستة منهم الذين وصفهم قائلا : ان نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم ولا يكون هذا الامر الا فيكم[١١٧]. وهم بقية العشرة المبشرة بالجنة[١١٨] . الموصوفون بانهم افاضل الامة ووجوه قريش وخواص اولي الامر ممن تحل له الخلافة[١١٩] . وقال عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ لهم تشاوروا ثم اجمعوا امركم في الثلاث فمن تأمر من غير مشورة من المسلمين فاقتلوه ، فقال : اني اخاف عليكم اختلافكم فيما بينكم فيختلف الناس[١٢٠] . وبذلك وضع الخليفة عمر بن الخطاب قاعدة انتخابية متقدمة بالزام الاقلية ان تتبع الاكثرية وقال : (ليتبع الاقل منكم الاكثر فمن

---

(١١٥) سورة النساء : الاية ٥٩ .
(١١٦) ابن شبة : تاريخ المدينة ج٢ص ٦٦٢ ، ابن الجوزي: مناقب عمر ص٢٢ الانصاري : الشورى ص٨٨ .
(١١٧) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج١ ص١٩ ، اليوزبكي : الحضارة العربية الاسلامية ص٥٠ .
(١١٨) الطبري : تاريخ ج٤ ص٢٢٨ .
(١١٩) الدوري : تاريخ صدر الاسلام ص٢٧ ، عمارة : الشورى فلسفة الحكم ص٥٨ .
(١٢٠) البلاذري : انساب الاشراف ج٥ ص٢٢ .

خالفكم فاضربوا عنقه)[١٢١] . فلما مات عمر بن الخطاب اجتمعوا فولوا امر الاصلح منهم للخلافة الى عبدالرحمن بن عوف — رضي الله عنه — الذي كان بمثابة رئيس اهل الشورى ، ولقد شاور اهل الرأي وخواص الناس وعامتهم حول من يرغبون بترشيحه للخلافة[١٢٢] . وقد استقرت الاراء على عثمان بن عفان — رضي الله عنه — وعلي بن ابي طالب — رضي الله عنه — فلجأ عبدالرحمن بن عوف الى جعل التمسك بالقرآن الكريم والسنة النبوية وهدي الخليفتين ابي بكر وعمر — رضي الله عنهما — اساسا للمفاضلة في ترشيح احدهما الى رئاسة الامة[١٢٣] . فترشح عثمان بن عفان — رضي الله عنه — الذي لم ير العمل بالاجتهاد بل التمسك نصا بالقرآن والسنة ومنهج سلفيه — رضي الله عنهما —[١٢٤].

وكان استشهاد الخليفة عثمان بن عفان — رضي الله عنه — سنة ٣٥هـ = ٦٥٥م قد جعل بيعة الامام علي بن ابي طالب — رضي الله عنه — تسهم في تنشيط ممارسة الشورى ، فحينما طلب اليه اهل الرأي من اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ان يتولى الامر قال : (لا تعجلوا فان عمر كان رجلا مباركا وقد اوصى بها شورى)[١٢٥] وكان الامام علي يلتزم منهج عمر بن الخطاب في الشورى ويقول (ما جئت لأحل عقدة شدها عمر)[١٢٦] . وحينما وقعت الفتنة بين الامام علي ووالي الشام معاوية بن ابي سفيان لعبت الاراء الجانبية لمستشاري كلا الطرفين دورا في تعقيد الظرف السياسي وافتراق الاراء التي مهدت لاغتيال الامام علي واستشهاده[١٢٧]

---

(١٢١) البلاذري : انساب الاشراف جـ٥ ص١٨ .
(١٢٢) الانصاري : الشوري وأثرها في الديمقراطية ص٩٥ .
(١٢٣) ابن شبة : تاريخ المدينة جـ٣ ص٩٣ ، الطبري : تاريخ جـ٤ ص٢٨٣ .
(١٢٤) اليعقوبي : تاريخ جـ٢ ص١٦٣ .
(١٢٥) مسند ابن حنبل : جـ١ ص٥٦ ، الطبري : تاريخ جـ٤ ص٤٣٣ .
(١٢٦) ابن آدم : الخراج ص ٢٤ ،ابن القيم : أحكام اهل الذمة جـ٢ ص ٦٦٤ .
(١٢٧) ابن قتيبة: الامامة والسياسة جـ١ ص١٠٤، الطبري : تاريخ جـ٤ ص٢١٥.

اما طبيعة الشورى في عصر الخلفاء الراشدين ـ رضي الله عنهم ـ فقد ارتبطت بجدية القرار الحازم فلقد عد الخليفة ابو بكر الصديق ١١ـ١٣هـ = ٦٣٢ـ٦٣٤م اية مشاورة بشأن المرتدين عن الاسلام الذين امتنعوا عن دفع الزكاة وتهاونوا بفروض الاسلام لا تجدي لان ذلك يعد انشقاقا على الامة الاسلامية وخروجا على المدينة (العاصمة)[١٢٨] ٠ فأصر الخليفة الصديق على محاربتهم وقال : (والله لو منعوني عقالا مما اعطوه رسول الله لقاتلتهم عليه)[١٢٩] ٠ وحينما اشار عليه صحابة النبي (صلى الله عليه وسلم) بعدم ارسال بعثة اسامة بن زيد الى فلسطين لتوجيه الجيوش لقتال المرتدين قال لهم : (انكم قد علمتم انه قد كان من عهد رسول الله فيكم في (المشورة) فيما لم تمض فيه سنة ٠٠٠٠ وقد اشرتم وساشير عليكم فانظروا ارشد امركم واتمروا به فان الله لن يجمعكم على ضلال)[١٣٠] ٠ وقال : (ما رددت جيشا وجهه رسول الله ولا حللت لواء عقده رسول الله)[١٣١] ٠ فانقاد المسلمون لرأيه لانه كان افضل من رأيهم ٠

لقد خضعت الشورى في عصر الخلفاء الراشدين ـ رضي الله عنهم ـ الى الترتيب الاداري المنظم لاختيار اعداد محددة من (اهل الشورى) لانتخاب خليفة للمسلمين من خلال ادارة المشاورات[١٣٢] ٠ واصبح منصب الخليفة مثار تبادل في الرأي مما اعطى للشورى قوة المعيار السياسي للترشيح وفي احكام الحياة السياسية في العصر الراشدي[١٣٣] ٠ وفي اثناء تطبيقات

---

(١٢٨) الدوري : تاريخ صدر الاسلام ص٥٠ ، العلي : محاضرات في تاريخ العرب ص١٢٥ ٠
(١٢٩) الماوردي : الاحكام السلطانية ص ٥٣ ، الدميري : حياة الحيوان الكبرى جـ١ ص٨٥ ٠
(١٣٠) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق جـ٨ ص٤٣٤ ٠
(١٣١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ٦ ص٣٠٥ ٠
(١٣٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٣ ص ٦١ ، البلاذري انساب الاشراف جـ٥ ص ٤٣ ٠
(١٣٣) البلاذري انساب الاشراف جـ١ ص٥٨٢ ، الطبري : تاريخ جـ٤ ص٢٣٩ ٠

الشورى كان الخلفاء يتعاملون بايجابية مع الاراء التي يجتهدها اصحابها لتدخل في مجال التشاور وتقبل اذا كانت تنفع للامة ، فقد وافق الخليفة عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ على رأي عمرو بن العاص في فتح مصر ، ورفض رأيه في فتح افريقية (المغرب)[١٣٤]. كما رفض ما اشار به عليه معاوية بن ابي سفيان في اثناء ولايته على الشام في الجهاد في البحر[١٣٥] . وهناك امثلة وادلة كثيرة في كتب التاريخ عما كان يدور في مجالس الشورى منها ما يرتضيه الخليفة ومنها ما يعترض عليه بعد بيان الاسباب .

الشورى في العصر الاموي (٤١ ــ ١٣٢ هـ = ٦٦١ــ ٧٥٠ م)

بعد ان طعن الخليفة علي بن ابي طالب ــ رضي الله عنه ــ وقبل ان يتوفاه الله ترك امر الخلافة شورى بين المسلمين ليختاروا من يجدونه صالحا وقال : (ان يرد الله بالناس خيرا فسيجمعهم بعدي على خيرهم كما جمعهم بعد نبيه على خيرهم)[١٣٦] . فاختار اهل الكوفة الامام الحسن ــ رضي الله عنه ــ الذي كان فيما يبدو وبحسب الروايات التاريخية ذا تبصر بالموقف فأدرك تشتت صفوف اتباعه وعدم توحدهم[١٣٧]. في حين اجتمع اهل الشام على معاوية بن ابي سفيان[١٣٨] . فاختار الامام الحسن ــ رضي الله عنه ــ سبيل السلامة بحقن دماء المسلمين[١٣٩] وتنازل لمعاوية عن الخلافة ، وكان مما عجل في قرار الامام الحسن بحسب رواية الطبري : انه طعن من قبل اهل

(١٣٤) ابن عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب ص٨٠ ، ابن عذاري : البيان المغرب جا ص٨ .

(١٣٥) الطبري تاريخ جـ ٤ ص ٢٥٨ .

(١٣٦) الحاكم : المستدرك (معرفة الاصحاب) جـ٣ ص١٤٥ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ص١٠ .

(١٣٧) الجاحظ : المحاسن والأضداد ص٨١ ، اليعقوبي : تاريخ جـ٢ ص٢٣ .

(١٣٨) الهمداني : الاكليل جـ٢ ص٢٢٠ .

(١٣٩) ابن العربي : العواصم ص١٩٩ ، الدميري : حياة الحيوان الكبرى جا ص١٠٢ .

الكوفة طعنة اشوته[١٤٠] . حين عد العديد من المؤرخين هذا التنازل من فضائله الكبرى في تثبيت وحدة الامة السياسية والاجتماعية[١٤١].

ومن خلال سعي الخليفة معاوية (٤١ـ٦٠هـ = ٦٦١ـ٦٧٩م) بالعهد الى ابنه يزيد من بعده يظهر شكل جديد من التشاور يبدو في ظاهره طارئا على الامة التي كرهت مبدأ توريث الحكم[١٤٢] . ويعزى هذا التوجه الجديد الى توسع الدولة العربية الاسلامية ، ومضي جيل الصحابة الذين كانت لهم الاولوية في الاختيار فضلا عن ظهور الفتن التي القت بظلالها على الخليفة معاوية على ما اقدم عليه[١٤٣].

ولاجل تحقيق هذا الهدف لجأ الى الاغراء المادي والمعنوي والكياسة في كسب المواقف وكانت الشورى مفتاحا اداريا ونفسيا لتحقيق المبدأ العام في سياسته ، فعقد مجالس عدة عرض فيها امر العهد لابنه يزيد من بعده ، وسافر بنفسه الى المدينة المنورة لتوثيق مبدأ البيعة له[١٤٤] . الذي اصبح فيما بعد اساسا لتحري الناحية الشرعية في الحصول على البيعة[١٤٥] . وقد استشار معاوية الاحنف بن قيس سيد بني تميم فلم يثني على قراره بقدر ما نصحه بمراعاة مصلحة الامة[١٤٦] . وكتب معاوية الى زياد بن ابي سفيان في البصرة يستشيره فعضد له رأيه ودعا لبيعة يزيد[١٤٧] ، كما استشار مروان بن الحكم في المدينة

---

(١٤٠) الطبري : تاريخ جـ ٥ ص ١٦٢ .

(١٤١) اليعقوبي : تاريخ ج٢ ص٥٠٣ ، الطبري : تاريخ جـ٥ ص١٦٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج٨ ص٤١ .

(١٤٢) ابن ثعلب : مجالس ثعلب ج٢ ص٤٥١ ، العسكري : الاوائل ص١٦٠ـ١٦١ .

(١٤٣) شاكر محمود : التاريخ العربي الاسلامي (الامويون) ص١٠٦ .

(١٤٤) الدنيوري : الاخبار الطوال ص٢٢٤ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ج٤ ص٣٦٨ .

(١٤٥) شاكر محمود : التاريخ العربي (الامويون) ص ١٠٧ .

(١٤٦) الراغب الاصفهاني : محاضرات الادباء ج٢ ص٢٥ .

(١٤٧) اليعقوبي : تاريخ جـ ٢ ص ٢٠٨ ، الطبري : تاريخ جـ٥ ص ٣٠٢ .

المنورة فوافقه في رأيه[١٤٨] . والتقى معاوية اكابر ابناء الصحابة من اهل العلم والرأي ومنهم عبدالله بن عمر ــ رضي الله عنه ــ والحسن بن علي ــ رضي الله عنه ــ فكشف اللقاء عن عدم معارضتهم المبدأ ذاته لكنهما اقرا ضرورة اتفاق الامة على المعقود له بقول عبدالله بن عمر ــ رضي الله عنه ــ (فوالله لو ان الامة اجتمعت بعدك على عبد حبشي لدخلت فيما تدخل الامة فيه)[١٤٩] . وقول الحسن بن علي : (ان مثلي لا يعطي بيعته سرا وانا طوع يديك فاذا اجتمعت الناس لذلك حضرت وكنت واحدا منهم)[١٥٠] . وكذلك تؤشر مواقف كل من عبدالله بن ابي بكر (رضي الله عنه) وعبدالله بن الزبير ــ رضي الله عنه ــ عن التزام جانب المعارضة الصريح لهذا المبدأ (الوراثة)[١٥١] وذلك حق طبيعي كفلته صحوة الرأي في الاسلام ، ولم تمنع تلك المعارضة من تقرير بعض الفقهاء فيما بعد من اعتبار بيعة يزيد بن معاوية معقودة شرعا[١٥٢] .

ويمكن ان نلمس تحولا في مبدأ الشورى في ترشيح مروان بن الحكم فقد كان له صداه في تبادل الاراء بين الاكابر من الوجهاء ورؤساء القبائل واهل الرأي مما انتهى الى عقد اجتماع تشاوري موسع في الجابية عام ٦٤هـ=٦٨٣م عده احد الباحثين المعاصرين مؤتمرا تاريخيا حمل الصفة الديمقراطية الشعبية[١٥٣] . ان طابع الشورى في العصر الاموي يكشف انها شملت ادق مفاصل الحياة السياسية والاجتماعية وكان للاسرة الاموية مجالسها الخاصة التي تتشاور فيها في المواقف الخاصة والعامة في الدولة ولاسيما بعد تولي عمر

(١٤٨) ابن ثعلب : مجالس ثعلب ج٢ ص٤٥١ .
(١٤٩) الطبري : تاريخ ج٥ ص ٣٠٤ (ما احب ان يقتتلوا او يختلفوا) .
(١٥٠) الدنيوري : الاخبار الطوال ص٢٢٨ .
(١٥١) ابن ثعلب : مجالس ثعلب ج٢ ص٤٥١ ، ابن عبدربه : العقد الفريد ج٤ ص٣٦٨ .
(١٥٢) ابن العربي : العواصم ص٢٢٢ .
(١٥٣) الريس : عبدالملك بن مروان ص٤٦-٤٧ .

بن عبدالعزيز الخلافة ، وكان يدير تلك المجالس ذوو الرأي من الشيوخ بهدف التوصل الى رأي ناصح يحدد مواقفهم[١٥٤].

ولذلك حظيت الشورى في العصر الاموي باهتمام كبير بوصفها منهجا شرعيا في الامور السياسية والاجتماعيــة ، فمعظم خلفــاء بني امية يقــرون بضرورتها اللازمة للامة بدليل قول عبدالملك بن مروان : (لان اخطيء وقــد استشرت احب اليّ من ان اصيب وقد استبددت برأي وامضيته من غــير مشــورة)[١٥٥].

ويوضح المسعودي : منهجية الشورى لدى سليمان بن عبدالملك بانهـا وسيلة تكشف تواضعه باستشارة النصحاء[١٥٦] ، في حين يقدر عمر بــــن عبدالعزيز قيمتها الدينية في قوله : انها (الشورى) مع المناظرة باب رحمــة ومفتاح بركة لا يضل معها رأي ولا يتقدمها حزم)[١٥٧] .

ان تاريخ الدولة العربية الاسلامية في العصر الاموي مثّل مشكلة عنــد المؤرخين القدامى والمحدثين وازدادت تلك المشكلة تعقيدا حينما ربطت الخلافة بمبدأ الشورى ، وجعلت كل الانجازات الاموية العظيمة اسيرة لذلك التصور السطحي متجاهلة ابداعاتهم ونظمهم الادارية وجهادهم العسكري الواسع من اجل نشر الاسلام في مشارق الارض ومغاربها ، ولم تستطع اية اسرة حكمــت الدولة العربية الاسلامية بعدهم ان توسع جهادها وتحافظ على حدود ما تركه الامويين ، واذا كان التاريخ الاموي قد تكاثرت عليه الافتراءات والأنتقادات وحجب حقائق الاعمال الجليلة التي قاموا بها فلكل دولة مزايا تذكر ومآخذ سجلها عليها التاريخ .

---

(١٥٤) الدينـــوري : الاخبـار الطـوال ص٣٣١ ، ابن عبدالحكم : ســـيرة عمر بن عبدالعزيز ص٥٢ـ٥٣ .

(١٥٥) الشيزري : المنهج المسلوك ص٤٨١ .

(١٥٦) المسعودي : التنبيه والاشراف ص٢٧٥ .

(١٥٧) الماوردي : أدب الدين والدنيا ص٢٨٩ .

مصــادر ومواجــع البحــث

ا ـ المصــادر الاوليــة :

ابن الأثير : عز الدين علي بن محمد الجزري (ت٦٣٠هـ ـ ١٣٣٢م)
١ ـ (الكامل في التاريخ) بيروت ، ١٩٧٨ .
ابن آدم : يحيى بن سليمان (ت٢٠٣هـ ـ ٨٨١م)
٢ ـ (الخراج) بيروت ١٩٧٩ .
ابن منقذ : ابو المظفر اسامة (ت ٥٨٤هـ ـ ١١٨٨م)
٣ ـ (لباب الاداب) القاهرة ، ١٩٣٥ .
الأصفهاني : حسين بن محمد المعروف بالراغب (ت٥٠٢هـ ـ ١١٠٨م)
٤ ـ (محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء) مصر ، ١٢٨٧هـ.
الأصفهاني : حمزة بن الحسين (ت٣٦٠هـ ـ ٩٧٠م)
٥ ـ (تاريخ سني ملوك الأرض) ط٣ ، بيروت ، ١٩٦١ .
البخاري : ابو عبدالله اسماعيل بن ابراهيم (ت٢٥٦هـ ـ ٨٦٩م)
٦ ـ (التاريخ الكبير) حيدر أباد ، ١٣٦٢هـ .
٧ ـ (صحيح البخاري) بغداد ، ١٩٨٦ .
البسوي : يعقوب بن يوسف (ت٢٧٧هـ ـ ٨٩٠م)
٨ ـ (المعرفة والتاريخ) بغداد ، ١٩٧٤ .
البغدادي : ابو منصور عبدالقادر بن طاهر (ت ٤٢٩هـ ـ ١٠٣٧م)
٩ ـ (أصول الديـن) استانبول ، ١٩٢٨ .
البلاذري : احمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ ـ ٨٩٢م)
١٠ـ (أنساب الاشراف) مصر ، ١٩٥٩ .
١١ـ (فتوح البلدان) نشر مكتبة النهضة المصرية .
البيهقي : ابراهيم بن محمد (ت٤٥٨هـ ـ ١٠٦٥م)
١٢ ـ (المحاسن والمساوىء) بيروت ، ١٩٦٠ .
الترمذي : ابو عيسى محمد بن سورة (ت٢٧٩هـ ـ ٨٩٢م)
١٣ـ (سنن الترمذي) وهو (الجامع الصحيح) ط٢ ، القاهرة ، ١٩٤٧.
التوحيدي : ابو حيان علي بن محمد (ت٤٠٣هـ ـ ١٠١٢م)
١٤ـ (الامتاع والمؤانسة) بيروت ، ١٩٥٣ .
ابن تيمية : احمد بن عبدالحليم (ت٧٢٨هـ ـ ١٣٢٧م)
١٥ـ (السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية) بيروت ، ١٩٨٣ .
١٦ـ (الصارم والمسلول على شاتم الرسول) بيروت ، ١٩٧٨ .
الثعالبي : ابو منصور عبدالملك بن محمد (ت٤٢٩هـ ـ ٩٠٣م)

١٧- (ثمار القلوب في المضاف والمنسوب) القاهرة ، ١٩٦٥ .
ابن ثعلب : ابو العباس احمد بن يحيى (ت ٢٩١هـ -٩٠٣م)
١٨- (مجالس ثعلب) ط٢ ، القاهرة ١٩٥٠ .
الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ - ٨٦٨م)
١٩- (رسائل الجاحظ) القاهرة ، ١٩٧٩ .
٢٠- (المحاسن والاضداد بيروت ، ١٩٦٩ .)
ابن الجوزي : ابو الفرج عبدالرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ - ١٢٠٠م)
٢١- (مناقب امير المؤمنين عمر بن الخطاب) بيروت ، ١٩٨٠ .
الحاكم : أبو عبد الله محمد بن عبدالله (ت٤٠٥هـ - ١٠١٤م)
٢٢- (المستدرك على الصحيحين) بيروت ، ١٩٧٨ .
ابن (حبيب : ابو جعفر بن حبيب البغدادي (ت١٤٥هـ - ٨٥٩م)
٢٣- (المحبر) طبع بيروت .
ابن حجر : شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ - ٤٤٨ م)
٢٤- (الاصابة في تمييز الصحابة) نشر مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٣٢٨هـ.
ابن حزم : ابو محمد علي بن احمد (ت٤٥٦هـ - ١٠٦٣م)
٢٥- (جوامع السيرة) طبع مصر .
الحميري : نشوان بن سعد (ت ٥٧٣هـ - ١١٧٧م)
٢٦- (ملوك حمير واقيال اليمن (ط٢ ، بيروت ، ١٩٧٨ .
ابن حنبل : احمد (ت ٢٤١هـ - ٨٥٥م)
٢٧- (المسند) طبع مصر ، ١٣١٣هـ .
ابن دريد : ابو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ - ٩٣٣م)
٢٨- (الاشتقاق) ط٢ ، بغداد ، ١٩٧٩ .
الدميري : كمال الدين (ت ٨٠٨هـ - ١٤٠٥م)
٢٩ - (حياة الحيوان الكبرى) مصر ١٣٣٠ هـ .
الدنيوري : ابو حنيفة احمد بن داؤد (ت٢٨٢هـ - ٨٩٥م)
٣٠- (الاخبار الطوال) القاهرة ، ١٩٦٠ .
الرازي : الأمام فخر الدين (ت٦٠٦هـ - ١٢٠٩م)
٣١- (التفسير الكبير) مصر ، ١٩٣٨ .
ابن الزبير : القاضي الرشيد احمد
٣٢- (الذخائر والتحف) الكويت ، ١٩٥٩ .
السخاوي : شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢هـ - ١٤٩٦م)
٣٣- (الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ) بغداد ١٩٦٣ .
ابن سعد : محمد (ت ٢٣٠هـ - ٨٤٤م)

٣٤ـ (الطبقات الكبرى) بيروت ٥٧ ـ ١٩٦٠ .
السهيلي : ابو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله (ت ٥٨١هـ ـ ١١٨٥م)
٣٥ـ (الروض الانف فيتفسير السيرةالنبوية لابن هشام)بيروت،١٩٧٨.
السيوطي : جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر (ت٩١١هـ ـ ١٥٠٥م)
٣٦ـ (تاريخ الخلفاء) بيروت ، ١٩٨٨ .
الشافعي : محمد بن ادريس (ت ٢٠٤هـ ـ ٨١٩م)
٣٧ـ (الأم) القاهرة ، ١٩٦١ .
ابن شبة : ابو زيد عمر النميري (ت٢٦٢هـ ـ ٨٧٥م)
٣٨ـ(تاريخ المدينة المنورة) مكة المكرمة،١٩٧٩ .
الشيزري : عبدالرحمن بن عبدالله (ت٥٨٩هـ ـ ١١٩٣م)
٣٩ـ (المنهج المسلوك في سياسة الملوك) الاردن ، ١٩٨٧ .
الطبري : ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ ـ ١٩٢٢ م) .
٤٠ـ(تاريخ الرسل والملوك) القاهرة ، ٦٨ ـ ١٩٧٧ .
٤١ـ (جامع البيان عن تأويل القرآن) ط٢ ،مصر ، ١٩٥٤ .
الطرطوشي : ابو بكر محمد بن محمد (ت٥٢٠هـ ـ ١١٢٦م)
٤٢ـ (سراج الملوك) القاهرة ، ١٩٣٥ .
ابن عبدالبر : ابو عمرو يوسف بن عبدالله (ت ٤٦٣هـ ـ ١٠٧٠م)
٤٣ـ (الاستيعاب في معرفة الاصحاب) نشر مكتبة النهضة ، القاهرة.
ابن عبدالحكم : ابو محمد عبدالله بن عبد الحكم (ت ٢١٤هـ ـ ٨٢٩م)
٤٤ـ (فتوح مصر والمغرب) مصر ، ١٩٦١ .
ابن عبد ربه : احمد بن محمد (ت٣٢٨هـ ـ ٩٣٩م)
٤٥ـ (العقد الفريد) القاهرة ، ٦٥ ـ ١٩٦٧ .
ابن عذاري : ابو العباس احمد بن محمد (ت٧١٢هـ ـ ١٣١٢م)
٤٦ـ (البيان المغرب فياخبار الاندلس والمغرب)ط٢، بيروت، ١٩٨٠.
ابن العربي : ابو بكر (ت ٥٤٣هـ ـ ١١٤٨م)
٤٧ـ (العواصم من القواصم) مكة المكرمة ، ١٣٧٤هـ .
ابن عساكر : ابو القاسم علي بن الحسن (ت ٦٤٧هـ ـ ١٢٤٩م)
٤٨ـ (تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حل من الاوائل)
دمشق ، ١٩٥١ .
الغزالي : ابو حامد محمد (ت ٥٥٠هـ ـ ١١٥٥م)
٤٩ـ (آداب الصحبة والمعاشرة مع اصناف الخلق) بغداد ، ١٩٨٤ .
ابن قتيبة : ابو محمد عبدالله بن مسلم (ت٢٧٦هـ ـ ٨٨٩م)

٥٠ـ (الأمامة والسياسة) مطبعة البابي الحلبي ، ط٣، القاهرة، ١٩٦٣.
القرطبي : ابو عبدالله محمد بن احمد الانصاري (ت٧٦١هـ ــ ١٣٥٩م)
٥١ـ (الجامع لأحكام القرآن) ط٣ ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
القلقشندي : احمد بن علي (ت٨٢١هـ ــ ١٤١٨م)
٥٢ـ (صبح الأعشى في صناعة الانشا) بيروت ، ١٩٨٧ .
ابن قيم : شمس الدين ابي عبدالله محمد بن محمد الجوزية(ت٧٥١هـ ــ ١٣٥٠م)
٥٣ـ(احكام أهل الذمة) دمشق ، ١٩٦١ .
ابن كثير : عماد الدين ابو الفدا عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ ــ ١٣٧٢م)
٥٤ـ (البداية والنهاية في التاريخ) بيروت ، ١٩٦٧ .
ابن ماجة : ابو عبدالله محمد بن يزيد (ت٢٧٥هـ ــ ٨٧٠م)
٥٥ـ (سنن ابن ماجة) بيروت ١٣٤٩هـ .
الموردي : ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البغدادي (ت٤٥٠هـ ــ ١٠٥٨م)
٥٦ـ (أدب الدين والدنيا) بيروت ، ١٩٥٥ .
٥٧ـ (الاحكام السلطانية والولايات الدينية) دار الكتاب العلمي، بيروت.
المسعودي : ابو الحسن علي بن الحسن (ت٣٤٦هـ ــ ٩٥٧م)
٥٨ـ(التنبيه والاشراف) القاهرة ، ١٩٣٨ .
٥٩ـ (مروج الذهب ومعادن الجوهر) بيروت ، ١٩٨٨ .
ابن منظور : ابو الفضل جمال الدين محمد بن كرم (ت٧١١هـ ــ ١٣٢١م)
٦٠ـ (لسان العرب) بيروت ، ١٩٥٥ .
النويري : شهاب الدين احمد (ت٧٣٣هـ ــ ١٣٣٢م)
٦١ـ (نهاية الأرب في فنون الادب) القاهرة ، ١٩٧٥ .
ابن هشام : ابو محمد عبدالملك بن هاشم (ت٢١٣هـ ــ ٨٢٨م)
٦٢ـ (السيرة النبوية) بيروت ، ١٩٧٥ .
الهمداني : ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب (ت٣٣٤هـ ــ ٩٤٥م)
٦٣ـ (الأكليل) القاهرة ، ١٩٦٣ .

ب ـ المراجـع العربيـة والمعربـة

الآلوسي : محمود شكري
١ ــ (بلوغ الارب في معرفة احوال العرب) ط٢ ، بيروت ، ١٣١٤هـ .
الآنصاري : عبدالحميد اسماعيل
٢ ــ (الشورى وأثرها في الديمقراطية)المطبعة السلفية، القاهرة،١٩٢٠.
بيغوليفسكيا : نينا فكتورحنا

٣ ـ (العرب على حدود بيزنطة وايران) لينغراد ، ١٩٧٤ .
الحـداد : محمد حجي
٤ ـ (تاريخ اليمن السياسي قبل الاسلام وبعد الاسلام)القاهرة، ١٩٧٦ .
الدوري : عبدالعزيز
٥ ـ (مقدمة في تاريخ صدر الاسلام) بغداد ، ١٩٤٩ .
الدوري : قحطان عبدالرحمن
٦ ـ (الشورى بين النظرية والتطبيق) بغداد ، ١٩٧٤ .
رودو كوناكيس : نيوكولاس
٧ ـ (الحياة العامة للدول العربية الجنوبية) القاهرة ١٩٧٦ .
الريـس : ضياء الدين
٨ ـ (عبدالملك بن مروان موحد الدولة الاموية) القاهرة ، ١٩٦٢ .
شلتـوت : محمـود
٩ ـ (الاسلام عقيدة وشريعة) ط٢ ، دار القلم ، القاهرة .
عبدالباقي : محمد فؤاد
١٠ـ (المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم) مصر ، ١٢٧٨هـ .
عبدالمنعم : شاكر محمود
١١ـ (التاريخ العربي الاسلامي ـ الأمويون) طبع بغداد ، ١٩٩٨ .
العسلي : خالد صالح
١٢ـ (الشورى في العرف القبلي/الشورى في مكة قبل الاسلام) الأردن ، ١٩٨٧ .
العلي : صالح احمد
١٣ـ (محاضرات في تاريخ العرب) طبع جامعة الموصل ، ١٩٨١ .
١٤ـ (المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام) بيروت ، ٦٩ ـ ١٩٧٧ .
علي : فؤاد حسن
١٥ـ (التاريخ العام لبلاد العرب الجنوبية) القاهرة ، ١٩٥٨ .
علوان : موسى بناء
١٦ـ (الشورى في الجزيرة العربية قبل الاسلام) مجلة الدارة العدد (٣) ، الرياض ، ١٩٨٤ .
عمارة : محمد

١٧- (الشورى فلسفة الحكم الاسلامية الاولى) مجلة قضايا عربيــة ، العدد (١٠) ، لبنان ، ١٩٧٦ .

الملاح : هاشم يحيى

١٨- (الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام) مطبعة جامعة الموصل ، ١٩٩٤ .

اليوزبكي : توفيق سلطان

١٩- (الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية)ط٢ ، مطبعة جامعة الموصل ، ١٩٧٥ .

٢٠- (تاريخ أهل الذمة في العراق) نشر مكتبة دار العلوم، الرياض ، ١٩٨٣ .

٢١- (دراسات في النظم العربيةالاسلامية) ط٣ ، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٨٨ .

٢٢- (دراسات في الحضارة العربية الاسلامية) مطبعة جامعة الموصل، ١٩٩٦ .

العامل النفسي ودوره
في شعر الحرب عند المتنبي

ا. د. حسن محمد ربابعة
رئيس قسم اللغة العربية
جامعة جــرش

الملخــــص

نهض البحث بمقدمة وثلاثة محاور رئيسة هي :

١ ـ العامل النفسي وتكبير صورة سيف الدولة بالدعاية وترصده سماته .
٢ ـ العامل النفسي ودوره في قتال القبائل العربية المتمردة على سيف الدولة .
٣ ـ العامل النفسي ودوره في روميات المتنبي .

اما المقدمة فألمحت الى ان العامل النفسي كانت له ادوار تندرج في منظومة الحرب النفسية على ما يعرفها اهل الاختصاص في مجال الحرب .

واما المحور الاول : فابرز من ادواره تكبيره صورة سيف الدولة بسيفه باعتباره غازيا للروم طوال حياته ، وتوقف عند اسمه ولقبه وحربه الدينيـــة لاعزاز الاسلام ، واستوقفته بعض سماته الحربية كسرعة الحشد وجاهزيتـــه للقتال ، وحبه للتضحية ، وافتدائه نفسه امام جيشه ، وتوقف عند ســـمات حربية لجنده ، وهو مما يرفع من معنويات الجند وقائدهم .

واما المحور الثاني : فحاول ان يضعف من عزائم القبائل الثائرة بتخذيلهـــا ؛ فعد خروجهم عليه اسخاطا لله لان سيف الدولة يخوض حربا دينية مع الروم ، فضلا عن ان وسائل قتـــال القبائل كالنياق لا تصلـــح للحرب ، وقد انتصر

سيف الدولة على قبائل اقوى منها فسجله الحربي شاهد ؛ يثبط همم القبائل ويرفع من معنويات سيف الدولة وجنده .

اما المحور الثالث : فتوقف عند تحديات الروم للمسلمين ؛ فحربهم دينية ، فابتعث المشاعر الدينية اسلوبا للجهاد وتوقف عند مشاعر مروعة اوقعها سيف الدولة بهم ، فوزع الرعب على الروم في يقظتهم ومناماتهم ؛ فأصابهم ما يمكن ان يسمى بـ « عصاب الحرب » مقاتلين وعذارى .

وابرز ثلاثة مشاهد نفسية أليمة لوفد الروم المفاوض ، ليثبط من معنوياتهم قبل مفاوضات الهدنة المنتظرة ، وهذا مما يعد من ادوار الحرب النفسية في ايامنا هذه .

لا جَرَمَ أنَّ للعامل النفسي دورا وظّفه المتنبي في روميات سيف الدولة، وقمعه القبائل العربية التي ثارت عليه ، فشكّل به محورا بارزا من الحــرب النفسية التي يعرفها اهل الاختصاص بانها « مجموعة اعمال ، تستهدف التأثير على افراد العدو ، بما فيهم القادة والافراد غير السياسيين ، وتخلق تصّــورا ما لدى العدو ، او تنفي تصورات ما عنده عن طريق الدعاية ، او عمليــات عسكرية استعراضية والتنسيق بين العمل العسكري والدبلوماســي لخلــق تصورات معينة ، بغية إحداث الفوضى والبلبلة عند العدو» [١] .

لقد حدد المتنبي ببيتين ثلاثة ادوار للعامل النفسي في حرب سيف الدولة ؛ ضَمَّنَ في البيتين مجموعة اعمال هدفها اولا تكبير صورة سيف الدولـــة باعتباره غازيا طول حياته وثانيا : حدد مهمته لقتال الروم ، حتى تســاءل متى موعد عودته من قتال الروم فيما يسمى (بالجبهة الخارجية) كما حدد ثالثــا روما خلف ظهره يمثلون عربا ثائرين عليه على الجبهة الداخلية فيقول[٢] :

أنْتَ طُوْلَ الحياة للرُّومِ غازٍ   فمتى الوعْدُ أن يكون القُفول ؟
وسوى الروم خَلْفَ ظَهرك روم   فعلــى أي جانبيــك تَميْــلُ ؟

وعليه فانقسم البحث ثلاثة محاور توزّعتها ادوار العامل النفسي علــى النحو الاتي :ــ

(١) « هيثم الايوبي وزملاؤه : الموسوعة العسكرية : / الحرب النفسية» .

(٢) شرح ديوان المتنبي ، وضعه عبدالرحمن البرقوقي ، بيروت : دار الكتاب العربي ج٣/٢٧٧ ، ويشار له من الان (ديوان ج/ص) .

١ ــ العامل النفسي وتكبير صورة سيف الدولة وترصده لسمات مميزة فيه •
٢ ــ العامل النفسي ودوره في تخذيل القبائل العربية وتسفيهه اراء قادتها ووسائل قتالها ونحوهما •
٣ ــ العامل النفسي ودوره في تأجيج مشاعر المسلمين لحرب دينية بين المسلمين والروم •

اولا ــ العامل النفسي وتكبير صورته بالدعاية وترصد سماته :

لقد وظّف المتنبي العامل النفسي بأدوار عدة منها تميزه عن غيره بسمات قيادية خاصة وعليه فأعدته الخلافة العباسية لمواجهة الاعداء[٣]•

لأمـرٍ أعدتــه الخِلافــةُ للوغــى   وسمته دون العالم الصارم العضبا

ومن العوامل النفسية توقفه عند اسم سيف الدولة « علي » و « لقبه » ، فعدّ تلقيب الخليفة له « سيف الدولة » على اهميته ــ ظلّماً له ، بخلاف اسمه الحقيقي « علي » الذي يستأهله بحق ؛ ذلك لان للسيف حدا ينقطع بالضرب حينا ، في حين ان كرمه لاينبو • اما اسمه « علي » فاسمٌ على مسمى، وهو إنصاف لحقهِ ، متبعا اسلوب المناطقة في المقارنة والتمنطق[٤]•

وإن الــذي سمّى علياً لمنصــف   وإن الذي سـمّاه سـيفاً لظالمــه
ومــا كل سيفٍ يَقْطَعُ الهام حَده   وتقطع لزباتِ الزمــان مكارمُه

ومن العوامل النفسية تكبير صورته وهو بسيفه المسلول ؛ ذلك ان عاتقه عليه ، اما قائمه فهو بيد جبّارِ السموات على ما لـ « جبّارٍ » من صورة صوتية سمعية تَئِطُ منها صيغة مبالغة ، محملة على كف قدرة إلاهية لا تقهر[٥]•

---

(٣) ديوان ج١/١٩٤ •
(٤) ديوان ج٤/١١
(٥) ديوان ج٤/٦٠ •

على عاتقِ الملكِ الاغرِّ نِجاده وفي يد جبار السَّموات قائِمُه

ومن العوامل النفسية ان حربه على الروم دينية لاعزاز الاسلام دينه ، وليس بغروى ؛ ان تكون حربه كذلك ، ذلك لان اناشيد الروم على ما يذكره شلمبرجة الفرنسي كانت « النصر لله الذي هَدَمَ البلاد العربية ، والنصر لله الذي شَتَتَ شمل من ينكر التثليث المقدس ، والنصر لله الذي جَلَّلَ بالخيبة هذا الامير القاسي (سيف الدولة) عدو المسيح ، النصر لله . النصر لله »[٦] .

ويؤكد الشاعر تميز حرب سيف الدولة للروم ، على رغم من انحياز عدد من المسلمين مع الروم ضده ، إما عجزا او رهبا ، ليظل سيف الدولة في جانب الله يقاتل اعداءه[٧] :

أرى المسلمين مع المشركين إما لعجز وإما رَهَب
وأنت مع الله في جانب قليلُ الرُّقادِ ، كثيرُ التعب

ومن العوامل النفسية التي استوقفته بعض سماته الحربية ؛ كسرعة حشده ، وجاهزيته للقتال ورد الخصوم[٨].

وظنَّهم أنك المصباح في حَلَب اذا قصدت سواها عادها الظُّلَمُ
فلم تُتِمَّ سروج فتح ناظرها إلا وجيشك في جَفنيه مُزدحِمِ

ومن العوامل النفسية التي استوقفته حبه التضحية وافتداؤه نفسه امام جيشه وهي سمة تستحسن في تميز القادة[٩] :

كلٌّ يريد رجالَهُ لحياتِهِ يا مَن يريدُ حَياتَهُ لرجالِهِ

---

(٦) د. زكي المحاسني : شعر الحرب في ادب العرب في العصرين الاموي والعباسي الى عهد سيف الدولة ، ط٢ ، القاهرة : دار المعارف (دث) ص ٢٦٨ . (٧) ديوان : ج١/٢٣٢ .

(٨) ديوان : ج٤/١٣٢ وسروج : بلدة قرب حران : الحموي : ياقوت الحموي، مادة سروج . (٩) ديوان ج٣/١٩٠ .

ولم يكتفِ بتكبير صورة سيف الدولة ، وتسليطه المركز على مزاياه وحده ، بل وظّف العامل النفسي ، بأدوار عدة على رجال سيف الدولة فهم خبراء حرب ، وجراحهم شاهدة :(١٠)

وكل فتـى للحَرْبِ فَوق جبينهِ   من الضَّرب سَطرٌ بالأسنّة مُعجم

انهم خبراء يجيدون تمويه انفسهم وخيولهم ، فتبدو ملثمة بتجافيها :(١١)

لهـا في الوغى زِيٌّ الفوارس فوقها   فكُل حِصـانٍ دارعٌ متَلَثِّمُ

إنهم فرسان متلثمون ، لئلا تسقط عمائمهم في سوح الوغى :(١٢)

سـأطلب حقـي بالقنـا ومشايخٍ   كأنهـم من طُولِ ما التثموا مُرد

فرسان محترفون في ضَرب الهامات ، خِفاف على خيولهم :(١٣)

ضروب لهام الضاربي الهام في الوغى   خفيفٌ اذا ما اثقل الفرسَ اللبْدُ

وهم رماة اجياد من على صهوات الجياد ، يسددون رماحهم على اعدائهم من بين آذان الخيل :(١٤)

وجُردا مددنـا من بين آذانها القنا   فبتـن خِفافا يتبعـن العواليـا

وجنوده هؤلاء يمشطون الارض بسيوفهم ، بحثا عن حقوقهم في سوح العمليات ، سواء ارتفع آكامُها امْ انخفضت غيطانُها :(١٥)

ترمي على شَفَراتٍ الباترات بِهِمْ   مكامنُ الارض والغيطان والاكَمُ

كما يوظف الشاعر مشاهداته الحربية عوامل نفسية ، تشهد لسيف الدولة قدرته على تعبئة صفوف القتال :(١٦)

عرَفْتُكَ والصُّفوف مُعَبّأتٌ   وأنتَ بِغَير سَيفك لا تَعيجُ

---

(١٠) ديوان ج٤/٧٥ .

(١١) ديوان ج٤/٧٨ .

(١٢) ديوان ج٢/٩٢ .

(١٣) ديوان ج٢/١٠٦ .

(١٤) ديوان ج٤/٤٢١ .

(١٥) ديوان ج٤/١٣٥ .

(١٦) ديوان ج١/٣٦٠ .

كما يشهد له بشجاعة متفردة في ساح الوغى ، عندما ثَبَتَ في الهيجاء وحده ، بينما انهزم الابطال من حوله :(١٧)

وما حمَدْتُكَ في هَوْلٍ ثَبت له حتى بلوتُكَ والابطالُ تمتصع

إنّ العوامل النفسية ادت دورها من حيث خَلْقُها صورة مكبرة لسيف الدولة وتميزا له ، يعززها بتجربته ومشاهدة مواقف التميّز عنده ، والتركيز على سمات جنوده ، وهو يُنسق بين صفاتهم الجسدية كالخفة والرشاقة ، والفعاية كدقة الرمي ، وتمشيط الارض ، بحرفة عسكرية متميزة .

ثانيا : العامل النفسي ودوره في قتال القبائل العربية المتمردة

لقد وظّف المتنبي العامل النفسي ، بأدوار متعددة في قتال سيف الدولة للقبائل العربية الثائرة عليه ، بشهادات المؤرخين ، منهم ابن الاثير الذي يدرج عصيانات اهل حران على هبة الله بن ناصر الدولة بن حمدان ، لانه كان متقلدا لها ولغيرها من ديار مُضَر من قِبَلِ عَمّه سيف الدولة سنة (٣٥٤هـ) .

وعصيان نجا خادم سيف الدولة سنة (٣٥٣هـ) ومخالفة اهل انطاكية على سيف الدولة سنة (٣٥٤هـ) وغيرها كثير.(١٨)

إنّ مثل هذه الثورات الداخلية من قبائل عربية ، أرهقت سيف الدولة بلا شك،لاسيّما الروم لاينفكون عن شنّ غاراتهم على حدود الدولة العباسية،

---

(١٧) ديوان ج٢/٣٤٣ .

(١٨) ابن الاثير : العامل في التاريخ ، مراجعة د. محمد يوسف الدقاق ، بيروت : دار الكتب العلمية ، مجلد ٧ احداث سنوات ٣٥٢ هجري ، ٣٥٣ هجري و٣٥٤ هجري ص ٢٧٨ـ٢٨٨ وانظر استيلاءات الروم على المصيصة وطرطوس في السنة الاخيرة .

مما جعل الشاعر يجأر بشعره ، ويتشكى من ثوراتهم ويعدهم روما فعلا ،وان كانوا مسلمين اسما :(١٩)

وسوى الروم خلف ظهرك رُوم" فعلى اي جانبيك تَميْلُ ؟!

وعليه فكان عامله النفسي يقوم بأدوار منها :

إضعاف عزائم القبائل الثائرة وابرازها ضعيفة امام سيف الدولة ، وان تبدو في ظرها قوية ، اذ من واجب العامل النفسي الرد على دعاوي الخصم لاضعاف حجته وزعزعة قناعاته بالحرب ، التي يتوجه اليها فها هو ينقض مزاعم القبائل الثائرة ، ويعد خروجها عليه اسخاطاً لله عز وجل ، لانَّ حرب سيف الدولة حرب دينية على اعداء الاسلام ، فَلِمَ هذه الفتن الداخلية اذن ؟(٢٠).

أرى المسلمين مع المشركين إمّا لعَجزٍ وإمّا رَهَبْ

وأنتَ مع َ اللهِ في جَانِبٍ قَليْلُ الرُقاد ، كثيرُ التَعب

إن خروج القبائل على سيف الدولة كقبيلة عُقيل يقودها الى الموت ؛ فيشمت بها المخلوق ، ويغضب بخروجها الخالق عز وجل ، فبرأي من انقادت اليه قبيلة عُقيل ؟ أللموت والهلاك ؟!(٢١)

برأي مَنْ انقادت عُقيل" الى الردى وإشمات مخلوق وإسخاط خَالقٍ ؟

كما يوظف العامل النفسي بدور يزعزع فيه ثقة القبائل بقائدها من جهة .

وبوسائل حربة (الناقة) التي لا تصلح للحرب من جهة اخرى بأسلوب ساخر .(٢٢)

وجَيْش إمامٍ على ناقةٍ صحيح الامامة في الباطل

---

(١٩) ديوان ج١/٢٣٤ .
(٢٠) ديوان ج١/٢٣٤ .
(٢١) ديوانه ج٣/٦٤ .
(٢٢) ديوانه ج٣/١٥٧ .

ويزعزع ثقتهم بالنصر ؛ مستندا الى سجل سيف الدولة الحربي من قبل ، الذي انتصر على قبائل اقوى من هذه الثائرة :(٢٣)

وسَوْقَ عَلِيٍّ من مَعَدٍّ وغيرها   قبائِل لا تُعطي القُفِيَّ لِسائِق

ثم يوسع عامله النفسي فيدرج خطورة الثورات الداخلية هذه ، على امن الدولة الاسلامية ، لانها تشغل سيف الدولة عن حربه مع الروم ، لردع خطرهم ودرئه ، هو توجه وطني فيما يسمى اليوم ، يغلفه بحرب نفسية ، يثبط بها معنويات المقاتلين الثائرين على سيف الدولة اولا ، ويرفع ثانيا من معنويات سيف الدولة وجيشه من خلال عرضه مشاهد من سجله الحربي المشرّف ، فتنهض صورة خفية من بين السطور ؛ تشعر المتلقي ان ثورة القبائل فاشلة يكاد يحكم عليها من الان ؛ وهي مع ذلك تشغل سيف الدولة عن جهاده الروم .(٢٤)

ولا شَغَلُوا صُمَّ القنا بقُلوبِهم   عن الركزِ لكن عن قُلُوب الدماسق

ولماذا لا تحذر القبائل سيف الدولة صاحب القوة التحويلية ، التي يمسخ العدو القوي ويبدل قوته ضعفا ؟(٢٥)

ألم يحذروا مَسخَ الذي يَمسخ العدى   ويجعل أيدي الأُسد أيدي الخرانق ؟

ولا يكتفي الشاعر بالقول والتلويح بهزيمة القبائل ، بل يوظف عامله النفسي ؛ شاهدا عمليا نطل به معه على مشهد قتالي ، نرى فيه قبائل ثائرة ؛ تتساقط رؤوسهم فتتعثر بها ارجلهم ، في موقف مروّع ، نرى في المشهد شياها تتثاغى ، وإبلا تتراغى ، بعد ان افتقدت اصحابها ، تتبقى في جنبات المشهد الدموي هذا صورة ثكلى معواء :(٢٦)

مَضَوا متسابقي الاعضاءِ فيه   لأرءوسِهِم بأرجلِهِم عِثارُ
ويبكي خلفهم دَثر" بُكاهُ   رُغَاء" أو ثُؤاج" او يُعارُ

---

(٢٣) ديوانه ج٣/٦٦ .   (٢٤) ديوانه ج٣/٧٠ .
(٢٥) ديوانه ج٣/٧٠ .   (٢٦) ديوانه ج٢/٢٠٧ .

ثم يذكرهم بمشهد حزين مؤسٍ ؛ ذاك هو مصير السبايا العربيات منهم، وهو الشرف التليد الذي يصونه العربي مذ كان وحتى الآن ؛ يذكرهم بهن وقد اردفن سبايا راكبات ، بعد ان ديست تحت سنابك خيل سيف الدولة اطفال صغار :[٢٧]

وَأَرْهِقَتِ العذارى مُرْدَفات   وأوطِئَتِ الأُصيبيةُ الصِّغارُ

إن الشاعر يتفنن في توظيف هذا العامل النفسي ، فيعلم انه يثير حفيظة العربي ، ليثأر او على الاقل لينقم على من كان سببا فيه ، ولكنه لدرايته بالنفس المتلقية ، وحسن خبرته بها ، يعرض مشهدا نبيلا لسيف الدولة ، فهو بدلا من قتله الاسرى ، وهتكه اعراض السبايا ، يَفك اسرهم ويعفو عنهم اولا ويعيد ثانيا السبايا العربيات معززات دون المساس بهن ، ولا ريب في ان توظيفه هذا العامل النفسي ، يستحضر موقفا إنسانيا نبيلا لممدوحه ويستل سخيمة نفوس ثائرة ، لعلها تغير من رأيها في سيف الدولة ، وهي بالتالي ترفع من شأن ممدوحه ، ولعله يدعوها الى تدبر امرها مليا قبل الخروج عليه .[٢٨]

فَعُدْنَ كما أُخِذْنَ مكرمات   عَلَيْهِنَّ القلائدُ والملابُ

أما فك اسراهم فكان للنسب المشترك وحق الجوار ، كأنها دعوة الى توحيد الكلمة ورص الصفوف العربية :[٢٩]

لَهُمْ حقٌّ بِشِركِكَ في نزارٍ   وأدْنى الشِّرْكِ في أصْلٍ جوارُ

ويوظف للعامل النفسي دورا يشحذ به همم سيف الدولة ، لئلا ينخذل عن هدفه السامي في قراع الروم على كثرة ما يرى من تعاون المسلمين مع المشركين الروم ، فيبرزه في جنب الله وحيدا ، وغيره مشركين يدينون بابن واب .[٣٠]

كأنَّكَ وَحْدَكَ وَحَّدْتَهُ   ودانَ البريةُ بابن وأبْ

(٢٧) ديوانه ج٢/٢٠٩ .
(٢٨) ديوانه ج١ / ٢٠٧ .
(٢٩) ديوانه ج٢/٢١٥ .
(٣٠) ديوان ج١/٢٣٤ .

ثالثا : العامل النفسي ودوره في روميات المتنبي

لقد وظّف العامل النفسي بأدوار متعددة في روميات سيف الدولة الحمداني منها تحديات النصارى للمسلمين :(٣١)

أبا الغَمَرات تُوعِدُنا النصارى ونحن نُجومُها وهي البرُوج ؟!

ومنها انهم يحتشدون بعناصر قتالية من جنسيات شتى ، شأنهم في يوم الحدث الحمراء ، إذ حشدوا لها روما وروسا وبلغارا في حرب منظمة لهدم قلعة الحدث .(٣٢) فيقول(٣٣) :

تجَمَّعَ فيها كُلُّ لِسْنٍ وأُمةٍ فَما يَفْهَمُ الحدّاث إلا التراجم
وكيف ترجي الروم والروس هَدمه وذا الطعْن أساسٌ لها ودعائِم ؟!

ومنها إصرار بعض البطارقة على سحق سيف الدولة ، بعد ان اقسموا بمفرق الملك الرومي ، ومع ذلك خذله الله عن مراده ، فصغّره المتنبي بأيمانه التي خانه تنفيذها :(٣٤)

الى الفتى ابنُ شميشق فأحنثه فتى من الضرب تنسى عنده الكَلم
أين البطاريق والحلف الذي حلفوا بمفرق الملك والزعم الذي زعموا ؟!

لقد ابرز دور العامل النفسي كما ترى في تأجيج مشاعر المسلمين على ان الحرب بين المسلمين والروم حرب دينية :(٣٥)

وأنتَ مَعَ اللهِ في جانبٍ قليلُ الرُّقادِ ، كثيرُ التَعب

فابتعاثه الحرب الدينية تؤجّج المشاعر الاسلامية للجهاد وهو دور نفسي هام :(٣٦)

---

(٣١) ديوانه ج١/٣٦١ .
(٣٢) زكي المحاسني : شعر الحرب في ديوان العرب ص ٢٦٥ ، ٢٨٨ ــ ٢٩٣ وانظر د. حسين مؤنس : اطلس تاريخ الاسلام ، القاهرة : مؤسسة دار الزهراء ، ١٩٨١ خريطة رقم ٧٩ بين الثغور .
(٣٣) ديوانه ج٤/٩٩ــ١٠٠ .
(٣٤) ديوانه ج٤/١٣٠ .
(٣٥) ديوانه ج١/٢٣٢ .
(٣٦) ديوانه ج٤/٣١٣ .

خَضَعَتْ لمنصلك المناصل عنوةً وأذَلَّ دِيْنُكَ سائِرَ الاديانِ

كما يوزع ادوار العامل النفسي على حالات جهاد سيف الدولة منتصرا ومنهزما معا .

اما منتصرا ، فيبعث الرعب في قلوب الروم قبل التقائهم حينا .(٣٧)

بَعَثُوا الرُّعْبَ في قلُوبِ الاعا (م) دي ، فكانَ القِتالُ قَبْلَ التلاقي

كما يوزع حينا آخر الرعب على قلوب الروم قبل عيونهم ، فتبدو الصورة البصرية في عيون الروم مكبّرة مرعوبة الرؤية ، فترى لفزعها طول اذرع القنا على مسافتها القصيرة اميالا تنوشُهم انى كانوا ، فبدا الرعب ذاك يبيد جموعهم يمنة ويسرة :(٣٨)

واذا حاولتْ طِعانَكَ خيلٌ أبْصَرَتْ اذرعَ القنا اميالا

بَسَطَ الرُّعْبُ في اليمين يَمينا فتولَّى وفي الشِّمال شِمالا

ولعل هذا توزيع لادوار العامل النفسي في ابتعاث هيبة سيف الدولة في نفوس الروم ؛ لان شلمبرجة الفرنسي اكد ان الروم اسموه الكافر الحمداني، وهو « المحارب الاعظم السامي الذي اعلن الحرب المقدسة على النصرانية »(٣٩).

لقد وزع الرعب النفسي على الروم فأقَضَّ مضاجعهم في يقظاتهم ومناماتهم ، وهذا ما يُسمى اليوم بـ « عُصاب الحرب »(٤٠)

فاجتاحهم الرعب النفسي ليلا ونهارا .(٤١)

---

(٣٧) ديوانه ج٣/١٠٦ . (٣٨) ديوانه ج٣/٢١٦ .

(٣٩) زكي المحاسني : شعر الحرب ص ٢٥٨–٢٥٩ .

(٤٠) النابلسي ، محمد احمد (الدكتور) : الصدمة النفسية ، بيروت ، دار النهضة العربية ط١ ، ١٩٩١ ص ٣١–٣٧ .

(٤١) ديوان ج٢/٨٤ .

وكيفَ يَبيتُ مضطجعا جبان" فرشت لجنبه شوكَ القتادِ ؟!
يرَى في النومِ رُمحكَ في كلاه ويخشى أن يراه وفي السُّهادِ

وعُصابُ الحرب هذا يتفشى من الجند المقاتل الى عذارى الروم ؛ فما تكاد العذراء تحتلم حتى تحلم بالسبي العربي ، وهي محمولة على جمال العرب سبيّة .[42]

فكلّما حلمتْ عذراءُ عندهم فإنما حلمتْ بالسّبي والجمَلِ

واذا كان عُصابُ الحرب اصاب العذارى ممن لم يُسبين بعد ، فان مشاهد من سبايا الروم دليل ؛ ذلك ان بعض السبايا الروميات احتمين بجمالهن فلم تضرب اعناقهن لاجله حينا .[43]

فلم يَبق إلاّ مَنْ حَماها مِن الظُبا لَمَى شَفَتيها والثُّدِيُّ النواهدُ

ومنهن كواسد عند العرب ، والبطارقة يبكون عليهن ليلا في تحسر حينا آخر .[44]

تبكي عليهن البطاريق في الدجى وهُن لدينا مُلْقَيات" كَواسدُ

وعُصابُ الحرب يمتد الى الاسرى فيبول بعضهم على فخذيه بعد ان تبلل ثوبه .[45]

فغدا أسيرا قد بَلَلْتَ ثيابَهُ بدمٍ وبلّ ببَولِهِ الافخاذا

وليس بضروري ان يمتد عُصابُ الحرب الى الاسرى ، فبعضهم من تُضرب رأسه على عجل .[46]

أعْجَلْتَ ألسُنهم بضرب رقابهم عن قولهم لا فارس" إلاّ ذا

(٤٢) ديوانه ج٣/٢٠٧ .
(٤٣) ديوانه ج٢/٣٩٨ .
(٤٤) ديوانه ج٢/٣٩٨ .
(٤٥) ديوانه ج٢/١٨٧ .
(٤٦) ديوانه ج٢/١٨٧ .

ويوزع حرب الادوار النفسية على قتلى الحرب في سـوح القتـال ، فتسرح خيالك مع الشاعر الى قتلى ملقاة اجسادهم في صحارى تأكلها السباع ، فتثني على قاتليهم بصورة تشخيصية متشفية ، لان جثثهم وجبات دسمة لها(٤٧).

تَرَكْـتَ جَماجِمَهُـم في النَّقا ... وما يتحصَّلْنَ للناخـلِ
وأنبَتَّ فيهم رَبِيعَ السِّباعِ ... فأثنَتْ بإحسانِكَ الشامِلِ

والعامل النفسي يشمل قتلى المسلمين في حرب الروم ، ممـن خالفـوا سيف الدولة ، فعدّ قتلهم عقوبة لهم ، وتصفية لادران الجيش الاسلامي .(٤٨)

قُل للدمستقِ إنَّ المسلمين لَكُم ... خانوا الاميرَ فجازاهمْ بما صَنَعُوا
وَجَدْتُموهُم نِياماً في دِمائِكُم ... كأنَّ قتلاكُم إياهُمُ فَجَعوا!
لا تحسبوا مَنْ أسرتم كان ذا رمقٍ ... فليس يأكل إلاّ الميتةَ الضَّبُعُ
وإنّما عَرَّضَ اللهُ الجنودَ بِكُم ... لكي يكونوا بلا فَسلٍ اذا رَجَعوا

وقتلى الروم جثث ملقاة في الفلا هنا وهناك ، يحدق بها وفد الـروم المفاوض سيف الدولة ، فتنكشف امامه صور نفسية حركية تقشعر لهولهـا الابدان ، لما يرون من هام مفلق في ميدان الحرب .(٤٩)

وقـد سـار في مسراك منه رسوله ... فما سـار إلاّ فوق هامٍ مُفَلَّقِ

ويوزع المتنبي العامل النفسي على وفد الروم المفاوض للهدنة سـنة ٣٤٤ هجري .(٥٠)

فأبرز الشاعر رسول ملك الروم لابسا درعه ، يخفق قلبه هلعا ، وهـو يمشي بين صفين متقابلين من جند سيف الدولة ممن اصطفوا لاستقباله ، وكان

---

(٤٧) ديوانه ج٣/١٦١ .
(٤٨) ديوانه ج٢/٣٣٨-٣٣٩ .
(٤٩) ديوانه ج٣/٥٥ .
(٥٠) بسام العسلي : فن الحرب الاسلامي مجلد ٣/٣١٥-٣١٦ .

سيف الدولة يقف على بساط الملك الرومي وعليه تاجه ، فقسّم الوفد نظرته بين سيف الدولة حينا وسيفه حينا آخر كما يرسمه هذا المشهد .(٥١)

أتاك يكادُ الرأسُ يجحد عُنْقه وتنقدُّ تحت الذعر منه المفاصل
يقوّم تقويم السماطين مَشْيهُ إليكَ اذا ما عَوّجتْهُ الا فاكل
فقاسَمكَ العينين مِنْكَ ولحظُه سَمِيُّك ، والخلُّ الذي لا يزايل

وتبدو من النص انها المرحلة الثالثة للمقابلة ، اذ مر بمشهدين نفسيين قبلها ؛ اولهما مرور الوفد الرومي على ساح المعركة ليشهد بنفسه الهامات المفلقة ، وثانيهما يشهد الوفد لبوءة قتلها رجال سيف الدولة ، واستحيوا شبيلها قبل ان يمر الوفد من بين السماطين باتجاه سيف الدولة ، لما لذلك من رمز دال على القوة والسطوة ، حتى على ملوك الغاب ، فتزداد الهيبة لسيف الدولة ، ولما لهذا من رمز نفسي دال :(٥٢)

وأقبلت الرومُ تمشي اليك بين الليُوثِ وأشْبَالِها
اذا رأتِ الأُسْدَ مَسْبيّة فكيفَ تَفِرُّ بأطفالها ؟!

ويستمر في عرض مشهده النفسي ، فيبرز حرس المراسم في اوج تسلحه ، تلمع في اشعه الشمس سيوفه بين صفي مراسم ، فيرتبك وفد الروم لما يراه من رهبوت ؛ مقدما وعرضا عسكريا وتهيّبا عند مقابلة سيف الدولة .(٥٣)

وأقبل يمشي في البساط فما درى الى البحر يمشي أم إلى البدر يرتقي ؟

ان تذكيره بهذا الموقف كان ليرفع من معنويات سيف الدولة وجنوده، فالحرب كرٌ وفر ، فلا بد ان ينفخ فيه روح الجهاد ، ليثأر من الروم . بعد ان بلغه خبر عن تحشد الروم بأربعين ألفا ، بعد ثلاث سنوات من هزيمته ، فتهيبهم جيشه ، فطلب سيف الدولة من شاعره المتنبي ان يذكي فيهم روح الجهاد

(٥١) ديوانه ج٣/٢٣٣ . (٥٢) ديوانه ج٣/٢١٥ .
(٥٣) ديوانه ج٣/٥٦ .

فلبى اوامره ، فنفخ فيهم روح الحمية بصور شتى ، وهذا دور العامل النفسي في الحرب . لقد تحشد سيف الدولة بعدته الكاملة وأعد للحرب عُدتها :(٥٤)

وخيلٍ حشوناها الاسنة بعدما تكدسن من هَنّا ومِنْ هُنّا

ومنها ان الحرب كرٌ وفرّ والروم يدركون ذلك تماما ، والمسلمون هم اصحاب روح قتالية عالية .(٥٥)

وقد عَلِمَ الرُّومُ الشقيّون أننا اذا ما تركنا أرضهم خلفنا عدنا

ومنها «اننا» بضمير الجمع المتكلم نرتدي للحرب عدتها وتتهيأ لها سيوفا ورماحا ويضفي على حربه النفسية اشتراكه الشخصي معهم في المعركة التي تهيأ لها .(٥٦)

وإنّا اذا ما الموتُ صرح في الوغى لَبِسنا الى حاجاتنا الضرب والطَّعْنا

ومنها غوضه في اعماق النفس الانسانية لانها صاحبة القرار في تصور الخوف او عدمه ، فهي تخاف اذا ما تخيلت الخوف ، او يربط جأشها فترى في الحرب أمنا .(٥٧)

وما الخوف إلاّ ما تخوّفه الفتى وما الأمن إلاّ ما رآه الفتى أمنا

ثم ينقل الى المتلقين بعامل نفسي مشهدا حربيا ، كان من سجلهم السابق مع الروم ، اذ احرزوا نصراً ، واهرقوا فيه دم الروم التي بردت في يوم اللقان، وهاهم يتابعون القتال ، يوظف التضاد ، وبفعل متعد (تتبع البارد السخن) . من جهة ، وفعل مضارع مستمر متعد ، يحمل معه حربا نفسية مصممة على القتال مستنهضا همم الجندية .(٥٨)

فقد بَردت فوق اللُّقان دماؤهم ونَحن أناسٌ تتبع البارد السخنا

---

(٥٤) ديوانه ج٤/٣٠٠ .
(٥٥) ديوانه ج٤/٣٠٠ .
(٥٦) ديوانه ج٤/٣٠٠ .
(٥٧) ديوانه ج٤/٣٠٤ .
(٥٨) ديوانه ج٤/٣٠١ .

وتستوقفه الجرحى عاملا نفسيا يوزعه على المسلمين والروم ، يقارن بين حالاتهم ، اما الجريح المسلم فيزدان به وجهه لانه ناله بشرف في ساحةالمعركة، كجرح محمد العلوي الذي تمنى الشاعر ان يمنى بمثله .[٥٩]

يا ليتَ لي ضربةً أتيح له — كما أُتيحت له مُحَمَّدُها
أثّر فيها وفي الحديد وما — أثّر في وجهه مهندها
فاغتبطت اذ رأت تَزَيّنها — بمثله والجراحُ تَحسُدُها

والجراح تعادل خبرات الجند في سوح الوغى فتزداد الثقة به .[٦٠]

وَكلٌ فتى للحربِ فوق جبينه — من الضرب سَطْرٌ بالاسّنة مُعْجم

اما جِراح الروم فعار عليهم ، لانهم جرحوا مدبرين لا مقبلين كالدمستق الذي ولى على عقبيه تاركا ولده في شفار الموت:[٦١]

نَجوْت بأحْدى مُهجتيك جريحة — وَخَلفت إحدى مُهجتيك تسيل

ثم يقارن — من منظور نفسي — بين جريح مسلم يرجع للقتال بخبرة حرب معتزا بها ، ودمستق رومي جريح ، يعتزل السلاح ويترهبن ، منحطم المعنوية يتزيا بالمسوح لباسا ، ثم يقبع في دير منكفئا على نفسه ، يمشي به العكاز لا العكس ، خائر القوى ، راضيا بحالته هذه ، بعد ان كان يتعفّفُ على احسن الدروع الدلاص ، والشقر الجياد :[٦٢]

فأصبح يجتاب المسوح مخافة — وقد كان يجتاب الدّلاص المسردا
ويمشي به العُكّاز في الدير تائبا — وما كان يرضى مشي اشقر اجْرَدَا
وما تاب حتى غادر الكَرُّ وَجهَهُ — جريحاً وخلى جَفْنَهُ النقعُ أرمدا

---

(٥٩) ديوانه ج٢/٣٠–٣١ .
(٦٠) ديوانه ج٤/٧٥ .
(٦١) ديوانه ج٣/٢٢٨ .
(٦٢) ديوانه ج٢/٦ .

ونخلص الى ان العامل النفسي كان له ادوار عدة عند المتنبي وزعها على ثلاثة محاور هي : الدعاية لسيف الدولة وتكبير صورته وترصده لسمات مميزة انماز بها عن غيره حربيا ونفسيا ، لرفع معنويته في سرائه وضرائه ، وترهيب خصومه .

والعامل النفسي ودوره في قتال القبائل العربية ، واضعاف عزائمهم عن القتال والدعوة الى ضم الصفوف ، ومحاولته استلال السخيمة من النفوس .

والعامل النفسي ودوره في روميات المتنبي : منتصرا ومنهزما ، ليرفع من معنوياته في الانتصار للاستمرار في الجهاد ، وتبرير انهزامه ، فالحرب كر وفر ، لاسيما ان سيف الدولة كان يطلب من شاعره احيانا ان ينفخ في الجيش روح الجهاد ، كلما شعر انها فَتَرَتْ او تراخت في فترات عصيبة خاصة عندما يحتشد الروم من اجناس شتى ضد سيف الدولة الذي يقف في وجوههم وحيدا على قلة جنده ، وتفرّق بعضها وثوراتهم عليه في فتن داخلية كانت تعصف بدولته ، كلما شعروا بضعف حل فيهم جسديا او تهديدا طاغيا روميا او لطمع في التسيد والاستقلال .

ولعل هذه الادوار التي درسناها تنسحب كلها او معظمها على ما يعرفه اهل الاختصاص بمصطلح الحرب النفسية في عصرنا الحاضر .

المراجـــع

١ ـ ابن الاثير : عز الدين ابو الحسن علي بن المكارم محمد محمد عبدالكريم الشيباني : الكامل في التاريخ ، مراجعة د. محمد يوسف الدقاق ، بيروت : دار الكتب العلمية ط ٢ ، ١٩٩٥ ، ج٧ .

٢ ـ الحموي ، ياقوت : معجم البلدان ، بيروت : دار صادر ، ١٩٩٥ ،(٧) سبعة اجزاء .

٣ ـ شرح ديوان ابي الطيب المتنبي ، وضعه عبدالرحمن البرقوقي ، بيروت : دار الكتاب العربي ، (٤) اربعة اجزاء بمجلدين .

٤ ـ العسلي ، بسام : فن الحرب الاسلامي في العصر العباسي ، ط١ ، بيروت : دار الفكر ، ١٩٨٨ .

٥ ـ فوللر ، ج.ف.س : ادارة الحرب من عام ١٧٨٩ حتى ايامنا هذه ، تعريب وتعليق اكرم ديري ، ط٢ ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨١ .

٦ ـ كحالة ، عمر رضا : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٤ ، ط٧ ، (٥) خمسة اجزاء .

٧ ـ المحاسني ، زكي : شعر الحرب في ادب العرب في العصرين الاموي والعباسي الى عهد سيف الدولة الحمداني ، ط٢ ، القاهرة : دار المعارف . (د.ت)

٨ ـ مؤنس ، حسين : أطلس تاريخ الاسلام ، القاهرة ، مؤسسة دار الزهراء ، ١٩٨١ .

٩ ـ النابلسي ، محمد احمد : الصدمة النفسية ـ علم نفس الحروب والكوارث، ط٢١ ، بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٩١ .

١٠ ـ هيثم الايوبي وزملاؤه : الموسوعة العسكرية ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١ ، (٣) ثلاثة اجزاء .

الدوريـــات

حسن الربابعة : بحث عنوانه « الشؤون الادارية في الحرب عند المتنبي » نشر في مجلة جامعة جرش للبحوث والدراسات المجلد ٢ عدد ١ كانون اول ١٩٩٧ ص ١٣٣ ـ ١٧٢ .

الاصالة في البحوث العلمية ... مشكلة معاصرة في العـــراق

الدكتور مثنى عبدالرزاق العمر
جامعة بغداد ــ كلية التربية للبنات

من المهام العلمية والاخلاقية التي تقع على عاتق المختص العلمي هي مهمة المساهمة في حركة التقدم العلمي للمجتمع أولا ثم لعموم الانسانية ان استطاع الى ذلك سبيلا ، وهذه المشاركة تتأتى بدرجة رئيسة من أنجاز البحوث ونشرها ، وبدرجة أدنى من تحرير المقالات لنشرها في وســائل الاعلام الاخرى فضلا عن المشاركة في الانشطة الرامية الى عكس حركة التقدم العلمي في ذلك المجتمع والعمل على تخفيف معاناة البشر من أنــواع المشاكل والاختناقات التي تفرزها مسيرة الحياة .

العلم درجات ، وعلى الرغم من أن المقصود بالعلم هو مجالات المعرفة البشرية كافة ، إلا ان مانقصده بالعلم في هذه المقالة هي العلوم الصرفة والتطبيقية بمجالاتهــا المتعددة ، لكن هــذا لا يمنع من شــمول جميع انواع المعرفــة الانسانية بحديثنا هذا . من جانب ثان ، فان المشتغلين بالعلم لهم درجات ومنازل أيضا ، وعلى من يشتغل بالعلم ضمن مجال التعليم الجامعي بالدرجة الرئيسة ، أن يثبت جدارته في مجال أختصاصه ليرتقي الى منزلة أعلى ، وهو ما أصطلح على تسميته بالترقية العلمية ، والتي تتطلب نشر بحوث علمية رصينة وليس مقالات صحفية ، وأن يكون النشر في مجلات علمية محكمة ، سبق الاعلان بأعتمادها .

وتحسبا من أختلاط الامور ما بين البحــوث والمقــالات ، فقد وجـب ان يكون بعض ــ أو كل ــ تلك البحوث متصفا بالاصالة ، لذلك وضعت شروط تحددعدد البحوث المطلوب تقديمها لكل منزلة علمية تعليمية ومنها مرتبة الاستاذية التي تتطلب نشر ما لا يقل عن ثلاثة بحوث أصيلة ، ثم حددت المجلات المعتمدة في النشر العلمي ، ووضعت استمارات ذوات فقرات كثيرة ومتنوعة وغير ذلك ، وأعطيت أشارة البدء ــ وهذا التعبير مجازي ــ بتقييم العلميين منذ فترة ليست بالقصيرة وسارت العملية بصــورة جيدة في الجامعات ، وحذت بعض الدوائر البحثية الاخرى حذوها بأن أقتبست تجربة الجامعات ، فأنجزت الكثير من التقييمات وحصل الكثير من العلميين على الترقية العلمية التي لا غبار عليها البتة ، ولكن لم تكن العملية لتخلو من بعض (الضحايا) من الافراد او البحوث من حين لآخر ، وهذا الامر قديعد طبيعيا أيضا .

لكننا في جميع مراحل هذه العملية ــ وفي خضم الــولع بتطوير الاستمارات والشروط والضوابط ــ تناسينا تعريف المقصود بالاصالة بدقة ، كما تناسينا أنها مسألة نسبية بدرجة كبيرة ، وحتى لو كان مفهوم الاصالة معرفا بوضوح ــ أو بغموض أو أقتضاب ــ فأن أغلب الباحثين واساتذة الجامعات لا يعلمون شيئا عن التعريف الصحيح او الدقيق ، وحين نســـأل أحدهم فأنه يقدم الاجابة من وجهة نظره التي قد لا يؤيده فيها الكثير ، الا من حيث المضمون العام .

من جانب آخر هناك مجالات عديدة من التخصصات كالعلوم الصرف والعلوم الطبية والهندسة والتطبيقية وغيرها التي تضيف أبعادا أكبر لهذه المشكلة ، ولكن مع ذلك فان مفهوم الاصالة في جميع هذه التخصصات لابد أن يكون واحدا مع فوارق بسيطة .

ونحن نستخدم مفهوم الاصالة في وصف البحوث التي تحال الينـــا بأستمرار لتقييمها :

- فهل نحن منصفون في أتخاذ القرار بشأن تقييم تلك البحوث ؟
- وما المعنى الدقيق للاصالة وما حدودها ؟
- هل الاصالة في البحوث هي حقيقة مطلقة أم نسبية ؟
- هل للاصالة حد قاطع ... أي أن يكون البحث أصيلا أو لا يكون ؟
- ما هو المقياس أو المعيار الذي نقيس عليه أصالة البحوث من عدمها ؟ ، ومن الذي حدده ؟
- ما فائدة البحوث التي وصفت بعدم أصالتها من قبل واحد أو أثنين من المقيمين بتجرد أم بتعمد . عن دراية أم بعدم دقة ، أم باختلاف وجهات النظر ؟. وهل تعد مثل تلك البحوث غير الاصيلة (التي تعرف بالقيمة) قليلة الاهمية الى درجة أنها غير جديرة بمنح من يقوم بها درجة الاستاذية حتى وان كانت بالعشرات ، فكيف نشرت اذن ؟.

هناك أتجاه سائد مفاده أن البحوث تقع على أحد شكلين رئيسين هما البحوث النظرية (أو التي تسمى أكاديمية أحيانا أو الاساسية في أحيان أخرى) ، والبحوث التطبيقية لذلك ففي بعض المجالات وكمعالجة جزئية فقد أضيف بعد ثالث لتصنيف البحوث ، بأن يعد كل بحث تطبيقي بمثابة بحث أصيل بغض النظر عما اذا كان قد طبق بالفعل أم لا ، الا أن تعهد أحدى الجهات الرسمية بتطبيق نتائجه كفيلا بمنحه صفة التطبيقية . تهاوت أثر ذلك مكانة البحوث الاساسية بعض الشيء ، والتي كانت قد استقطبت بالاساس الكثير من المعارضين بوصفها بحوثا غير مجدية ، في حين تشكل هذه البحوث القاعدة الاساسية من المعرفة الانسانية والتي لا يمكن الاستغناء عنها مطلقا .

يشير أبو شرار (١) الى وجود سوء فهم لمضمون الابحاث التطبيقية قائلاً : « اذا كانت الابحاث النظرية معنية بتطوير مفاهيمنا حول حقائق نظرية شائعة أو أستنباط حقائق نظرية جديدة ، فان مهمة الابحاث التطبيقية تتلخص

في استثمار تلك الحقائق النظرية مباشرة ، وفي استنباط مفاهيم جديدة او تطويرها حول علاقات يمكن استثمارها مباشرة في نشاطات مفيدة » .

وقد يكون مناسبا الاشارة في هذا المجال الى أن العالم الشهير البرت أنشتين كان قد حصل على شهادة الدكتوراه في موضوع نظري (الابعاد الجزيئية) صرف ، ثم عمد الى نشر ثلاثة بحوث نظرية بعد ذلك كان الاول يدور حول الحركة البراونية والثاني حول التأثيرات الكهروضوئية الذي جاء بمفاهيم قلبت الكثير من مفاهيم الفيزياء أما الثالث فكان يدور حول الخصائص الديناميكية الكهربائية للاجسام المتحركة ، التي عرفت فيما بعد بالنظرية النسبية الخاصة ، ثم واصل ذلك العالم الشهير بحوثه النظرية خلال الفترة ما بين عامي ١٩٠٧–١٩١٦ فتوصل بعدها الى اعلان النظرية النسبية العامة ، وجميع تلك المنجزات كانت نظرية بالكامل لكنها في مجال هو من أكثر مجالات العلوم حاجة الى الاجهزة والمعدات والبحوث التطبيقية .

أن تقييم البحوث ممارسة اساسية لا اعتراض عليها ، لكنها تضم الكثير من السلبيات بحيث يختلط الخطأ بالصواب وتغدر الكثير من الحقوق العلمية ، فكم من بحث تشتت آراء المقيمين بشأنه ما بين (أصيل) و (قيم) وثالث (مفيد) وربما رابع أكد عدم أهميته مطلقا ، هذا مع قناعتنا التامة بوجود بحوث أتفقت بشأنها الآراء تماما سواء كان تقييمها (أصيلا) أم (قيما) أم غير ذلك .

أن عدم الدقة في عملية تقييم البحوث بوضعها الحالي يتأتى بالدرجة الرئيسة من الاسباب التالية :

١ ـ أنها تخضع كليا الى الرأي الشخصي غير المستند الى ضوابط واضحة .

٢ ـ ان هذا الرأي الشخصي محكوم بدوره بدرجة كبيرة بخبرة الشخص المقيم ودقة ملاحظته فقط .

٣ ـ أن الرأي لا يمكن أن يخلو من المزاجية ، فضلا عن بعض الدوافع الشخصية[١] الا ما ندر •

٤ ـ وفوق هذا وذاك فهي عملية غير محددة المعالم وغير مفهومة للعديد من المختصين في الدول الاخرى[٢] •

٥ ـ أن المقيم قد يكون في بعض الاحيان أقل كفاءة ومقدرة أو مواكبة للتطور من صاحب البحث ، على الرغم من كونه يحمل نفس المؤهل العلمي والدرجة العلمية •

ان عملية تقييم البحوث هي عملية تحكيمية تتطلب اصدار حكم ما ، وان يكون هذا الحكم عادلا ، وكل صاحب اختصاص يمكن ان يكون مقيما لبحث او لمجموعة بحوث مرة واحدة في الاقل ، وبذلك فـان القرارات تتباين بدرجة كبيرة ، ولنا أن تتصور ما سيكون عليه شكل العدالة لو لم يكن هناك قضاة محددون ، وان كل فرد في المجتمع ولي القضاء مرة أو أكثر في حياته حكم على فرد آخر في قضية ما ، ويكون القرار المخول بأصداره أما بالسجن المؤبد أو الافراج فقط دونما تدرج ما بين الحكمين •

اذا ما عددنا ان عملية اسـتبيان القيمة العلمية لبحث ما ، هي عمليـة تقييم خاضعة الى شروط وضوابط عمليات القياس والتقييم نفسها ، فان هذه العملية يفترض ان تكون على أحد الوجهين الآتيين :

١ ـ تقييم معياري Criterion-Referenced Evaluation ويتم مثل هذا التقييم بمقارنة البحث المراد تقييمه نسبة معيار ثابت لا يتغير ، كأن

---

(١) ان حجب اسم الباحث او الباحثين لا يعد امرا مجديا دائما بسبب معرفة اصحاب الاختصاص الدقيق لبعضهم البعض ، وبما ينجزون من بحوث ، لا سيما اذا كانت منشورة قبل فترة ليست بالقصيرة ، وهذا بالطبع امر مطلوب ومهم .

(٢) لقد سبق للكثير من المختصين ممن اختيروا لتقييم بحوث ، الاعراب مـن استغرابه لقيام جهة علمية باعادة تقييم بحوث منشورة في مجلات علميـة رصينة ، وفي حالات اخرى كثيرة امتنعوا عن الرد .

يكون هناك قرار يضم النص الاتي : « بحثا أصيلا كل أنجاز علمي منشور أحتوى على فكرة جديدة أو طريقة أختبار ، أو نتائج او نظريات ... الخ » وواضح ان مثل هذا المعيار غير متوفر ، كما لا يمكن توفيره حتى لو وجد فسيبقى نسبي المفاهيم ، كمن يستخدم قطعة من المطاط ليقيس بها اطوال الاشياء .

٢ ــ تقييم عرفي Norm-Referenced Evaluation وهذا التقييم يفترض ان يتم بالقياس الى عرف سائد يكون بمثابة مقياس غير رسمي ولكن متعارف عليه ، أي مجموعة بحوث منشورة تستخدم للمقارنة بعد ثبوت أصالتها بشكل ما ، مع ضرورة أن تقع ضمن الاختصاص نفسه وقد أجريت في ظروف زمنية ومكانية مقاربة . وهذا التقييم أو ما يشابهه هو المعمول به حاليا ، ويمكن تحديد المقصود بالعرف في هذه الحالة بأنه حصيلة ما يحمله المقيم من وجهة نظر غير معلنة ، وبذلك فهي تختلف من مقيم لآخر وتكون عرضة للتغيير المستمر والابعاد النسبية وتحكمها المواقف الشخصية وحتى المزاج أيضا ، فضلا عن تغيرات عديدة وأخرى مما يؤكد أنحيازها وعدم ثباتها .

البحوث والمنهجية في البحث العلمي :

كانت عملية البحث والتمحيص في الحقائق والافكار وأقامة النظريات ، هي الدعامة الرئيسة التي تطور العلم بموجبها أو بناءا عليها . وقد كان البحث العلمي ، قبل نشأة العلوم الحديثة يجري بصورة عشوائية ، وتخضع التجارب أو الممارسات الاخرى المتبعة لانجاز دراسة أو بحث ما الى الاهواء الشخصية للباحث الذي لم يكن مؤهلا دراسيا عادة ، والى مبدأ المحاولة والخطأ ، ثم شيئا فشيئا تحول الى عملية مدروسة ومحددة بضوابط وأسس دقيقة لا يمكن اغفالها أو تجاوزها ، وهي ما يعرف بالمنهج العلمي .

يعرف ديكارت (Descartes) المنهج العلمي بأنه : « مجموعة القواعد المؤكدة ، التي تمنع عند مراعاتها بدقة تصديق ما هو كاذب ، وتجعل العقل يصل الى معرفة حقيقية بالاشياء التي بحثها ، ويستطيع الوصول اليها بدون بذل جهد اضافي (٢) • كما يقول ديكارت : « ليس من المهم أن يكون لنـــا عقل ممتاز ، بل المهم أن نستخدم عقلنا استخداما جيدا ، واذا كانت علوم الطبيعة لم تزدهر في القدم او في العصور الوسطى ، أو انها لم توجد اساسا في ذلك الوقت ، فان السبب الرئيس يعود الى استعمال المناهج الناقصة وليس الى غياب العبقرية »[٣] •

لذلك فان انجاز بحث علمي ناجح لا يحتاج الى العبقرية قدر حاجته الى منهجية صحيحة ، والى ادراك ما هو مكتشف من الحقائق وما لم يكتشف بعد في ذلك المجال من الاختصاص • ان مناهج البحوث عديدة ، وتختلف في خصائصها وفي الادوات اللازمة لتنفيذ كل منها ، وهناك الكثير من المراجع المتاحة حول هذه المناهج (٢،٣،٤،٥) التي لن ندخل في تفاصيلها ، الا ان ما نقصده في هذه المقالة هي البحوث التي تجرى على وفق المنهج التجريبي (وبدرجة أقل على وفق منهج دراسة الحالة) • يعتمد تنفيذ البحوث على وفق المنهج الاول على التجارب المختبرية كوسيلة للتوصل الى النتائج ، ويعرف عن البحوث المنفذة على وفق هذا المنهج انها تشكل الغالبية العظمى للبحوث العلمية المنشورة في مجالات العلوم الصرفة والهندسية والطبية •

ان اتباع المنهج الصحيح في التنفيذ ، لابد ان يؤدي الى بحث يمتاز بالاصالة بمفهومها العلمي ، وليس بالمفهوم السائد في الاوساط الاكاديمية في يومنا الحاضر ، ويذهب أبو شرار (١) الى « ان البحث العلمي الصالح للنشر لابد ان يكون أصيلا ، وان الاصالة تعني الحصول على نتائج مستقاة من نشاط منهجي تجريبي يهدف أساسا الى استنباط حقائق جديدة او مراجعة حقائق سائدة او تدقيقها او تطويرها ، او ابداع طرق اختبارية او تطويرها» •

(٣) مأخوذ بتصرف عن المصدر (٢) .

لما تقدم ، يمكن القول أن البحث المنشور لا يمكن ان يكون تكرارا لبحث آخر سبقه ، ولكن هذا لا ينفي احتمالات تشابهه مع البحث الاول من حيث موقع القياس او طرقه او غير ذلك ، او محاكاته في ذلك ، مما يعني ان الثاني (اقل اقيمة من الاول) لكنه ليس عديم القيمة • والا لما وافقت على نشره المجلة ، ولعل أكثر المجالات التي ينطبق بشأنها هذا الكلام هي مجالات المراقبة البيئية مثلا ، اذ نحتاج بل نتمنى ان تكثر الارقام والقياسات بشأن هواء بغداد مثلا في مناطق مختلفة منها وفي فترات زمنية مختلفة ، ومثل هذه القياسات لا يمكن ان يجريها باحث بمفرده ، واذا تمكن من ذلك لسنة أو سنتين ، فاننا ننتظر مواصلتها من آخرين ، لذلك فان تكرار القياسات لن يفقدها قيمتها العلمية وان استخدمت الاجهزة والمعدات والمنطقة والظروف نفسها ، لكنها في الوقت نفسه تكون ذات نصيب أدنىمن (الاصالة) ، ذلك يمكنني الجزم بأن كل بحث لابد ان يمتلك الاصالة في أحد جوانبه ، وهي أماأن تكون كامنة في طرق الاختبار ، او في النتائج او في المناقشة او التعليل او التوصل الى وجهات نظر جديدة ، وغير ذلك • بل ان البحوث التي هي من نوع المقالة المرجعية (review article) التي تستعرض وتناقش ما توصل اليه الآخرون في بحوثهم السابقة ــ ولا يكون للباحث الذي يستعرضها أي دور عملي في التوصل الى النتائج ــ تمتلك هي الاخرى أصالة مؤكدة ان تمكن الباحث من عرض وجهات نظر الاخرين ومناقشتها بشكل علمي مصححا او مخطئا بعضها او مستخلصا منها مناقشات اوصلته الى قرار او فكرة معين ، وفي الحقيقة فان البحوث او المقالات المرجعية لها أهمية كبيرة في مجالات العلوم ، ولا يتمكن من تحريرها الا الباحثون المتمرسون ذوو الخبرة الطويلة •

قلنا أن كل بحث يجب ان يحتوي على شيء من الاصالة ، اذن فالاصالة درجات والقيمة العلمية هي الاخرى على درجات ، وكلا المفهومين يخرج عن نطاق مبدأ (الكل او لا شيء All or (none principle)) ، المعمول به

حاليا في مجال تقييم البحوث ، لذا فأن الهدف الرئيس لهذه الدراسة هي أقتراح وضع درجات لكل بحث في اثناء التقييم كما يأتي شرح ذلك لاحقا .

دور المجلة العلمية :

المجلات العلمية التي تعرف بالدوريات هي الشكل الوحيد المتفق عليه لتوثيق النتاج الفكري والعلمي للباحثين في كل مكان من العالم اليوم ، وقد يمكن اضافة وقائع المؤتمرات والندوات وبعض أنواع المصادر الاولية[٤]، الاخرى ، وقد ظهرت هذه الحالة من توثيق البحوث أول مرة منذ القرن السابع عشر ، حين أصدرت الجمعية الملكية في لندن نشرة دورية اول مرة عرفت باسم نشرة « المعاملات الفلسفية » (Philosophical Transactions) عام ١٦٦٢ أعقبها قيام أكاديمية العلوم في باريس بأصدار نشرة بأسم « المذكرات » (Memoires) (٦) في حين يشير غرايندييرغ (٧) الى أن اسم النشرة البريطانية هو « سجل الوقائع الفلسفية » ، وفي الوقت الذي كانت فيه تلك النشرات الدورية الاولى ، تنشر كل ما يرد اليها من الباحثين ، لم تكن المعلومات المنشورة فيها تتجاوز اخبار الاكتشافات التي حققها الباحثون مدونة على شكل يقرب من الاعلان عن خبر كأخبار الصحف اليوم وذلك بهدف حماية حقوق الأكتشاف وتسجيلها باسم العالم ، أكثر من كونه توثيقا لنتائج البحث ، لكن واقع الحال قد تغير بدرجة جذرية ، فأصبح للنشر العلمي شروط وضوابط صارمة حول كيفية تدوين البحث ونوعية المعلومات الواردة فيه ، يسبقها شروط وضوابط أخرى صارمة عن المنهجية

(٤) تقسم المصادر المكتوبة والمعروفة اليوم كوسيلة لتوثيق النتاج الفكري والعلمي للباحثين الى فئتين رئيسيتين هما : المصادر الاولية كالكتب والدوريات بأنواعها ووقائع الندوات والمؤتمرات والحلقات الدراسية ، والمصادر الثانوية التي تشمل الفهارس والملخصات وما شابه ذلك .

التي يجب أن تسير على وفقها خطوات البحث لكي تصل الى النتائج الدقيقة . وهي ما يعرف بالمنهجية ، وفوق هذه الشروط وتلك ، فـان البحث يجب ان يخضع لعملية تحكيم وتدقيق من قبل جهة النشر قبل أعلان قبوله . اذن فان القرار النهائي بصدد بحث معين يعود الى جهة النشر ، فاذا كانت معتمدة ؛ فان ما تقره يجب ان يكون معتمدا ، أي أن استقراء صحة المنهج المتبع ، ودقة النتائج يمكن ان يتم من خلال هيئة تحرير المجلة التي قبلت البحث للنشر ، اذ ان مجرد نشر البحث في مجلة علمية رصينة يعني أنه مستـوف شروط المنهج الصحيح ، والدقة العلمية ، مما يعني أصالة البحث ، وان كانت نتائجه مكررة في مكان آخر من العالم أو في فترة زمنية سابقة .

هذا مع أدراكنا الكامل للحقائق الآتية :

١ ــ لا شك في ان هناك حلقات في مسيرة التقدم العلمي كانت قد شكلت بحوثا أصيلة بمعنى الكلمة التي تمثلت في أكتشاف طرق جديدة في الكشف أو التحليل او التجارب او النظريات وما شاكل ، كما ان كل براءة اختراع هي بمثابة بحث أصيل .

٢ ــ ان البحوث المتصفة بهـذه الصفة تشـح في بعض المجالات العلميـة التخصصية ان لم تنعـدم ، اما بسبب الحاجـة الى تقنيات متقدمة يندر وجودها في العراق بشكل خاص وبالتحديد خلال فترة الحصار الجائر ، أو يندر وجودها أيضا في عموم الدول النامية بشكل عام ، او بسبب تقدم العلوم وتشعبها بدرجة كبيرة وانتقالها الى مجالات تطبيقية .

٣ ــ ان الاعتماد على البحوث الاصيلة فقط كأساس علمي معترف به لنيل درجة الاستاذية ، يعني الحكم على كل ما عداها بأنه غير مجد او غير ذي قيمة ، وفي هذا هدر للجهود ومجافاة للحق والعدل ، وبذلك فهو أجراء غير صحيح ، والا لتم تحميل الباحث الذي يقضي سنوات عمله في انجازات يحكم عليها بأنها (قيمة) جميع الاتعاب والمصاريف التي صرفت لغرض تنفيذ تلك البحوث .

٤ ـ الاصالة التي أشرنا اليها ليست قيمة محددة ومعلومة او متساوية لكل البحوث ، بل هي قيم متدرجة ما بين مهمة جدا للانسانية او لمجتمع ما ، ومحدودة الاهمية ، وضيقة او معدومة الاهمية احيانا على الرغم من توفر جميع مقومات الاصالة فيها ، وكم من براءة اختراع ، لم يعر أحد الاهتمام اليها ، على الرغم من مرور سنوات الحمايـة عليها[٥] ، وكم من بحث علمي تم تقييمه على اساس انه (اصيل) او تطبيقي ، لم يثبت جدواه للمجتمع قدر بحث آخر تم تقييمه على انه (قيم) والبحوث التي توصف بأنهـا (قيمة) هي بدورها متدرجة القيمـة ويجب عدم مجافاة هذه الحقيقة •

ويمكن القول ان عملية تقييم البحوث بالطريقة التي تتم بها ليست بالعملية المجدية ، لا من حيث الهدف ولا من حيث الجدوى العلمية للمجتمع ولا من حيث واقعية الاجراء ، وذلك بالمقارنة مع ما يصرف من جهد ومبالغ بشأنها ، بل يمكن الاستعاضة عنها بالخطوات الآتية :

١ ـ عند اجراء تقييم لبحث ما ، يطلب الى المقيم اعطاء درجة للبحث الذي يتم تقييمه ، على وفق فقرات محددة (مثل مطابقة العنوان للمضمون ، منهجية التجارب ، حجم العينة المستعملة ، دقة النتائـج المستحصلة ، دقة التحليل الاحصائـي ، المناقشة ودقتها ، حداثـة المصادر وعلاقتها بالمضمون ، وأي فقرات أخرى مماثلة) ، بحيث لا يتجاوز مجمـوع النقاط عن ١٠٠ درجة لكل بحث مثلا •

٢ ـ يتم أحتساب المعدل لكل بحث على وفق ما حاز عليه من نقاط مـن كل مقيم •

---

(٥) كل براءة اختراع تكون مشمولة باجراءات حماية حق الاكتشاف لمدة خمسة عشر عام ، ويكون من حق صاحب البراءة مقاضاة اي شخص او جهة تستعملها دون اذن منه ، وبعد مرور سنوات الحماية تصبح حقا مشاعا للمجتمع ، فيسقط حق المخترع فيها .

٣ ــ تخصص درجة معينة لغرض الترقية العلمية ولتكن مثلا ٢٠٠ درجة لمن هو بدرجة مدرس للترقية الى الدرجة الاعلى ، و ٣٠٠ درجة لمن هو بدرجة استاذ مساعد وهكذا ، وعلى التدريسي ان يحقق هذه الدرجة ليستحق الترقية سواء حققها ببحوث ثلاثة او اربعة او عشرة .

٤ ــ تكمن فوائد الطريقة المقترحة بما يأتي :

أ ــ تتجاوز هذه الطريقة أي تعارض محتمل في نتيجة التقييم لبحث ما ، التي ترد متباينة أحيانا الى درجة التناقض .

ب ــ تمنح أهمية للبحوث التي لا تقيم أصيلة ، والتي قد تكون أكثر أهمية من الناحية العملية .

ج ــ تقليص الاراء الشخصية والمزاجية في التقييم الى ادنى حد ممكن من خلال أخذ المعدل لدرجات كل بحث .

ونأمل بهذا أن نكون قد أدينا خدمة لصالح عراقنا ، عراق الخير والعلم والعلماء ، والعطاء المستمر .

المراجـــع

١ ـ ابو شرار ، طالب (١٩٩٠) نحو بعد ثالث لعملية البحث العلمي ، المجلة الثقافية ، العدد ٢١ ص٦٧ـ٧١ .

٢ ـ السرياقوسي ، محمد أحمد (١٩٨٦) التعريف بمناهج العلوم ، سلسلة التعريف بالمنطق ومناهـج العلـوم (٣) ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ص ٥ـ٦ .

٣ ـ رشوان ، حسين عبدالحميد (١٩٨٩) العلم والبحث العلمي : دراسة في مناهج العلوم ، المكتب الجامعي الحديث ـ الاسكندرية ـ مصر ، الطبعة الرابعة .

٤ ـ عناية ، غازي (١٩٨٦) اعداد البحث العلمي ، مؤسسة شباب الجامعة ، للطباعة والنشر والتوزيع ، الاسكندرية ـ مصر .

٥ ـ سليمان ، عبدالله محمود (١٩٧٣) المنهج ، وكتابة تقرير البحث في العلوم السلوكية ، مكتبة الانجلو مصرية .

٦ ـ موسوعة مايكروسوفت الالكترونية ١٩٩٧ .

٧ ـ غرايندبيرغ ، أندر (١٩٨١) التواصل العلمي ، وقائع ندوة العلم : نظرياته وتطبيقاته ، ١٧ـ١٨ كانون الثاني ١٩٨٠ ترجمة خليل ابراهيم حماش ، اتحاد مجالس البحث العلمي العربية ، ص١١٣ .

لهجة أهل بغداد في قرونها الاولى الملامح الصوتية

ا. د. محيي الدين توفيق ابراهيم
كلية الاداب ـ جامعة الموصل

الملخــص

بحث في علاقة هذه اللهجة باللغة الفصحى وبيان التطور الصوتي الذي حدث فيها وعلاقتها بلغات العرب المعروفة آنذاك ، وقد تبين ان أغلب ما يذكر من كتب لحن العامة وتقويـم اللســان وتثقيفه من التغـيرات الصوتية يعود الى هذه اللهجة فضلا عن بعض التغيرات الدلالية والنحوية . وقد تبين في البحث ان أهل التي تتحدث عنهـا كتب اللغة ، كقلب الجـيم الى صوت بين الجيم والقاف والكاف كما هو الحال الآن عند أهل اليمن وشمالي مصر . ومع ذلك فقد حافظت هذه اللهجة على علاقتها بالفصحى علاقة وثيقة .

اللغــة واللهجــة :

فرق اللغويون العــرب بين اللســان واللغــة ، فأطلقــوا الاول علــى ما يسمى حديثا باللغة وبهذا جاء القرآن الكــريم في اكثر من موضع ، مــن ذلك قوله تعالى : (وما أرســلنا من رسول الا بلسان قومه)[1] ، وقال ايضا : (لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين)[2] .

واما مصطلح اللغة فيعني عندهم احد فروع ذلك اللسان ، فقالوا لغــة قريش ولغة تميم ولغة هذيل وغير ذلك . فلم يكن تفريع اللغات يخص الامصار، بل يعني به لغات القبائل . غير أننا نجدهم يستعملون مصطلح لغة الحجاز او لغة اليمن او لغاتها ، ولا شك في انهم يعنون بذلك لغات القبائل التي تعيش فيها ، الا ان نسبة اللغة عندهــم الى القبائل اكثر من نسبتها الى الاقطــار ، ولا يعرف عنهم نسبتها الى المدن .

غير أن الدراسات الحديثة تميل الى استعمال مصطلح (لهجة) للدلالة على لغة احدى المدن او الاقطار ، فيقولون لهجة العراق او لهجة بغداد او لهجة الموصل ، فمصطلح (اللغة) اذن يراد به لهجة قبيلة ما عند اللغويين القدامى ، ومصطلح (اللهجة) يراد به لغة احدى المدن او احد الامصار عند اللغويــين المحــدثين .

وهذا التفريق بين هذين المصطلحين ضروري للتمييز بينهما وعدم الخلط بين هذا وذاك . فمن الصعب أن نجد في وقتنا هذا مدينة عربية ينتسب

(١) سورة ابراهيم آية ٤ .

(٢) سورة النحل آية ١٠٣ .

سكانها الى اصل قبلي واحد . هذا فضلا عن الاختلاط بغير العرب مما أثر في مجمله على التطور اللهجي الذي نجده اليوم في لهجات الاقطار العربية وأمصارها .

لهجـة بغـداد :

لا نشـك في أن لهجة بغـداد كانت من اوائـل اللهجـات العربية التي أشار اليها اللغويـين في مدوناتهم ولاسيما تلك التي عنيت بتصحيح اللسان ومنها كتب لحن العامة . ونحن نجد منذ بداية التدوين اللغوي أن اللغويين يشيرون الى مسألتين أسـاسيتين ، الاولى : الاختلاف بين لغات العـرب في الاصوات ، والصيغ ، والنحو ، والدلالة . والاخرى : الخروج على القواعد اللغوية الاساسية مما يتسم به كلام العامة ، وقد سموه لحن العامة أو العوام. والحقيقة أن ظهور هذا اللحن كان هو الحافز لاكتشاف قواعد اللغة وتدوينها. يدلنا على ذلك ، ما روي عن امير المؤمنين علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — حين قال لابي الاسود الدؤلي عندما دخل البصرة بعد منصرفه من وقعة الجمل : « اني سمعت ببلدكم لحنا فأردت أن أصنع كتابا في أصول العربية »[٣] .

وقد روت لنا كتب اللغة أنواعا مختلفة من اللحن ، منها صوتي كابدال بعض الاصوات وتحويلها الى أصوات أخرى كقلب الحاء هاء مثلا نحـو الحردى ، ومنها ماهو صرفي ولا سيما في جموع التكسير والمصادر ، ومنها ما هو نحوى كتذكير المؤنث وتأنيث المذكر في التركيب النحوي ، الى غير ذلك مما نجده مبثوثا في كتب اللغة والادب ، وقد روى أن أول لحن سمع قول العامة هذه عصاتي . وهذا كله ما قرأناه في كتب اللغة تتحدث

(٣) انباء الرواة ١/٤ .

عنه قبل أن يبني أبو جعفر المنصور مدينة السلام التي تم بناؤها عام ١٤٩هـ ، والقارىء لاخبار أهل بغداد وعلمائها لابد أن يصل الى نتيجة مهمة ، وهي أن عامة بغداد لم يعودوا يلتزمون بالاعراب في كلامهم ، وربما حدث هذا لسكان غيرها من المدن قبل ذلك كالبصرة والكوفة وواسط . بل اننا نقرأ أن بعض أهل بغداد كان يتذمر ممن يلتزم الاعراب في كلامه وربما جابهوه بكلام قاس ، كما فعل أحد النجارين حين سأله الكسائي مستفهما عن ثمن باب ذي مصراعين اذ سأله : (بكم ذانك البابان) ؟ فأجابه النجار بسلحتان ، قال الكسائي : « فحلفت ألا أكلم عاميا الا بما يصلحه »[٤] . وقد اتخذ العلماء منذ ذلك الحين لهجة بغداد مثلا للغة العامة التي ينبغي تصويبها وأصلاحها . وقد صنفت كتب في ذلك،منها ما هو خاص بمعالجة الخطأ فيكلام العامة وقد سمي هذا النوع من الكتب بكتب لحن العوام ، ومنها ما هو مختص بفصيح اللغة وغريبها ونوادرها ، يعرض مؤلفوها على النص على ما في كلام العامة من مخالفة لقواعد اللغة وأصولها الصوتيةوالصرفية والنحوية والدلالية . ويمثل هذا النوع من الكتب كتابان ، الاول هو كتاب اصلاح المنطق لابن السكيت والآخر هو كتاب أدب الكاتب لابن قتيبة . وربما كانت حركة التصويب اللغوي قد نشأت بسبب ظهور هذا النوع من اللحن على السنة العامة أولا ثم على ألسنة الخاصة .

وقد حرص أصحاب المعجمات على ذكر ما يقع على ألسنة العامة من خطأ ، ونحن نجد ذلك منذ بداية التدوين اللغوي ، ففي كتاب العين اشارات واضحة الى ما تخطأ فيه العامة[٥] . أما ابن دريد فقد تكررت عنده عبارة (أولعت به العامة)[٦] أو نحوها .

---

(٤) ارشاد الاريب ١٩٧/٥ .

(٥) ينظر كتاب العين ٦٣/١ ، ٣٥٥ .

(٦) الجمهرة ٤٥/١ ، ١٠٣ ، ١١٣ ، ١٥٩/٢ .

واذا مارجعنا الى المدونات اللغوية في القرن الثالث وما يليه من القرون فاننا نجد شيئا كثيرا من هذا(٧) • على أن كتب الادب والاخبار تزودنا بمادة وفيرة عن لهجة بغداد في تلك القرون • فكتاب الاغاني مثلا وهو يصور الحياة اليومية في بغداد في القرنين الثاني والثالث يضع أيدينا على ألفاظ وتعبيرات شائعة في تلك اللهجة على نحو ما سنتناوله في هذا البحث • ومن تلك الالفاظ الشائعة ما هو مولّد أو معرب أو دخيل ، ولا سيما في الالفاظ التي استدعتها الحضارة الجديدة والتطور الاجتماعي والاداري الذي حدث في ذلك الوقت والذي كان طفرة واسعة في هذا الصدد .• فالفاظ المأكول والملبوس ما هو عربي مولّد أو أعجمي معرب تكثر في هذا الكتاب وأمثاله •

واذا كان لنا أن ندرس ملامح أية لهجة من اللهجات فلابد أن نبدأ بالملامح الصوتية ، ثم ندخل الى البنية الصرفية والبنية النحوية ، ثم التطور الدلالي للالفاظ المستعملة في تلك اللهجة •

١ ــ الملامح الصوتية :

بالملامح الصوتية ، ثم ندخل الى البنية الصرفية والبنية النحوية ، ثم التطور في بواديهم ومضاربهم ، وجدوا أن ثمة فروقا صوتية تميز لغة قبيلة أو مجموعة من القبائل من اللغة العربية الموحدة أو من لغات قبائل أخرى • وقد وقف العلماء من هذه الاختلافات الصوتية موقفين مختلفين بحسب صلاحية تلك اللغات لان يتلى به القرآن • فقد وجدوا أن القرآن المعتمد بقراءتهم يتجنبون القراءة ببعض تلك الاصوات ويجيزون القراءة بالاخرى • فعلى سبيل المثال وجدوا أن هؤلاء القراء منهم من يحقق الهمز ومنهم من يسهله ، ومنهم من يفخم الالف ومنهم من يميلها بدرجات متفاوتة ومنهم من يدغم ومنهم من لا يفعل ذلك ، وقد وجدوا أن تحقيق الهمز وتسهيله ، والتفخيم والامالة

(٧) ينظر أصلاح المنطق ١٨٢ ، ١٨٨ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٨٢ ، ٢٨٧ وادب الكاتب ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ وشرح الفصيح لابن ناقيا ٥ ، ٩ ، ١١ وغيرها .

تعود أصلا الى اختلاف لغات القبائل . ولذلك أطلقوا على هذه اللغات اسم (اللغات المستحبة) أي التي يجوز قراءة القرآن بها . ولكنهم في الوقت نفسه وجدوا أن القراء لا يقرأون القرآن بالاصوات المعروفة لدى كثير من القبائل العربية . مثال ذلك أنهم وجدوا أن هؤلاء القراء لا يقرأون بالقاف كما ينطقها التميميون وأهل اليمن ، وهي القاف التي يكون مخرجها بين الكاف والقاف كما ينطقها أكثر العراقيين اليوم . ولا يقرأون بالجيم كما ينطقها أهل اليمن وأهل مصر في يومنا هذا . ولذلك أطلقوا على هذا النوع من اللغات اسم (اللغات غير المستحبة)[٨] . وقد وصف اللغويون هذين النوعين من اللغات وصفا دقيقا بحيث نستطيع أن نتبينه في اللهجات العربية الحديثة ، وأن نرد بعض ملامح هذه اللهجات الى أصولها اللغوية القديمة . فما زالت العنعنة والشنشنة وقلب الجيم ياء وقلب القاف الى الصوت الذي وصفناه آنفا ولغات الكسر والضجع والوكم والوتر شائعة في هذا القطر أو ذاك من الاقطار العربية .

ولا شك في ان لهجة بغداد في قرونها الاولى كانت ماثلة أمام أولئك اللغويين الذين دونوا تلك الظواهر الصوتية اللهجية بدليل أننا نجد في كتبهم وكتب الذين من بعدهم ذكرا لهذه اللهجات منسوبا الى العامة ، ولا سيما عامة أهل البصرة وأهل بغداد ، على نحو ما سنذكره في موضعه ، ونجتزيء بذكر الصوت المعروف الآن بأنه الجيم اليمنية أو القاهرية التي قال عنها سيبويه أنها كالكاف[٩] . وروى ابن فارس عن ابن دريد أن من الحروف ما لا تتكلم به العرب الا ضرورة ، وعد منها الحرف الذي بين القاف والكاف والجيم ، وقال : « هي لغة سائرة في اليمن مثل جمل اذا اضطروا قالوا كمل[١٠]» ، ويذكر أبو سعيد السيرافي في شرحه لكتاب سيبويه أن هذا

(٨) ينظر سر صناعة الاعراب : ابن جني ٤٦/١ .
(٩) الكتاب ٤٣٣٣/٤ .
(١٠) الصاحبي في فقه اللغة ٥٤ وينظر بحثنا أصول اللهجات الحديثة ، مجلة كلية الآداب بغداد العدد الثالث عشر صفحة ٤٩٥ .

الحرف كان شائعا في لهجة أهل بغداد في زمانه ، وينص على لفظهم الجمل (الكمل) •

ولدى دراسة ما نسبه اللغويون الى العامة يتبين لنا أن هذه التغيرات حدثت في المجال الصوتي بتغير مخارج بعض الحروف أو صفات بعضها ، وقد أدى هذا الى نوعين من التغيرات : فأما أن يكون مطردا في كل لفظة يرد فيها ذلك الحرف كالجيم اليمنية التي وصفناها آنفا ، أو القاف التميمية التي هي بين القاف والكاف والتي ذكرناها آنفـا أيضا ، واما أن يحدث بعض هذه التغيرات في أصوات الحروف في كلمات دون أخرى فهو غير مطرد كأبدال السين صادا والعكس ، ومن هذه التغيرات أيضا ما حدث في الحركات فمن المتحرك ما قد سكّن أو العكس ، ومن الخفيف ما قد شده أو العكس أيضا • وهناك ألفاظ فك الادغام فيها ، ومنها مالم يكن مدغما فأدغم • ولذلك يمكن تناول هذه التغيرات الصوتية على النحو الآتي :

اولا : التغيرات في أصوات الحروف ، وقد حدثت هذه التغيرات في مخارجها أو صفاتها •

أ ـ الحروف التي تغيرت مخارجها :

١ ـ الهمـــزة :

من المعروف ان العرب ينقسمون الى قسمين ، فمنهم من يحقق الهمز ، ومنهم من يميل الى التسهيل أو التليين • ومن المعروف أيضا أن القبائل التي تميل الى تحقيق الهمز هي الاقرب الى البداوة كالتميميين وغيرهم من قبائل شرق الجزيرة العربية ، وأن القبائل التي تميل الى التسهيل هي القبائل التي تركت البداوة ومالت الى الحضارة وسكنت المدن كقابل الحجاز واليمن • ولذلك انقسم قراء القرآن الى من يحقق الهمز ومن يسهله • ولسنا بصدد الافاضة في من يسهل أو يحقق ولكن الذي يهمنا هنا أننا وجدنا أهل بغداد يميلون الى التسهيل وذلك ليس بغريب فقد ابتعدوا عن البداوة واستظلوا بأسباب الحضارة • وينقسم تسهيل الهمز في لهجة أهل بغداد في القرن الثالث

الهجري وقبله كما يظهر من كتاب ابن السكيت (اصلاح المنطق) الى ما يعد تسهيله جائزا ، والى ما يعد خطأ . فمن الاول قول العامة : شنوة في أزد شنوءة ، ولبوة في لبوءة ، وفاس وراس وكأس في فأس ورأس وكأس ، وزبير في زئير ، والفارة في الفأرة ، وذيب وبير في ذئب وبئر ، وجوجو ولولو في جؤجؤ ولؤلؤ ، وهذا كله مما تسهل العامة همزه كما يفهم من عنوان الباب (ما يهمز ما تركت العامة همزة)[11]. ومن الثاني قول العامة : فيام في فئام من الناس ولوى في لؤى ، ويسر في عود الامر ، وطاطيت في طأطأت ، ووطيت في وطأت ، وأبطيت في أبطأت ، ويلاومني في يلائمني ، وتثاوب في تثاءب وأوميت في أومـات ، وتريست في ترأست ، وريسا في رؤسـاء ورواس في رءآس (بائع الرؤوس) ، والرداوة في الرداءة ، وفقيت في فقأت ، واندريت في اندرأت ، ووجيت عنقه في وجأت ، ومـا أيشـمه في ما أشأمه . وزاد ابن قتيبة في (ما يهمز وتركت العامة همزه) أطفأت السراج وتفقأت شحما ، وملأت الاناء ، وقميء وبذيء وجريء ، وأرفأت السفينة حبستها، ودرأت فلانا دفعته، ولطأت بالارض ولطئت، وفأفأت من الفأفأة في اللسان وفأفأت في الامر ضعفت ، ورقأ الدم وأرقأته ، وهرأت اللحم وأهرأته اذا أنضجته ، وزنأت الجبل صعدته[12] ، وهذه كلها مما زاده ابن قتيبة ينبغي أن تلفظ قياسا على مثيلاتها أطفيت ، وتفقيت ، ومليت ، وقمي وبذيء وجريء وأرفيت السفينة ، ودريت فلانا ، ولطيت ، وفافيت ، ونانيت، وأرقيت الدم وهريت اللحم وأهريه ، وزنيت الجبل .

والبغداديون آنذاك يسهلون الهمز سواء أكان في آخر الكلمة كقولهم (أوميت) يريدون (أومأت) و (رفوت المثوب) يريدون (رفأت)[13] ،

(١١) ينظر اصلاح المنطق ١٤٥ وما بعدها .

(١٢) ادب الكاتب ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

(١٣) اصلاح المنطق ١٤٨، وادب الكاتب ٢٨٤ ، وشرح الفصيح لابن ناقيا ١٠٤ .

ويقولون في ميضأة (ميضة)[١٤]، وفي الخطيئة(خطية)[١٥]، والحدا في الحدأ جمع[١٦] حدأة . أم كان في وسطها فيقولون (رواس) للرأس بائع الرؤوس ، ولبوة في (لبؤة) ومونة في مؤنة[١٧] وتثاوب في تثاءب[١٨] . ام في أولها فيبدلون الهمزة واوا في آكلت ، وآريت ، وآجرت وآخذت ، وآمرت وآخيت ، وآسيت ، وآزرته وآتيته[١٩] . وقد يبدلونها ياء كما في عود الاشر فيقولون عود البسر[٢٠] . وقد يسهلون ويقبلون فيقولون ما أيشه في ما أشأمه وأوريته بمعنى آريته كما مر[٢١] ، وقد يسهلون الهمز مع التخفيف في نحو (عيشة) في عائشة و (حير) في حائر الموضع الذي دفن فيه الحسين عليه السلام[٢٢] ، وواضح أن هذا التخفيف والتسهيل تغيرت معه صيغة فاعل الى فعل وهي لهجة شائعة في مصر اليوم فيقولون في الغائط (الحقل) والحائط : غيط ، وحيط ، مما يقوى الظن أن اللهجتين تعودان الى أصول يمانية . ومن الغريب أن العامة قد يفعلون في بعض الالفاظ عكس ما فعلوا بلفظ (عائشة) و (حائر) حين خففوهما الى عيشة وحير ، فيقولون في ريطة (اسم امرأة) رائطة[٢٣] ولا ندري ، أروى ابن الجبّان ذلك عن عامة بغداد أم هي لهجة أهل أصبهان ؟ فمن المعروف أنه قدم منها الى بغداد سنة ٣٩١هـ[٢٤] .

(١٤) تقويم اللسان : ابن الجوزي ١٦٦ .
(١٥) الاغاني ١٦١/٧ .
(١٦) شرح الفصيح : ابن ناقيا ٢١٩ .
(١٧) ينظر اصلاح المنطق ١٤٦ ، ١٤٨ ، وتقويم اللسان ١١١ ، ١٦٠ ، ١٦٥ .
(١٨) اصلاح المنطق ١٤٨ ، وشرح الفصيح : ابن ناقيا ١٠٥ .
(١٩) تقويم اللسان .
(٢٠) أدب الكاتب ٨٢٤ وينظر تقويم اللسان ٦٢ .
(٢١) جمهرة اللغة ٣٤١/٢ ، وشرح الفصيح : ابن الجبان٢٣٧ .
(٢٢) تقويم اللسان ٧٠ .
(٢٣) شرح الفصيح : ٣٢٠ .
(٢٤) شرح الفصيح : ابن الجبان ، مقدمة المحقق ٢٩ ، ٣٠ .

وإذا كانت العامة في بغداد في قرونها الاولى تسهل الهمز ، فانهم قد يفعلون العكس فيهمزون ماكان أصلا بدون همز ، فيقولون تخطّأت وانما هو تخطيت من الخطوة ويقولون أبدأت لي سوءا أي أبديت[٢٥] •

وأهل بغداد يبدلون الهمزة في بعض الالفاظ ميما فيقولون في أطايب الجزور (مطايب الجزور)[٢٦] وفي الارزية (مرزية) وفي الارجوحة (مرجوحة)[٢٧] ، وهذه الاخيرة معروفة الآن في لهجتهم ، وهم يبدلون الهمزة ميما اليوم أيضا في نحو آكل فيقولون : (ماكل) •

٢ ـ التـاء :

عامة بغداد لا تغير هذا الحرف ، ولكن ابن قتيبة ذكر أنهم يلفظون التاء الاخيرة في الحلتيت ثاء[٢٨] •

٣ ـ الثـاء :

البغداديون قديما وحديثا ينطقون هذا الحرف المهموس نطقا فصيحا

ولا يبدلونه حرفا آخر الا في الثجير الذي تقلبه العامة تاء[٢٩] • وربما حدث هذا الابدال لانه في الاصل أعجمي معرّب •

٤ ـ الجـيم :

حرف مهجور ، للعرب فيه أربع لغات ، الاولى : الجيم الفصحى التي ينطق بها عامة العرب وهي التي يقرأ بها القرآن ، والثانية : أن تنطق قريبة من الكاف ، والثالثة : الجيم التي كالشين ، والرابعة : الجيم التي تقلب ياء •

---

(٢٥) أدب الكاتب ٢٨٧ . (٢٦) اصلاح المنطق ٣٠٤ .
(٢٧) شرح الفصيح لابن الجبان ٢٢٣ ، ٣٤٣ ، وتقويم اللسان ٦٧ .
(٢٨) أدب الكاتب ٢٩٨ ، والحلتيت : قال الفيروزابادي ، وصح الانجذان .
(٢٩) أدب الكاتب ٢٩٨ ، والجمهرة ٣١/٣ ، والثجير هو ثفل البسر ، يقول الفيمي انه معرب ، ينظر المصباح المنير ، والقاموس المحيط مادة شجر

ويبدو أن البغداديون في القرن الرابع الهجري كانوا ينطقون الجيم كالكاف فقد ذكر أبو سعيد السيرافي حين تحدث عن هذا الحرف كما أورده سيبويه ان البغداديين ينطقون الجيم هذا فيقولون للجمل (كمل) ، وفي كتاب الاغاني ياركل أي يارجل(٣٠) ، وفي زمن ابن الجوزي نجد هذه الالفاظ جدجد ، جدّاد ، الجبولاء ، فلان يجدّف ، كلها تنطق بهذا الصوت أي الجيم التي كالكاف(٣١) . وتفسير هذا القلب في لهجة البغداديين ان بغداد قد سكنتها منذ تأسيسها قبائل يمانية . وهذا الصوت في الجيم ما زال معروفا لدى اليمانيين في يومنا هذا ، وهو أيضا لهجة سكان المدن في شمال مصر كالقاهرة والاسكندرية وهو أيضا من تأثير القبائل اليمانية التي دخلت مصر منذ القدم ولا سيما في اثناء الفتوح . وأما قلب الجيم ياء فهي لغة شائعة في يومنا هذا في أقصى جنوب العراق وبعض أقطار الخليج . وهي لغة معروفة قديما ، ويقال انها لغة تميم فيقولون في الصهريج صهري وفي الشجرة شيرة(٣٢) ويذكر ابن الجوزي أن العامة تقلبها ياء في المسجد(٣٣) .

٥ ـ الحاء :

لم تذكر المصادر أن البغداديين يبدلون هذا الحرف الا في الحدّاس يقلبونه همزة فيقولون الاداس ، وفي الحردى حيث يقلبونها هاء(٣٤) .

٦ ـ الذال :

البغداديون قديما وحديثا ينطقون هذا الحرف المجهور فصيحا ، الا في كلمات قليلة يقلبونها ثاء كما في عذق فيقولون عثق كما ذكر ابن الجوزي(٣٥) ، ولم نجد أحدا قبله ذكر ذلك ، وما زالوا ينطقون هذه اللفظة

(٣٠) ١٠/٢٧١ . (٣١) تقويم اللسان ٩٢ ، ٩٣ .
(٣٢) ينظر بحثنا اصول اللهجات الحديثة ٤٩٣ .
(٣٣) تقويم اللسان ١٧٥ .
(٣٤) اصلاح المنطق ٣٠٧ ، وادب الكاتب ٣١٥ ، والحردى حياصة الحظيرة (سير) يشد على حائط القصب .

الجوزي[٣٥] ، ولم نجد أحد قبله ذكر ذلك ، ومازالوا ينطقون هذه اللفظة هكذا في يومنا هذا مع قلبهم القاف الفصيحة قافا تميمية أو بدوية كما يفعلونبها في أكثر الالفاظ • ويقبلونها دالا في الجرذ[٦٣] ، والذقن والزمرد[٣٧] ، وهم يقبلونها زايا في بذور[٣٨] وهم يفعلون ذلك اليوم أيضا، الا ان الاكثر عندهم أن تقلب في المفرد فيقولون بزر •

٧ ـ الزاي :

والبغداديون أيضا لا يقلبون الزاي حرفا آخر الا في قوس قزح فينطقونها قوس قدح[٣٩] ، وفي الرزداق يقلبونها فيقولون رستاق[٤٠] (السواد والقرى) •

٨ ـ السين :

والسين هذا الحرف المهموس لا يتغير على لسان البغداديين الا في مهندس فيقلبونها زايا[٤١] ، مع أن قلبها زايا في نحو سقر أي عندما تجاور القاف لغة معروفة وهي لغة كلب[٤٢] •

الا انهم يقبلونها شينا في قولهم سن عليه درعه ، وزاد ابن الجوزي سجية وسجّار التنور والسلجم[٤٣] ، وهذه الاخيرة في لهجة أهل بغداد والعراقيين عموما تنطق اليوم شلغم مما يوحي بأنهم كانوا ينطقون هذه

---

(٣٥) تقويم اللسان ١٣٨ ، والعتق : كباسة النخل .
(٣٦) ادب الكاتب ٢٩٨ ، وهو ورم في عرقوب الدبة .
(٣٧) تقويم اللسان ١٠٨ ، ١١٥ والاصل في الزمرد أن تكون بالذال كما قال الاصمعي ، ينظر المصباح المنير (زمرد) .
(٣٨) الجمهرة ٢٥٤/١ ، وتقويم اللسان .
(٣٩) تقويم اللسان ١٥٠ .
(٤٠) ادب الكاتب ٣١٦ .
(٤١) تقويم اللسان ١٦٨ .
(٤٢) سر صناعة الاعراب ١٩٦/١ ، دراسة وتحقيق الدكتور حسن هنداوي ؛ دار القلم دمشق ط١ ، ١٩٨٥ .
(٤٣) تقويم اللسان ١١٧ ، ١١٩ .

الجيم في هذه اللفظة قريبة من الكاف كما مر في حرف الجيم . وأما تعاقب السين والصاد فقد له ابن السكيت بابا هو باب (ما يتكلم فيه بالصاد مما يتكلم به العامة بالسين ومما يتكلم فيه بالسين فيتكلم فيه العامة بالصاد)(٤٤) ذكر فيه ألفاظا هي في الاصل بالسين والعامة تنطقها بالصاد ، وهذه الالفاظ هي قارس (البرد) ، وقسراً في قولهم (أخذه وقسراً) ، ودابة شموس بالرسغ . وزاد ابن قتيبة القريش والنقش(٤٥) ، وقد ذكر ابن الجوزي من هذه الالفاظ لفظة (قأرص)(٤٦) .

ابن دريد ألفاظا تنطقها العامة بالصاد وهي بالسين ، وهي : (قصب) و (جرص) و (قرنص)(٤٧) .

٩ ـ الصـــاد :

كما ذكرنا في السين أنها تقلب الى صاد في بعض الالفاظ ، يقلب للبغداديون الصاد سينا في الفاظ أخرى . ومما ذكره ابن السكيت من هذه الالفاظ في الباب المذكور : لبن قارص ، وبخص عينه ، وبصق ، وقص الشاة وقصصها ، وقد أصاب فرصته ، والصندوق ، وصنجة الميزان ، والصماخ وأصاخ الرجل للشيء ، وقص أثره(٤٨) . وزاد ابن قتيبة المقبص ، وذكر ابن الجوزي من ذلك القصيل(٤٩) .

(٤٤) اصلاح المنطق ١٨٣ وما بعدها .
(٤٥) أدب الكاتب ٢٩٩ ، والقريس : البرد الشديد ، والنقس من المداد .
(٤٦) تقويم اللسان ١٥٠ .
(٤٧) الجمهرة ٢٨٧/٩ ، ٧٥/٢ ، ٣٣٤ ، ٣٣٨/٣ ، والقسب البسر اليابس ، وقرنس الديك اذا فر من ديك آخر .
(٤٨) اصلاح المنطق ١٨٤ ، ١٨٥ ، واصل القرصة ان يتقارص القوم الماء القليل فيكون لهذا نوبة ولهذا نوبة
(٤٩) تقويم اللسان ١٥١ ، وهو الرطب الذي تعلفه الدواب .

١٠ ـ الضـاد والظـاء :

لم تكن عامة بغداد في قرونها الاولى تخلط بين الضاد والظاء ، اذ لم تذكر لنا الكتب التي عنيت بلحن العامة ذلك ، بل على العكس ذكر لنا ابن دريد أن العامة ينطقون الظاء ضادا في القرظي وهو الصبغ المنسوب الى ثمر القرظ(٥٠) ، مما يدل على أنهم يفرقون بين الحرفين على خلاف ما يفعل البغداديون وعامة العراقيين اليوم •

١١ ـ الغـين :

ذكر ابن الجوزي أن البغداديين يقلبون الغين في لفظة مغري قافـا فيقولون : مقرى(٥١) ، ولعل في هذا اشارة الى ما يحدث الآن في لهجة أهل الريف في بعض أصقاع العراق حيث يعاقبون بين الغين والقاف ، وهذا يحدث أيضا في أكثر من قطر عربي كالسوادن وصعيد مصر(٥٢) •

١٢ ـ القـاف :

يبدو أن أهل بغداد يقلبون هذا الحرف الى الحرف الذي أشار اليه سيبويه بأنه بين القاف والكاف(٥٣) وقد ذكر ابن سينا أن أكثر العـرب ينطقونه هكذا(٥٤) • غير ان أهل بغداد قد يبدل عندهم هذا الحرف جيما في بعض الالفاظ كالقرقس ، وهو نوع من البعوض(٥٥) ، غير أن ابن ناقيا ذكر أن غلط العامة في هذه اللفظة هو فتح الجيم وعدّ القرقس الجرجـس بكسر القاف والجيم بمعنى واحد(٥٦) • والسرقين حيث ينطقون القـاف

---

(٥٠) الجمهرة ٣/٣٧٨ . (٥١) تقويم اللسان ١٦٨ .
(٥٢) أصول اللهجات الحديثة ٥٠٤ . (٥٣) الكتاب : ٤/٣٢١ .
(٥٤) اسباب حدوث الحروف ١٠ .
(٥٥) ادب الكاتب ٣١٦ ، وشرح الفصيح لابن الجبان ٢٣٨ .
(٥٦) شرح الفصيح ٢١٨ .

جيما[٥٧] ، وبعض المصادر تكتبه بالقاف[٥٨] ، ويبدو أن سبب هذا هو أن هذه اللفظة معربة ، وأنها في الاصل بهذا الحرف الذي بين القاف والكاف والذي ينطق به البغداديون حرف الجيم أيضا ، يقول ابن ناقيا ان : «السرجين أصله سركين أبدلت العرب الكاف جيما وكسرت السين والعامة تفتحها وذلك خطأ »[٥٩] .

١٣ ـ السلام :

ذكر ابن قتيبة أن العامة تقلب اللام راء في (القرقل) وهو القميص بلا كمين فنقول (قرقر) وهو خطأ[٦٠] ، وقال ابن دريد : هو ثوب رقيق كالخمار[٦١] ، وعن أبي تراب أن القرقل قميص من قمص النساء بلا لبنة ، وجمعه قراقل ، وقيل هو ثوب بغير كمّين ، وقد نقل عن الاموي والفراء أن نساء أهل العراق يقولون (قرقر) وهو خطأ[٦٢] .

١٤ ـ الميم :

قلبته عامة بغداد باء في قولهم ضربه فما عتّب ، والفصيح عتم[٦٣] ، وقلبته نونا في سمك ممقور فتقول منقور[٦٤] ، والممقور المنقوع في الماء أو الخل أو الملح ، كما قلبوه في الممطر وهو ثوب يلبس في المطر فقالوا المنطر[٦٥] .

١٥ ـ الواو :

قلبته العامة نونا في قوزع ، قال ابن دريد : « يقال قوزع الديك اذا فر من صاحبه ونق والعامة تقول فنزع وليس بشيء[٦٦] » ولم يعده

(٥٧) الاغاني ٢٠٠/٧ .
(٥٨) تقويم اللسان ١١٨ .
(٥٩) شرح الفصيح ٢٣٥ .
(٦٠) ادب الكاتب ٣١٢ .
(٦١) الجمهرة ٣٤٨/٣ .
(٦٢) اللسان مادة قرقل .
(٦٣) اصلاح المنطق ٣١٢ .
(٦٤) ادب الكاتب ٣١٣ .
(٦٥) تقويم اللسان ٢٦٨ .
(٦٦) الجمهرة ٣٦١/٣ .

الفيروزابادي من لحن العامة[٦٧] ، غير أن ما ذكره ابن دريد قد نقل عن الاصمعي وابن السكيت أيضا . اذ روى عن الاصمعي انه قال : العامة تقول اذا اقتتل الديكان فهرب احدهما قنزع الديك ، وانما يقال قوزع الديك اذا غلب ولا يقال قنزع[٦٨] . وقد قلبتها العامة ياء أيضا في (طلوة) وهي قطعة الحبل فقالوا (لا يساوي طلية) رواه ابن دريد عن عبدالرحمن ابن أخي الاصمعي عن عمه[٦٩] ، وكذلك عدّه ابن بري من خطأ العامة[٧٠] . غير أنه على ما يبدو ليس خطأ لان الطلية أيضا هي الخيط الذي يشد به الجدي الى وتد أياما[٧١] ، وكذلك قالت عامة بغداد محشّي في محشو[٧٢]. والعامة في أكثر البلاد العربية تفعل ذلك اليوم ، ومن ذلك قول العامة دواء المشي وانما هو دواء المشوّ أو المشو[٧٣] .

١٦ ـ الياء :

قلبتها العامة واوا في الكلية فقالوا كلوة[٧٤] ، وفي اللسان ان الكلوة بالواو مع ضم الكاف لغة في الكلية لاهل اليمن[٧٥] ، وهذا من الادلة على أن أهل بغداد في قرونها الاولى كان أغلبهم من أصول القبائل القحطانية ، لذلك شاعت بينهم لغات أهل اليمن كهذه اللغة في الكلية وكنطق الجيم بين الكاف والجيم كما يفعل أهل اليمن اليوم ، وأهل مدن الوجه البحري في مصر .

---

(٦٧) القاموس المحيط : مادة قنزع .
(٦٨) لسان العرب مادة فزع ، وينظر اصلاح المنطق ٣٣٠ .
(٦٩) الجمهرة ١١٧/٣ .
(٧٠) اللسان : مادة تصلى .
(٧١) المصدر السابق ، نفس الموضوع
(٧٢) تقويم اللسان ١٦٧ .
(٧٣) الجمهرة ٧٢/٣ .
(٧٤) تقويم اللسان ١٥٢ .
(٧٥) اللسان مادة كلا .

وكذلك قلبت عامة بغداد الياء واوا في تصغير (شيء) فقالوا (شُوي)[٧٦] ، والصحيح شييء ، وقد قلبتها ألفا في السيلحون فتقوله السالحون[٧٧] .

ثانيا : تغيير الحركة :

تشير المصادر المعتمدة الى تغير الحركات في ألفاظ تداولتها عامة بغداد في قرونها الاولى ، فقد غيرت الفتحة الى الضمة والكسرة ، والضمة الى الفتحة والكسرة ، والكسرةالى الفتحةوالضمة ، كما حركت الساكن وسكّنت المتحرك ولا سيما في وسط الثلاثـي حيث لا نكاد نجد لفظة بقيت ساكنة الوسط فيلهجة أهل بغداد الحديثة . وسنتناول هنا ما أوردته المصادر من الاسماء والصفات التي حدث فيها ذلك كله ، وسنؤجل الحديث عن الافعال الى مبحث الصرف .

١ ـ تحريك الساكن :

حرك عامة بغداد الساكن في الحفر (للاسنان) ، والمغس والمغص ، وشغب الجند ، وحلقة الباب ، والسعفة (داء في الرأس) ، وشرج واحد (أي ضرب واحد) ، وامر فيه آبي . ونص ابن قتيبة على أنهم يفتحون الساكن في هذه الالفاظ كلها[٧٨] ، ولم ينص على نوع الحركة من الدبر من قولهم (جعلت كلام فلان دبر أذني) ، ولا في جبل وعر ،ورجل سمح ، وبلد وحش ، وفلان حمش الساق (أي دقيقها) . وان كنا نميل الى أنهم يكسرونها في هذه الالفاظ ما عدا (الدبر) فالارجح أنهم يضمون الدال والباء . وزاد ابن الجوزي البكرة في فتح الساكن ، والابْط في كسره[٧٩].

(٧٦) تقويم اللسان ١٢٨ . (٧٧) اصلاح المنطق ١٦٣ .
(٧٨) ادب الكاتب ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، وينظر تقويم اللسان ٩٤ ، ١٩٤ .
(٧٩) تقويم اللسان ٦٥ ، ٨٠ .

٢ ـ تسكين المتحرك :

وقد سكنوا المتحرك ، وذكر ابن السكيت من ذلك الشرع بمعنى سواه في قولهم (هم في هذا الامر شرع) ، وفي الاخرة في قولهم (لقيت فلان بأخرة) ، وفي الصلعة ، والفرغة ، والنزعة ، والكعفة ، والفعصة ، والقطعة وعجم الرمان أي النوى ، ومن أسماء البلدان طرسوس ، وصفوان ومرج القلعة[٨٠] . وزاد ابن قتيبة الالفاظ : تحفة ، تخمة ، لقطة ، جثاءة ، القوم ، الزهرة (أي النجم) والثقلة (في البدن) ، وقوبوس السرج ، والشترة (انقلاب الجفن) ، والخرمة ، والوسمة (نبات يخضب به) ، والورشان ، والوحل ، والاقط ، والتبق ، والنير ، والكذب ، والحلف ، والحمق ، والطيرة ، والخيرة والشبع ، وصلع ، وسعف النخل ، والسحنة في قولهم (فلان حسن السحنة) والذُبحة ، والهدر في قولهم (ذهب دمه هدرا)[٨١] . وزاد ابن دريد : العطب والطلق[٨٢] .

٣ ـ ضم المفتوح :

ذكر ابن السكيت منه : الروشن ، والروزنة (وهما الكوّة) ، بثق النهر (كسر شطّه لينبثق الماء) ، وثوب معافري ، والكوسج ، والجورب ، والانف ، والترقوة والعرقوة . ومن أسماء البلدان جَلود قرية من قرى أفريقية ينسب اليها أحد القواد ، والعُمَق بفتح الميم منزل من منازل مكة[٨٣] . وزاد ابن قتيبة : القبول في قولهم (قبول حسن) ، والمصوص ، ودرهم ستّوق (مزيف) ، وكلب سلوقي ، وشَنف المرأة ، والخصوصية ، واللصوصية ، والأنمَلة ، والسَعُوط ، والغرور ،والسَنون ، والوَجور ، وتَخوم الارض ، والرَوشم (الطابع) والروسم (الداهية) ، والنَشوط ،

---

(٨٠) اصلاح المنطق ١٦٤ ، ١٧٢ . (٨١) ادب الكاتب ٢٩٦ــ٢٩٨ .

(٨٢) الجمهرة ٣٠٩/١ ، ١١٢/٣ . (٨٣) اصلاح المنطق ١٦٢ــ١٦٥ .

والشبوط[٨٤] . وذكر ابن ناقيا منه السميدع ، والفقر ، والسفود ، والكَلّوب[٨٥] . وذكر ابن الجوزي زيادة على ذلك : السفرجل والسحور ، والسفوف ، والسوسن ، والسفتجة ، والقَطور ، والبَخور[٨٦] .

٤ ـ كسر المفتوح :

وقد كسرت عامة بغداد المفتوح في ألفاظ ذكر منها ابن السكيت : العقار في قولهم (ماله دار ولا عقار) ، والدجاج ، وجفَن السيف والعين ، وفَقار الظهر واحدته فَقارة ، والشَتوة وظهرانيهم في قولهم (هو بين ظهرانيهم) ، والرَصاص ، وألية الشاة ، وثدي المرأة ، والجَدى ، والخَصم والبَسار ، والكَتان ، ، والكَثرة ، والبَضعة ، والكَسب في قولهم (ما أكثر كسبه) ، والرحى ، وعرق النسا والشنف ، والجفلة ، وفلكة المغزل، والامرة في قولهم (أمرة مطاعة) ، والغيرة ، والوداع[٨٧] . وزاد ابن قتيبة : الطيلسان ، ونيفق القميص (الموضع المتسع فيه) ، والدرهم ، ومعسكر القوم ، وحواليه وجنبيه ، والصولجان ، والرجعة في قولهم (الرجل يملك رجعة المرأة) ، والسجدة (اسم السورة) واليمين (عكس اليسار) ، وحب المحلب ، والضلع (الميل) ، والمُتقدَم ، واللبان من العيش، والشفة والعيفة ، وظفاري في قولهم جزع ظفاري ، والبثق ، والشَقراق و (طائر معروف) ، وملك يميني ، سكران ، ونصراني ، والنسر ، والنجم ، والابيسم ، والمصك ، والهندبا ، والجردقة ، ومن أسماء البلدان : دمشق،[٨٨] وذكر ابن دريد منه الجسر ، والجزع للخرز ، والزنج[٨٩] . وذكر ابن ناقيا

(٨٤) أدب الكاتب ٣٠٤ـ٣٠٥ .
(٨٥) شرح الفصيح ١٧٣ ، ١٨١ ، ١٨٩ وينظر شرح الفصيح لابن الجبان : ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٨ .
(٨٦) تقويم اللسان ٨٠ ، ١١٨ ، ٢٤٤ .
(٨٧) اصلاح المنطق ١٦١ـ١٦٥ .
(٨٨) أدب الكاتب ٣٠٠ ـ ٣٠١ .
(٨٩) الجمهرة ٧٥/٢ ، ٨٩ ، ٩٢ .

منه الاسنان واللوي (مرض في البطن)[٩٠]. وزاد بن الجوزي : الريحان ، والقصعة ، ومن أسماء البلدان تكريت[٩١] .

٥ ـ فتح المضموم :

وقد غيرت عامة بغداد الضمة في بعض الالفاظ الى الفتحة ، وذكر ابن السكيت منها الطَّلاوة في قولهم على وجهه طلاوة ، والجَدَد جمع جديد في قولهم : ثياب جَدَد ، والجنبذة (المرتفع من الارض) ، ومن الاسماء فَرافِصَة اسم رجل[٩٢]. وزاد ابن قتيبة : الحَوّاري (للدقيق الابيض) والدَّفعة ، والنَّقاوة ، والثؤلول ، والنَّكس في العلة ، والمَكث ، والدوامة ، ودوارة الرأس والنَّضج ، والخَرنوب ، والنَّصب في قولهم (نَصب عيني) ، ومن الاسماء مرزبان[٩٣] . وزاد ابن الجوزي بَهار ، ودَستور ، وزَعرور ، وزَنبور ، وصَعلوك ، وطنبور[٩٤] .

٦ ـ كسر المضموم :

وكذلك كسرت المضموم في ألفاظ ذكر منها ابن السكيت : النِّضار ، والبِزيون (السندس)، والفِلفِل ، والصِّفر من قولهم كوز صفر[٩٥] .

وزاد ابن قتيبة اللِّعبة (للشطرنج والنرد) ، والذِّكر من قولهم (جاء فلان على ذِكر) ، قال ولا يكسر ، والمِصران جمع مصير (وجمع الجمع مصارين) ، وجِرِبان القميص (جيبه) والمِعوجة ، والرِّقاق والطِّوال والدِّقاق ، والظِّفر[٩٦] .

---

(٩٠) شرح الفصيح ١٧١ ، ١٨١ ، وينظر شرح الفصيح لابن الجبان ١٩٩ .

(٩١) تقويم اللسان ٨٦ ، ١١٠ . (٩٢) اصلاح المنطق ١٦٧ ـ ١٦٨ .

(٩٣) أدب الكاتب ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

(٩٤) تقويم اللسان ٨٠ ، ١٠٥ ، ١١٤ ، ١٢٩ ، ١٣٣ .

(٩٥) اصلاح المنطق ١٦٦ .

(٩٦) أدب الكاتب ٣٠٦ ، وينظر في بعض هذه الالفاظ جمهرة اللغة ٣٥٥/٢ ، ٣٧٧ ، وشرح الفصيح لابن الجبان ٢٣٧ ، وتقويم اللسان ١٤٤ .

٧ ـ فتح المكسور :

وقد وردت في لغة أهل بغداد ألفاظ فتحت بعض حروفها بدلا من الكسر . ذكر ابن السكيت منها : الصنارة ، والجنازة ، والرطل ،والنقط ، والجص ، والرخو والاذخر ، والاثمد ، وجمل مصك (قوى) ، الاربعاء ، والجراب ، وابردة (برد في الجوف) ، وبِطيخ ، والترياق ، والدرياق ، والرِواق ، والوشاح ، والسواك ، والحريف . ومن الكنى أبو مجلز (بكسر الميم واللام) والعامة تفتحهما[٩٧] .

وزاد ابن قتيبة السرداب ، والدهليز ، والانفحة ، والاطرية ، والضِفدع (بكسر الدال) وطعام مدّود ، وتمر مسوّس ، ومُعرِض ، والمحرجات والديوان ، والديباج ، وكسرى ، والنِسبان ، وبُسر مذنّب وسِقي الارض والبطن ، والايل ، والمطرقة،والمكنسة، والمغرفةوالمقدحة ، والمرومة ، والمصدغة والمخدة ، والمظلة ، والمسلة ، والمطهرة ، والمقطع ، والمجر ، والمخرز،والمبضع، والمشية ، وجرية الماء ، وشر قتله ، ومحمل ، وموطي القدم ،ومنسر الطائر ، ومِرفق اليد ، وصوف جزر ، وزئبر الثوب ، والزئبق ، وجلع الامر ، والسراع ، ولقاءة واحدة ، ولقية واحدة ، وحدأة ، والفضلة ، ومقدمة الجيش ، ومقاتلة ، ويوشك ، ومقارب ، والزنفيلجة (بكسر الزاي) شبيه بالكنف ، والمعوذتين ، ومنديل ، وقنديل ، والسمك الجِرّي ، والجِريث ، الاربيان ، والهِقريث ، والزرنيخ ، وتمرة نرسيانة[٩٨] .

وزاد ابن ناقيا : جرجي (البعوض) والسداد والعِذى ، وكفة الميزان ، والسركين[٩٩] . وابن الجبان : الجروة[١٠٠] وابن الجوزي : بلور ، وبرطيل ،

(٩٧) اصلاح المنطق ١٧٣–١٧٥ . (٩٨) ادب الكاتب ٣٠٢–٣٠٣ .
(٩٩) شرح الفصيح ٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢١ ، ٢٣٥ .
(١٠٠) شرح الفصيح ١٩٩ .

وبرجيس ، ودرهم ، وسِقاية ، وسِلخ الحية والمبرد ، والتِليسة ، ومن الاسماء بلقيس(١٠١) .

٨ ـ ضم المكسور :

وكانت عامة بغداد تضم ألفاظا جاءت بالكسر ، ذكر منها ابن السكيت : القِماص ، وتمر شهريز وسهريز(١٠٢) ، وزاد ابن قتيبة : الخِوان ، والصِراح ، والسِواك ، والعلو والسفل(١٠٣) . وزاد ابن ناقيا : جوارى من قولهم (فلان في جوارى) والبغية(١٠٤) .

٩ ـ تخفيف المشدد :

يفهم من كلام ابن السكيت انه شاع في زمنه تخفيف المشدد من الحروف في بعض الالفاظ ، وقد ذكر منها : هجيراه في قولهم (مازال ذاك هجيراه) أي دأبه وشأنه ، وغيث جور ، وسام أبرص ، ونص على أن التخفيف غير جائز في زعارة من قولهم (في خلق فلان زعارة) ، في شِمِر من قولهم (شر شِمِر) ، والهامة (الفرس) ، والآرّى (لمحبس الدابة) والجمع أوارى ، وفُوهة من قولهم (قعد على فوهة الطريق) . ومن الاسماء الاردن(١٠٥) . وذكر ابن قتيبة من ذلك ألفاظا ، ونص على أن العامة تخففها ، وهي : الفلو ، ومُؤام في قولهم : (هذا أمر مُؤام) من الام وهو القرب ، ونعي في قولهم (جاء نعي فلان) ، ورئي ، من قولهم (معه رئي الجن) . والعارية ، والدوخلة ، والقوصرة وكع في قولهم (كع فلان عن الامر) ومَرَاّق البطن(١٠٦) . وقد ذكر ابن قتيبة في هذا الباب : الاتْرُجة

---

(١٠١) تقويم اللسان ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ١٠٤ ، ١١٨ ، ١٦٢ . والتليسة هنة من الخوص وكيس الحساب .

(١٠٢) اصلاح المنطق ١٧٥ ، والقناص في الدابة هو ان ترفع يديها وتعجن برجليها .

(١٠٣) ادب الكاتب ٣٠٧ .

(١٠٤) شرح الفصيح ٢١٥ ، ٣٢١ .

(١٠٥) اصلاح المنطق ١٧٦ــ١٧٨ .

(١٠٦) ادب الكاتب ٢٨٩ــ٢٩١ .

والاُترُج ، والاجاص ، والاجانة ، والقُبّرة والقبّر . وهذه الالفاظ تدخل في باب فك الادغام .

١٠ ـ تشديد المخفف :

ذكر ابن السكيت ألفاظا تشدد العامة بعض حروفها وهي مخففة في الفصحى والالفاظ هي : قولهم بعد قراءة الفاتحة آمين في آمين أو أمين (بالمد او عدمه) ، والمُكارّى من قولهم ذهبت الى المكاريين ، والصواب : ذهبت الى المكارين ، ومستوى من قولهم (هذا مكان مستو) ، والرباعيّة للرباعية (من الاسنان والفرس) ، وهم يشددون الياء في صفة الرجل المنسوب الى تهامة واليمن والشام ، وقال : وتقول هذا رجل تهام ، وامرأة تهامية ، ورجل يمانٍ وامرأة يمانية ، ورجل شام وامرأة شامية(١٠٧) ، ومن ذلك شناح وشناحية (للبكر والبكرة) ، والكراهية ، والعلوانية ، والفراهية، ورفاهية ، وسوائية ، ومسائية ، وطماعية(١٠٨) ، وكذلك عود ملتوٍ ، ورجل حفٍ ، ورجل طوِى البطن ، ورجل شر ، (اذا اصابه الشرى) ، ومال تـوٍ ، ورجل نسٍ (اذا اشتكى نسـاء) وثوب لث (اذا ابتل من العـرق واتسخ) ورجل قذِى العين ، ورجل حشٍ (اذا أصابه الحشى أي الربو) ، وكلام خن (من الخنى) ، ورجل ردٍ وامرأة ردية ورجل صدٍ ، وأرض ندية وسدية وعدية ، وعَمَي القلب وعمية ، ودو ودوية ، وجوى الجوف وجَوِية ، وشجٍ وشجية وكرٍ وكرية ، والقارية (للطائر الاخضر) ، وقـلاعة من قولهم رماه بقـلاعة وهو ما اقتلعه من الارض ، والدُخان ، وحُمة العقرب (لسمّها) ، والعُثان ، والشأفة ، والنأمة (العامة تسهل الهمز وتشدد الميم)، والقِمطرة ، والقِمطر ، وعنب مُلاحي،والدم،والقَدُوم ، والسُماني،وزبانى

(١٠٧) وهم المحقق فشدد الياء في المؤنث .

(١٠٨) خلط ابن السكيت في هذا الباب بين التشديد الحرفي الذي يراد به تضعيف الحرف وبين تحريك الحرف عكس تسكينه .

العقرب ، وذُنابي الطير ، ورجل آدَر (والعامة تقصر الالف وتشدد الراء) ، وجَدية الرُحل والسرج . وزاد ابن قتيبة : اللثة ، والمؤخِر والمُقدِّم من قولهم نظر الي ّ بمؤخِر عينه ومُقدم عينه[109] . وزاد ابن الجوزي : الديّة ، والسلاميات ، والشفة[110].

11 ـ التخفيف بحذف احد الحروف :

ذكر ابن السكيت من ذلك الرندج في الارندج ، والربون للعربون ، ولقاة في لقاءة والبهام في الابهام[111] . وذكر ابن قتيبة أن العامة تسقط الهمزة من الدناءة والكآبة ، والمساءة من قولهم (دخل في مَسَاءة فلان) ، والسَحاءة ،والقراءة ، والفجاءة ، والملاءة والباءة والمرأة ، [112] ، وكذلك يخففون بالحذف في قولهم مِلاك المرأة لإملاكها ، وقولهم الوفاز في أوفاز والهليلجة في الاهليلجة ، وهبة الامر في أهبته ، وحنة من قولهم (في صدر فلان احنة علي)[113] . ومن ذلك أيضا اللبلاب في الحلبلاب[114] ، ومنه أيضا قولهم لا بل لشانئك في (لا أبا لشانئك) ، ويقولون في زجر البغل عد والفصيح عدس[115] ، ويقولرن هاون للهاوون ، ولا رأس مفطح وأفطح في مفرطح[116] . وذكر ابن ناقيا قول العامة الزُبْر في الزُبُر ، والشفى في الاشفى[117] .

وعامة بغداد قد تحذف حرفا من الكلمة وشدد آخر كقولهم أدر في الآدر[118] ، والحوب في كلاب الحوأب[119] ، ومنه الدفي في موضع دفيء

(109) ادب الكاتب 293–294 .

(110) تقويم اللسان 105 ، 119 ، 125 .

(111) اصلاح المنطق 306 ، 308 ، 211 ، 320 .

(112) ادب الكاتب 284 .

(113) المصدر السابق 284–285 .

(114) المصدر السابق 316 .

(115) المصدر السابق 321 .

(116) جمهرة اللغة 151/2 ، 170 .

(117) شرح الفصيح 218 ، 225 .

(118) اصلا المنطق 183 .

(119) المصدر السابق 146 .

وعايرت المكيال في عايرت وعاورت[١٢٠] ، والقاقزة في القاقوزة والقازوزة[١٢١] ومد البصر في مدى البصر[١٢٢] ، ومنه الليّة في الية الكبش، ومزبّق في مزأبق ، والحزة في حجزة السراويل[١٢٣] . ومنه أيضا حدوثة في الاحدوثة ، وبلّوعة في البالوعة[١٢٤] .

١٢ ـ فك الادغام :

عامة العراق تتخلص في بعض ألفاظ المشدد بقلب الحرف الاول من المشدد منه نونا ومنهم أهل بغداد القدماء ، ومن ذلك الانجاص في الاجاص[١٢٥] ، والانجانة في الاجانة ، والخرنوب في الخرّوب ، والاترنج في الاترج[١٢٦] ، ومنه القنبعة في القبعة[١٢٧] ، ودنبل في دمل (مع قلب الميم الثانية باء)[١٢٨] . وقد يحولون الحرف الاول ألفا كقولهم كاع في كع ، وماصان في مصان[١٢٩] .

١٣ ـ النحت

قبل الانتهاء من التغييرات الصوتية في لهجة أهل بغداد ، لابد من التعرض للفظتين اختصر فيها تركيبان اضافيان ، هما قولهم : (أيش) اختصارا لـ (أي شيء) ، و (ستّي) اختصارا لـ (سيدتي) . والتركيب الاول قديم يرجع الى زمن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ، فقد خففت أي

(١٢٠) ادب الكاتب ٢٩٤ .
(١٢١) ادب الكاتب ٣١٢ .
(١٢٢) ادب الكاتب ٣١٨ .
(١٢٣) شرح الفصيح لابن الجبان ٢٠٥ ، ٢١٨ ، ٢٤٠ .
(١٢٤) تقويم اللسان ٦٣ ، ٨٠ .
(١٢٥) وهم اليوم يقبلون الهمزة عينا في هذه اللفظة .
(١٢٦) اصلاح المنطق ١٧٦ ـ ١٧٨ .
(١٢٧) جمهرة اللغة ١ / ٣١٣ .
(١٢٨) المصدر السابق ٣ / ٣٠٤ .
(١٢٩) ادب الكاتب ٢٩١ ، ٣١٤ .

بحذف احدى يائيها ، وحذف من شيء الهمزة ثم الياء ، وهذا التغيير الذي يسمى أيضا النحت معروف في اللغة العربية كالحمدلة ، والبسملة ، والحوقلة، وغيرها . أما قولهم (ستّي) وهي الآن شائعة في اللهجات العربية الحديثة ، فهو اختصار لـ (سيدتي) ، خففت الياء المشددة ثم سكنت الدال وأدغمت مع التاء فصارت (ستّي) بعد أن انحذفت الياء لالتقائها بالدال الساكنة(١٣٠). وقد استعملها أهل بغداد قديما(١٣١) ، وقد وردت كلمة (أيش) على لسان ابراهيم بن المهدي حين مرض ، فطُلب منه أن يترك الغنا ءوأن يحرق دفاتره ؛ فقال لهم : « يا مجانين فهبني أحرقت دفاتر الغناء كلها ، ريق أيش أعمل بها ؟ أأقتلها وهي تحفظ كل شي في دفاتر الغناء»(١٣٢) . واما كلمة (ستي) فقد أوردها صاحب الاغاني على لسان قمرية البكتمرية بمعنى مولاتي . ويظهر من الرواية أنها تستعمل استعمالا عاما وليس في النداء فحسب » كما يفهم من زعم أن الاصل فيها ياست جهاتي(١٣٣) .

(١٣٠) تقويم اللسان ٧٦ ، ١٢٣ ، وانباء الرواة ١ / ١٤٠ .
(١٣١) ينظر الاغاني ١٢٦/١٠ ، ١١٤/١٤ .
(١٣٢) الاغاني ١٠ / ١٢٦ ، وريق اسم جارية .
(١٣٣) ينظر الاغاني ١٤ / ١١٤ هامش المحقق ، وقد استعملها المعري في رسالة الغفران بدون ياء ص١٥٢ .

الخـــلاصة

يستخلص من هذا البحث أن ما ورد في كتب لحن العامة ونحوها من تقويم اللسان يشار به في الاغلب الاعم الى لهجة أهل بغداد التي أخذت تشهد تطورا صوتيا وصرفيا ونحويا ودلاليا ، وأن هذه اللهجة تتسم من حيث الصوت بشيوع الحروف المنقلبة صوتيا عن الحروف الاصلية كالقاف التـي هي بين الكاف والقاف ، والجيم التي تنقلب الى الياء وغير ذلك مما هو معروف في هذه الكتب وكتب اللغة الاخرى ، هذا فضلا عن التغيرات الصوتية الاخرى في اختلاف الحركات وتسكين المتحرك أو تحريك الساكن ، وفك الادغام ، وادغام غير المدغم ، وهذا كله يعود الى طلب الخفة حين يقل الجهد اللغوي بالتقليل من الجهد الصوتي الذي تقوم به أعضاء النطق ، ومن مظاهر هذا التخفيف تسهيل الهمزة الذي كان شائعا في لهجة أهل بغداد ، وفك الادغام الذي سجلت لنا المصادر اللغوية منه نماذج قلب الحرف الاول من الحرفين المدغمين نونا ، من ذلك قولهم انجاص وانجانة في أجاص أجانـة أو بحذف بعض حروف الكلمة كقولهم ربون في عربون ، وهاون في هاوون ، وتخفيف المشدد في نحو هامة وفلو ، على أن هذه اللهجة سجلت ظاهرة معاكسة ، فقد شددت أحد الحروف في كلمات نحو دخان وقدوم . ولعـل من ظواهر الميل الى الخفة نحت كلمات بعضها كان معروفا كقولهم أيش المنحوت من أي شيء ؟ وبعضها لم يعرف من قبل كقولهم ستّي اختصارا من سيدتي .

وقد تبين أن لهجة أهل بغداد في تلك الحقبة المتقدمة من تاريخها تتسم بسمات صوتية تجعلنا نميل الى أنها كانت متأثرة بلغات اليمن ، ولا شك في

أن السبب في ذلك غلبة أهل اليمن على سكان بغداد عند تأسيسها ، ومن تلك السمات أنهم كانوا يلفظون الجيم بين الكاف والقاف والجيم ما هو شائع اليوم في اليمن وشمالي مصر فيقولون للجمل كمل ، وقد نص أبو سعيد السيرافي في شرحه لكتاب سيبويه على ذلك عندما تحدث عن هذا الصوت . وقد سجلت المصادر كلمات نطقت بالكاف لهجة أهل بغداد وهي في الفصحى بالجيم كالجد جد لهذا البثر الذي يظهر على جفن العين ، وأهل بغداد يقولون في الكلية كلوة وهي لغة يمانية . ولعل من هذا قولهم في الحائر (موضع دفن الحسين عليه السلام) الحير ، وفي عائشة عيشة . وهذا يشبه ما حدث في لهجة المصريين اليوم المتأثرة بلغات اليمن حين يقولون في الغائط الارض الزراعي والحائط الغيط والحيط .

المصادر والمراجع

١ ـ أدب الكاتب : ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق محمد محيي‌الدين عبدالحميد ط٣ مصر ١٩٥٨ .
٢ ـ ارشاد الاريب الى معرفة الاديب : شهاب‌الدين ياقوت عبدالله الحموي ، اعتنى بنسخة وتصحيحه د. ح. . مرجليوث ط٢ مصر ١٩٢٣ .
٣ ـ اسباب حدوث الحروف : الرئيس ابي علي الحسين بن سينا ، نسخه وصححه محب‌الدين الخطيب القاهرة ١٣٣٢هـ .
٤ ـ اصلاح المنطق : ابو يوسف يعقوب بن السكيت : تحقيق احمد محمد شاكر ، عبدالسلام هارون ط٢ مصر ١٩٥٦ .
٥ ـ اصول اللهجات الحديثة : محيي‌الدين توفيق ابراهيم ـ مجلة كلية الآداب بغداد ، العدد الثالث عشر .
٦ ـ الاغاني : ابو الفرج الاصبهاني ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، المؤسسة المصرية العامة .
٧ ـ انباه الرواة على انباه النحاة : أبو الحسن علي بن يوسف القفطي ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٥٠ .
٨ ـ تقويم اللسان : ابن الجوزي ، دار المعارف مصر ط٢ .
٩ ـ جمهرة اللغة : ابن دريد ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، مصورة بالاوفسيت عن طبعة دائرة المعارف .
١٠ـ رسالة الغفران : ابو العلاء المعري ،تحقيق د. بنت الشاطيء ط٢ دار المعارف ، مصر .
١١ـ سر صناعة الاعراب : ابو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق د. حسين هنداوي دمشق ط١ ١٩٨٥.
١٢ـ شرح الفصيح : ابو منصور ابن الجبان ، دراسة وتحقيق د. عبدالجبار جعفر القزاز .
١٣ـ شرح الفصيح ابو القاسم عبدالله بن ابي الفتح محمد بن ناقا ، رسالة

ماجستير ، عبدالوهاب العدواني باشراف الدكتور حسين نصار ، القاهرة (مطبوع بالآلة الكاتبة) .

١٤ـ الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها : احمد بن فارس ، تحقيق مصطفى الشويمي ، مؤسسة بدران للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٣ .

١٥ـ القاموس المحيط : الفيروزابادي ، مكتبة النوري دمشق .

١٦ـ الكتاب : سيبويه ، تحقيق عبدالسلام هارون دار القلم ١٩٦٦ .

١٧ـ كتاب العين : الخليل بن احمد الفراهيدي تحقيق د. مهدي المخزومي ، د. ابراهيم السامرائي دار الرشيد للنشر ـ بغداد ١٩٨٠ـ١٩٨٥ .

١٨ ـ لسان العرب : ابن منظور ، مصور عن طبعة بولاق ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة .

١٩ـ المصباح المنير : للفيومي ط٨ القاهرة ١٩٣٩ .

بغـــداد

اصل الاسم وتاريخه

بغداد ، مدينة السلام وعاصمة الخلافة العباسية اسسها الخليفة ابو جعفر المنصور واتمّ بناءها عام ١٤٧ هجرية (٧٦٢م) وأسماها مدينة السلام ، كما سميت المدينة المدورة ، نسبة الى شكل اسوارها المدورة ، او الزوراء نسبة الى ازورار ابوابها . إلا ان الاسم القديم (بغداد) غلب بقية الاسماء .

غدت بغداد بعد مدة قصيرة من تأسيسها قبلة المشرق والمغرب ومركزا للاشعاع الفكري والحضاري امتد بتأثيره الى جميع البلدان والاقاليم التي انتشر فيها الاسلام او احتك بها العرب المسلمون . تبلورت فيها مدارس عقائدية وفكرية وفنية مختلفة . استوعبت مدارس الامصار والبلدان التي خضعت لتأثيرها السياسي او الحضاري او كليهما ، وانصهرت في بوتقة واحدة ذات سمات متميزة غلب عليها الطابع العربي الاسلامي ، وكانت اساسا متينا لحضارة قادت العالم المتمدن آنذاك لقرون عدة .

ارسى أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي الثاني أُسس مدينته المدورة (مدينة السلام) في الجانب الغربي من نهر دجلة الى جوار بلدة تسمى بغداد وقد املت اختياره لموقع بغداد عوامل سياسية وعسكرية وصحية وتاريخية كثيرة شرحها المؤرخون قديما وحديثا . لقد اعطت هذه العوامل نفسها اقليم بغداد أهمية خاصة عبر العصور وكانت وراء قيام العديد من المدن والمراكز الحضارية فيه منذ اقدم العصور التاريخية المعروفة منذ مطلع الالف الثالث قبل الميلاد والى وقتنا الحاضر .

لقد اظهرت التنقيبات الاثرية التي أُجريت في منطقة بغداد وما جاورها خلال القرن العشرين أهمية هذه المنطقة واحتوائها على بقايا العديد من المدن والمراكز الحضارية التي كان لها شأنها في التاريخ القديم • ففي عصور فجر السلالات السومرية (حوالي ٣٠٠٠ـ٢٤٠٠ ق•م) ، قامت فيها ، ولاسيما في الجانب الشرقي منها ، عدة مراكز حضارية متمثلة ببقايا مدن مملكة اشنونا •

وفي عهد الدولة الاكدية (٢٣٧١ـ٢٢٣٠ ق•م) ، وهي اول مملكة وحدت جميع ارجاء بلاد الرافدين التي امتدت حدودها ، كما يذكر الملك سرجون الاكدي نفسه مؤسس المملكة ، من البحر الاعلى ، الى البحر الاسفل ، اي من سواحل البحر المتوسط ، الى شواطىء الخليج العربي ، وامتد نفوذها السياسي والحضاري الى ابعد من ذلك بكثير • وفي العصر البابلي القديم (حوالي ٢٠٠٠ـ١٦٠٠ ق•م) ازدهر العديد من المدن البابلية في منطقة بغداد كان من بينها مدينة سبار ، جنوبي غربي بغداد الحالية ، ومدينتا شادبم وزرالولو ، في منطقة بغداد الجديدة وتل الدير وغيرها • وفي العصر البابلي الوسيط أُسست مدينة دور كوريكالزو ، عقرقوف حاليا ، الى جوار بغداد لتكون عاصمة للمملكة • وظلت منطقة بغداد تحتفظ بأهميتها عبر العصور التالية فأقام بالقرب منها السلوقيون ومن بعدهم الساسانيون عواصم لهم تمثلت بسلوقية وطيسفون وغيرها من المدن • وظلت منطقة بغداد تحتل اهمية خاصة حتى اختار المنصور ان يؤسس فيها عاصمته الجديدة (مدينة السلام) التي فاقت أهميتها أهمية جميع المدن والعواصم السابقة واللاحقة الى الان •

غلب اسم بغداد على غيره من الاسماء التي اطلقت للدلالة على عاصمة الخلافة العباسية ، وذهب المؤرخون واللغويون في تفسيره مذاهب شتى ، وانطلق كل منهم من اللغة او اللغات التي يجيدها او له المام بها ، كاللغات الآرامية بلهجاتها المختلفة والسريانية والمندائية ولغات اخرى ، إذ ورد الاسم في جميع هذه اللغات ، ولم يدر بخلد احد منهم إن اسم بغداد إنما هو اسم

عراقي قديم ورد ذكره في النصوص المسمارية التي يرقى تاريخ بعضها الى ما يقرب من اربعة الاف سنة مضت ، شأنه في ذلك شأن العديد من الاسماء المهمة في بلاد الرافدين مثل اسماء النهرين الخالدين دجلة والفرات وروافدهما الزابين ، والخابورين ، وأسماء عدد من المدن التي مازالت بقاياها ظاهرة للعيان مثل اور وكيش وآشور وبابل ونينوى وغيرها من الاسماء • ويتكرر ورود اسم بغداد في النصوص المسمارية في العصور البابلية والآشورية الى عصر المسيح وانتقل الى الآرامية ولهجاتها والعربية ، كما ورد في الكتابات الاغريقية والفارسية وغيرها من اللغات التي تحدثت كتاباتها عن بلاد الرافدين وعن مدنه•

ففي النصوص المسمارية من العصر البابلي القديم وهو العصر الذي عاش في نصفه الأول الملك الحمورابي الشهير (١٧٩٢ ــ ١٧٥٠ ق•م) كان الاسم يطلق على مقاطعة تمتد بين نهر دجلة ونهر الملك كما يطلق على مدينة في المقاطعة نفسها أيضا • وورد الاسم مدونا بثلاث علامات مسمارية هي

التي قرأها الباحثون بصيغة خُ ــ دا ــ دُ . hu — da - du

ولان الكتابة المسمارية كتابة مقطعية وليست هجائية ، وان معظم العلامات المسمارية تحمل اكثر من قيمة صوتية واحدة ، فقد سهل هذا اضافة قيم صوتية جديدة للعلامة المسمارية الاصلية في العصور اللاحقة • وتعتمد قراءة العلامة المسمارية ذات القيم الصوتية المتعددة على مضمون النص الذي ترد فيه وقد تضاف علامات معينة قبل الاسماء او بعدها لتحديد المعنى المقصود وتعرف عادة بالعلامة الدالة • ومن العلامات المسمارية التي لها اكثر من قيمة صوتية واحدة ، هي العلامة الاولى من الاسم الذي اطلق على احدى المدن البابلية وقرأه الباحثون الأجانب بصيغة خُداد • فاذا علمنا ان لهذه

العلامة القيم الصوتية بَك bag ــ بَــك bak وبَــق baq
وبَــك pag وغيرها الى جانب القيمة الصـوتية خُ hu
أمكن قراءة اسم المدينة بالصيغ : بَكَدد bag - da - du او بَكَـــدادُ
bakdadu وقد انتقلت هذه الصيغ وتطوراتها الى اللغة الآرامية واللغــة
العربية بصيغة بَغدَدُ أو بَغدادُ •

يتكرر اسم بغداد بصيغته البابلية في عدد من النصوص المسمارية مـن
العصور المختلفةفقد ورد في قائمة تضم اسماء عدد من المدن البابلية المتجاورة تقع
في وسط بلاد الرافدين ، وورد للدلالة على اسم منطقة واسعة تقع فيها عـدة
مدن • وورد في عدد آخر من النصوص الآشورية بينما وصف احد الاشخاص
بانه رجل من بغداد Bag - da - du • وورد الاسم بَغَددُ Bagdadu
في النصوص المسمارية مجردا من اية نهاية باستثناء الضمة ، علامة الرفع ، كما
ورد وقد لحقه التمويم الذي يرد في نهاية الاسماء عادة بصيغة بَغَـددُم
Bagdadum ، وهو ما يقابل التنوين في اللغة العربية الى حد بعيد •

وهكذا كشفت النصوص المسمارية بان اسم بغداد يرجع باصوله الى
لغات العراق القديمة وان ما كتب عن معناه واشتقاقه في اللغات الاخرى اللاحقة
مجرد تفسيرات خاصة لا علاقة لها بأصل الاسم الذي استخدم في عصـر
سابق لاستخدام جميع تلك اللغات •

محـور المعجـم العـربي

١ ـ نحـو معجـم حديـث ـ
الدكتور احمـد مطلـوب

٢ ـ المعجـم العـربي ـ مادته ومناهجـه ـ
الدكتور محمد ضاري حمادي

٣ ـ سمات المعجمات اللغوية العربية وخصائصها المنهجية ـ
الدكتور رشيد عبدالرحمن العبيدي

٤ ـ معجـم العلايـلي ـ منهجه ومادته ـ
الدكتور عبدالله الجبـوري

٥ ـ المعجم العربي القديم والمدونات الادبية ـ
الدكتور نعمة رحيم العزاوي

نحو معجم حديث

الدكتور احمد مطلوب
عضو المجمع العلمي وامينه العام

الملخص

يتعرض البحث بايجاز لواقع المعجم العربي ، ثم ينطلق الى رسم الخطوط العامة للمعجم الحديث الذي يلبي حاجات العصر • ويمثل هذا البحث رأيا خاصا تكوّن بمرور السنين والتعامل مع المعاجم ، وقد يوحي هذا المنهج بوضع معجم بعيد عن الغريب الذي يظل شاخصا في المعاجم القديمة التي يُرجع اليها عند البحث عنه ، ويبقى المعجم الحديث مرجعا لكل من تعنيه لغة الضاد من المعاصرين •

(١)

عُني العرب بلغتهم منذ عهد مبكر فوضعوا المعاجم اللغوية ، وكان معجم « العين » للخليل بن احمد الفراهيدي (ـ ١٧٥هـ) اول معجم عربي ، ثم توالى وضع المعاجم وتبارى العلماء في تأليفها ، وكان منها في القديم :

١ ــ التقفية في اللغة ــ ابو بشر اليمان بن أبي اليمان البندنيجي (ـ ٢٨٤هـ).
٢ ــ جمهرة اللغة ــ ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ـ ٣٢١هـ) .
٣ ــ البارع في اللغة ــ أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ـ ٣٥٦هـ) .
٤ ــ تهذيب اللغة ــ ابو منصور محمد بن ابراهيم الازهري (ـ ٣٧٠هـ) .
٥ ــ مختصر العين ــ ابو بكر الزبيدي الاشبيلي (ـ ٣٧٩هـ) .
٦ ــ المحيط في اللغة ــ الصاحب بن عباد (ـ ٣٨٥هـ) .
٧ ــ مجمل اللغة ــ احمد بن فارس (ـ ٣٩٥هـ) .
٨ ــ مقاييس اللغة ــ احمد بن فارس (ـ ٣٩٥هـ) .
٩ ــ تاج اللغة وصحاح العربية المشهور بالصحاح ــ ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري (ـ ٤٠٠هـ) .
١٠ــ المحكم والمحيط الاعظم في اللغة ــ ابو الحسن علي بن اسماعيل بن سيده (ـ ٤٥٨هـ) .
١١ــ اساس البلاغة ــ جار الله محمود بن عمر بن محمد بن احمد الزمخشري (ـ ٥٣٨هـ) .
١٢ــ الزاخر واللباب الفاخر ــ الحسن بن محمد الصغاني (ـ ٦٥٠هـ) .
١٣ــ مختار الصحاح ــ محمد بن ابي بكر الرازي (ـ ٦٦٦هـ) .

١٤ـ لسان العرب ـ ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري الانصاري الخزرجي (ـ ٧١١هـ) .
١٥ـ غوامض الصحاح ـ صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي (ـ ٧٦٤هـ) .
١٦ ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ـ احمد بن محمد الفيومي (ـ ٧٧٠هـ) .
١٨ـ القاموس المحيط ـ ابو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزابادي (ـ ٨١٦ أو ٨١٧) .
١٨ـ تاج العروس من جواهر القاموس ـ محب الدين ابو الفيض محمد مرتضى الحسيني الزَّبيدي (ـ ١٢٠٥هـ) .

هذه أشهر المعاجم العربية القديمة فضلا عن الرسائل اللغوية مثل كتب الغريبين (غريب القرآن وغريب الحديث) وكتب اللغات مثل لغة القرآن ولغة القبائل ، وكتب الحيوان ، وكتب النوادر ، وكتب البلدان والمواضع ، وكتب الإفراد والتثنية والجمع ، وكتب الابنية ، وكتب الصفات ، وغيرها مما تحدث عنه الدكتور حسين نصار في كتابه « المعجم العربي ـ نشأته وتطوره » .

واشتدت العناية بالمعجم العربي في العصر الحديث منذ القرن التاسع عشر للميلاد فأصدر بطرس البستاني الجزء الاول من معجمه « محيط المحيط » سنة ١٨٦٦م ، واصدر في سنة ١٨٦٩م معجم « قطر المحيط » . واصدر سعيد الخوري الشرتوني معجم « أقرب الموارد الى فصح العربية والشوارد » سنة ١٨٨٩م ، واخرج لويس المعلوف « المنجد » سنة ١٩٠٨م . ووضع عبدالله البستاني معجمين : « البستان » و « فاكهة البستان » واصدرهما سنة ١٩٣٠م.

وهذه المعاجم امتداد للمعاجم العربية القديمة ، وقد حاول جبران مسعود ان يجدد في ترتيب المواد اللغوية فأصدر سنة ١٩٦٤م معجمه « الرائد » الذي رتب كلماته بحسب تسلسل حروفها متبعا المعاجم الاجنبية ، وذلك لتسهل عملية استخراج الكلمات .. وهذا النهج جيد للمراحل الدراسية الاولى ولكنه

يحرم المثقف واللغوي من روح اللغة وترابط ألفاظها والوقوف على ما يتصل بالمادة اللغوية الواحدة ومشتقاتها ، وتجعل الاسماء والافعال والظروف تتناثر ، وتجعل الرباعي يبتعد عن الثلاثي ، والمزيد عن المجرد ، وليس هذا من طبيعة اللغة العربية التي تتسم موادها بالوحدة والترابط ويجمعها نظام الاسرة الواحدة ، لانها اشتقاقية وليست إلصاقية . ونحا هذا المنحى الجيلاني بن الحاج يحيى وعلي بن هادية وبلحسن البليش في معجمهم « القاموس الجديد للطلاب » الذي صدر سنة ١٩٧٩م في تونس ، وهو معجم نافع للشادين في اللغة غير انه كالرائد يقطع الصلة بين المعاجم القديمة والحديثة ، ويفكك المادة اللغوية المعتمدة على الاشتقاق .

وهناك محاولات كثيرة في هذا الميدان ، وهي تسعى الى وضع معجم حديث ، ومنها :

١ ـ المعجم لعبدالله العلايلي الذي صدر قسم منه بطبعته الاولى سنة ١٩٥٤م .
٢ ـ المرجع لعبدالله العلايلي الذي صدر مجلد منه سنة ١٩٦٣م .
٣ ـ متن اللغة لاحمد رضا الذي صدر في خمسة مجلدات سنة ١٩٥٨ .
٤ ـ المعجم الوسيط الذي أخرجه مجمع اللغة العربية في القاهرة سنة ١٩٦٠م ، وأعيد طبعه مرتين بعد ذلك .
٥ ـ المعجم العربي الاساسي الذي اصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم سنة ١٩٨٨م .

هذه أشهر المعاجم المتداولة في الوقت الحاضر ، وهي موجزة تجمع بين القديم والحديث ، وتتحاشى ذكر الغريب الحُوشِيّ الذي لا يستعمل الآن .

(٢)

هذا بعض ما كان في القديم والحديث من العناية بالمعجم ، ولكن المعجم العربي لايزال يستشرف آفاقا جديدة ، لان الحاجة عظيمة في هذه الايام الى معجم لغوي يتميز بالسهولة ومواكبة العصر ، وقد سدّ « المعجم الوسيط » فراغا كبيرا ، ولكنه لايزال دون الطموح لما فيه من نقص في الالفاظ ، وإدخال بعض الالفاظ العامية المحلية ، وليس وضع معجم احدث منه بالامر الصعب ، فهناك المختصون باللغة والعلوم ، وهناك السبل المشرعة للعمل وما في اللغة العربية من وسائل نموها كالمجاز ، والاشتقاق ، والقياس ، والتوليد ، والتعريب (عند الضرورة القصوى) . وهذه وسائل تتسع لاستيعاب المستجدات ، وهي — بلا ريب — قادرة على ان تمد المعجم الحديث بمادة لغوية واسعة تستجيب لمتطلبات الحياة ، وتؤدي ما يعبر به المعاصرون عن معانٍ وأفكار .

لقد اخذ القدماء بهذه الوسائل واستعانوا بها واتخذوها وسيلة من وسائل إغناء المعجم الى جانب ما سُمع عن العرب ، وجمعه الرواة واللغويون . وكان المتأخرون يأخذون من المتقدمين وينقلون عنهم ، ولكنهم لم يضيفوا كثيرا الى مَنْ تقدمهم ، ولم ينتفعوا بما طرأ على اللغة العربية من تطور في دلالة الالفاظ وتنوع في التعبير ، ولعل الزمخشري كان اكثرهم استجابة لذلك ، فذكر في معجمه «أساس البلاغة» المعاني المجازية بعد المعاني اللغوية ، وكان يقول بعد ان ينتهي من المعنى اللغوي : « ومن المجاز » ثم يذكر بعض الاستعمالات المجازية للفظة ، ومن ذلك قوله : « أ ب ر : شاةمأبورة أكلت الإبرة في علفها ... ومن المجاز : إبرة القَرْن لطرفه ، قال ابن الرّقاع :

تُزْجي أغَنّ كأنّ إبرةَ رَوْقِهِ قلَمٌ أصابَ من الدّواةِ مِدادَها

وإبرة المِرْفَق لطرفه ، وإبرة العقرب والنحلة لشوكتها ، وتقول : « لابدَّ مع الرطب من سُلاَّء النخل ، ومع العسل من إبر النحل » • وقد أبَرَتْه العقرب بمئبرها والجمع : مآبر • ومنه • «إنه لذو مآبر في الناس» كماقالوا: « دبَّت بينهم العقارب » اذا مشت بينهم النمائم • وقال النابغة :

وذلك من قولٍ أتـاكَ أقولُه ومن دَسٍّ أعداءٍ اليك المآبرا

فالزمخشري لم يقف عند المعنى اللغوي وحده ، وإنما توسع واضاف المجازات ودلالاتها ، مقترنة بالنثر الفصيح والشعر البليغ ، وبذلك كان من اكثر القدماء تحررا ، اذ انتفع بما نقل عن العرب ، وما طالعه في بطون الكتب ، ومتون الدفاتر من روائع ألفاظ ، وجوامع كلم ، وتخيرَّ ما وقع في عبارات المبدعين ، وانطوى تحت استعمالات المفلقين ، او ما جاوز وقوعه فيها وانطواؤه تحتها من التراكيب التي تملح وتحسن لجريها على الالسنة والاقلام •

فالزمخشري قد توسع في عمله وخاض في بطون الكتب ، وهذا النهج يفضي الى حرية واسعة للمعاصرين ليخوضوا ويستخرجوا ما في بطون الكتب القديمة والحديثة ، واخذ ما صحَّ ، وإدخاله في المعجم الحديث ليكون نابضا بالحياة ، وليظل مسايرا للغة لا قيدا يمنعها من النمـو والازدهار • ولابدَّ للمسموع من أنْ يجد سبيله الى المعجم اذا صدر عن العلماء والادباء المعروفين بسعة علمهم وإشراقة معرفتهم ، وسلامة ذوقهم ، المعتدِّين بلغتهم ، والحريصين على سلامتها من الانحراف ودعوات التغريب •

إن المعجم الحديث ينبغي ان يستوعب الالفاظ الجديدة لا الالفاظ التي تنحدر باللغة وتبعدها عن مسيرتها الطبيعية ، وان يأخذ مـن الادب قديمه وحديثه وكتب التاريخ والجغرافية والفقه والرحلات وسواها ، ويستعين بوسائل نمو اللغة ولا يقتصر على النقل من المعاجم القديمة ، وإنما يتوسع ويدخل ألفاظ المعاصرين البلغاء ، وأساليب المبدعين • وقد خطا واضعو

« القاموس الجديد للطلاب » الذي صدر في تونس سنة ١٩٧٩م خطوة في هذا السبيل فاستشهدوا بشعر مَنْ لم يُسْتَشْهَدْ بشعرهم كالمتنبي والمعري وابي فراس وابن زيدون . ولم يقفوا عند هؤلاء وإنما استشهدوا بشعر المحدثين كأحمد شوقي ، وحافظ ابراهيم ، والرصافي ، والعقاد ، والشابي ، ومحمد الفائز القيرواني ، ومصطفى خريف ، لان هؤلاء لم يخرجوا عن اللغة السليمة واصولها ، وكانوا في شعرهم من المبدعين .

ويجب ان يؤخذ بما وضعته المجامع العربية في هذا العصر ، فقد كان لها دور كبير في إغناء اللغة العربية بما اصدرت من معاجم لغوية وحضارية وعلمية ، كما يجب ان يؤخذ بما وضعه العلماء والباحثون ووجد سبيله الى الحياة الادبية والثقافية والعلمية ، لان هذين الرافدين من اهم ما يمد اللغة ويطورها لما فيهما من عطاء وقدرة على الوضع والاخذ باسباب العلم الحديث والذوق السليم ، ولاسيما الفاظ الحضارة التي اكتنفت المعاصرين من كل جانب وكادوا يعجزون عن التعبير عن الحياة الجديدة لولا المجامع اللغوية والعلمية ، وفضلاء القوم من المخلصين للغتهم الرفيعة وحضارة امتهم المعطاء .

(٣)

فالمعجم الذي يرتبط بالحياة المعاصرة ينبغي ان يأخذ بوسائل نمو اللغة ، ويستعين بما بذل من جهد في القديم والحديث ، ولعل اهم ما يوسع مادته ويرفده بالجديد :

١ ـ الرسائل اللغوية وكتب اللغات والحيوان والنبات والنوادر والابنية وغيرهما مما اشار اليه الدكتور حسين نصار في كتابه « المعجم العربي ـ نشأته وتطوره » .

٢ ـ المعاجم وقد ضمت مفردات اللغة ومعانيها وكثيرا من الابنيــة ودلالاتها ، وهي على الرغم مما تشترك فيه فان بعضــها يتميز عن بعــض في امور ، وسيجد المعاصرون فيها مادة وقيمة تكون اساسا لمعاجمهم • وقــد يكون نافعا اتخاذ معجم مبسوط اساســا ، وتجــرد مواده ، وترتب ترتيبـا دقيقا بعد حذف المكرر وادخال ما لم يرد فيه • ويظل العمل متواصلا والمراجعة مستمرة حتى يتيقن المؤلف او المؤلفون من ان المادة اللغوية استوفت مفرداتها، وانها ضمت كل ما يتصل بها من صيغ ذكرتها المعاجم والموارد الاخرى •

٣ ـ التراث ويضم ما تركه العرب من كتب فقهية ، وادبية ، وعلميــة ، وتأريخية ، وجغرافية وفلسفية ، وغيرها ، لان فيها مادة لم تذكرها المعاجــم ، ويدخل في ذلك الادب قديمه وحديثه • وقد قام (رينهارت دوزي) بمراجعــة التراث العربي وألف معجمه « تكملة المعاجم العربية » وفيه كثير من الالفاظ التي لم تذكرها المعاجم ؛ لان معظم واضعيها وقفوا عنــد عهد الاستشــهاد اللغوي ، ولم يلتفتوا الى ما بعد ذلك إلا قليلا • وفعل مثــل دوزي (الاب انستاس ماري الكرملي) في معجمه « المساعد » الذي ضمّ كثيرا مما لــم تذكره المعاجم • وتمكن الاستفادة من هذين المعجمين بعد حذف الالفــاظ العامية او الدخيلة ، وتدقيق ما جــاء من الفصــيح منها خشــية التصــحيف والتحريف •

وتتبعت (الدكتورة طيبة صالح الشذر) « الفاظ الحياة الثقافيــة في مؤلفات ابي حيان التوحيدي » ونشرت كتابا ضخما بهذا العنوان درست فيه الالفاظ الثقافية وما كانت تدل عليه في عصر ابي حيان التوحيدي •

واتجه (الدكتور نعمة رحيم العزاوي) الى كتب ابي حيان واستخلص منها مادة لغوية طريفة نشرها بعنوان « من معجم ابي حيان التوحيدي » وذلك بعد ان رأى ان أبا حيان تصرف في بعض المفردات واستعملها على غير الوجــه الذي عهدت فيه ، وانه جاء بمفردات نادرة او طريفة قلّ أن يُظفر بها عنــد

غيره من الادباء ، ونحو ذلك مما تعرض له الدكتور العـزاوي من اسـتعمال التوحيدي للالفاظ .

٤ ــ السماع من البلغاء والادباء الكبار ، لان ما بلغوه من العلم والحرص على اللغة يجيز الاخذ عنهم ، كما كان القدماء يأخذون من العرب الفصحـــاء والبلغــاء .

٥ ــ المجامع اللغوية العربية وجهدها في المعجم كبير ، إذ اسـتطاعت ان تضع او تدقق وتصحح كثيرا من الالفاظ التي وجد بعضها سبيله في معجـــم « متن اللغة » و « المعجم الوسيط » و « المعجم الكبير » و « المعجم العربـــي الاساسي » وغيرها .

(٤)

إن المعجم الحديث هو ما كان صورة للواقع كما كانت المعاجم القديمـــة تعبيرا عن واقع الاقدمين ، ولعل من اهم سمات المعجم المنشود :

١ ــ أنّ يخلو من الالفاظ الحوشية والمهجورة او الدالة على اشـــياء اندرست ، ولم تبقَ لها في الحياة معالم واضحة ، لان موضعها المعجم التاريخي والمعاجم القديمة التي تظل مرجعا مهما الى جانب المعجم الحديث إذ فيهـــا الالفاظ الغريبة والمهجورة مما لا يستسيغه ذوق العصر . فأي نفع في ألفـــاظ غريبة تدخل في معجم حديث مثل : الحيزبـــون ، والدردبيس ، والطخـــا ، والنقاخ ، والعلطبيس ، والعقنقل ، والقدموس مما ذكره صفي الدين الحلـــي وهو يدعو الى تجنب هذه الالفاظ الوحشية حين يقول :

إنما الحيزبونُ والدَّرْدَبيسُ والطَّخا والنُّقاخُ والعَلْطَبيسُ
لغةٌ تَنْفِرُ المسامعُ منها حين تُرْوَى وتَشْمئزُّ النفوسُ
أينَ قولي : هذا كَثيبٌ قديمٌ ومقالي عَقَنْقَلٌ قَدموسُ

لقد جعل الحسُّ الحضريُّ صفيَّ الدين ينفرُ من هذه الالفاظ لانها لا تمثل عصره وذوقه ، وكان علي بن عبدالعزيز الجرجاني قد نبّه الى ذلك منذ القرن الرابع للهجرة وتحدث عن اثر التحضر في اللغة والشعر ، وذكر في مطلع كتابه « الوساطة بين المتنبي وخصومه » ان الناس اختاروا بعد تحضرهم من الكلام ألينه واسهله ، وعمدوا الى كل شيء ذي اسماء كثيرة فاختاروا أحسنها سمعا وألطفها من القلب موقعا ، ومن ذلك لفظة « الطويل » التي اقتصروا عليها بعد ان وجدوا العرب فيها اكثر من ستين لفظة اكثرها بشع شنع ، كالعَشَنَّط ، والعَنَطْنَط ، والعَشَنَّق ، والجَسْرَب ، والشَّوْقَب ، والسَّلْهَب ، والشَّوْذب ، والطاط ، والطوط ، والقاق ، والقوق ، فنبذوا جميع ذلك وتركوه ، واكتفوا بلفظة « الطويل » لخفتها على اللسان ، وقلة نبوّ السمع عنها .

هذا ما كان من القدماء وهم قريبو العهد بالالفاظ الحوشية الغريبة ، فكيف حال الذين جاءوا بعدهم بأكثر من الف عام ؟

٢ ـ أنْ يخلو من الالفاظ الاجنبية إلا ما اصبح ضرورة او جاء في المعاجم والكتب القديمة وظل حضوره ماثلا في هذا العصر ، وللغة العربية قدرة عجيبة على وضع ألفاظ عربية للالفاظ الاجنبية ، وقد شهدت حركة الترجمة في العصر العباسي تحولا في اللغة ، فبعد ان كانت الترجمات الاولى تحفل بالالفاظ الدخيلة او المُعَرَّبة ، اصبحت الترجمات بعد ذلك تنهل من روح العربية ، وتضع مصطلحات والفاظا عربية بدل الاجنبية . وحدث مثل

هذا في العصر الحديث إذ كانت كتب مطلع القرن العشرين وصحافته تحفل بكثير من الالفاظ الاجنبية ، ولكن الحال تغير بعد ان انتشرت الثقافة ، وساد الوعي القومي ، واصبحت المؤلفات والصحف تنأى عن المُعَرَّب والدخيل ما استطاعت الى ذلك سبيلا .

ولكن ـ على الرغم من ذلك فان بعض المعاجم ماتزال تحفل بالالفاظ الاجنبية وكان من المؤمل ان يجنب مجمع اللغة العربية في القاهرة معجميه « المعجم الوسيط » و « المعجم الكبير » من الالفاظ الاجنبية ، وقد احسن «المعجم الوسيط» صنعا حينما حذف بعض الكلمات الاجنبية في طبعته الثالثة.

٣ ـ أنْ يخلو من الالفاظ العامية وإن كان اصلها عربيا لما فيها من تغيير في ترتيب الحروف ، او إضافة حروف اخرى ، أو تغير في دلالتها مما يوقع في الوهم ، وينأى باللفظ عن الفصيح .

٤ ـ أنْ يخلو من المصطلحات العلمية الدقيقة ؛ لان موضعها معاجم المصطلحات العلمية التي اصدرت المجامع العربية والمؤسسات العلمية مئات منها ، ويكتفى بالمصطلحات العامة التي تحدد علما من العلوم ، او ما شاع في وسائل الاعلام ، وتداولته الاقلام ، ولهجت به الالسن في مجالات الحياة المختلفة وميدان الثقافة العام .

٥ ـ أنْ يخلو من الاعلام ؛ لان موضعها معاجم التراجم والاعلام ، وقد اسرف الفيروزابادي في ذكر الاعلام ، ولا تكاد مادة لغوية تخلو من ذكر اسم شاعر او عالم او محدِّث ، ويبدو ذلك من الاسطر الاولى للمعجم ففي « أتأ » وهي المادة الثانية ـ جاء : « أتَأَةُ : كَحَمْزَةَ : امرأة من بكر بن وائل أم قيس بن ضرار ، وجبل » .

٦ ـ أنْ يخلو من اسماء المدن والاماكن ؛ لان موضعها كتب البلدان ، او دوائر المعارف ، والموسوعات المتخصصة بعلم الجغرافية والبلدان .

هذه بعض سمات المعجم الحديث ، فضلا عن انه يجب أنْ يضم الالفاظ الحضارية الحديثة ، وهو مما يَعْني المعاصرين ويهمهم في معرفة اسباب الحضارة ودلالة الالفاظ عليها ، وقد صدرت بعض معاجم الالفاظ الحضارية ومنها « معجم الحضارة » لمحمود تيمور الذي صدر سنة ١٩٦١م ، و « معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون » الذي اصدره مجمع اللغة العربية في القاهرة ، و « ألفاظ حضارية » الذي اصدره المجمع العلمي ببغداد سنة ١٩٩٨م • وتعدّ هذه المعاجم وغيرها نواة لما سيدخل في المعجم الحديث من الالفاظ الحضارية التي تهم الناس في هذه الايام •

(٥)

هذه بعض سمات المعجم الحديث ، اما ترتيبه فينبغي أنْ يرتب على المادة الثلاثية مثل ترتيب « أساس البلاغة » للزمخشري والمعاجم الحديثة كمعجم « متن اللغة » و « المعجم الوسيط » • أي البدء بأول المادة فوسطها فآخرها ، وهو ما اخذت به بعض المعاجم القديمة والحديثة ، اما ترتيبه على حروف الكلمة كلها ــ وهذا ــ ما اتبعه جبران مسعود في « الرائد » فانه يفقد خصائص اللغة العربية المعتمدة على الاشتقاق ، ويفرق عناصر المادة الواحدة في عدة مواضع ، فكلمة « اتّشَحَ » ذكرها في حرف الالف وقال : « اتشح اتشاحا (وشح) لبس الوِشاح » ولم يفسر « الوشاح » في هذا الموضع وانما فسره في حرف الواو ، قال « الوِشاح : ١ــ شبه قلادة من نسيج او جلد عريض يُرَصَّع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكَشحيْها ج : وُشُح وأوشِحة ووشائح • ٢ــ السيف • ٣ــ القوس » •

وفعل مثله اصحاب « القاموس الجديد للطلاب » فذكروا الفعل « اتّشح » في حرف الالف وقالوا : « اتّشح يتشح اتّشِحْ اتشاحا ، الرجلُ : لبس الوشاح » • ثم فسروا « الوشاح » في حرف الواو وقالوا :

« الوِشاح : هو نسيج عريض يُرَصَّع بالجوهر وتشده المرأة بين عاتقيهـا وكَشْحيها ــ نسيج من حرير مزركش الالوان يشده رؤساء البلديات بـين عاتقهم وكشحهم في الاحتفالات الرسمية ــ القوس ، ج : وُشُح وأوشـحة ووشائح » .

لقد مزّق المعجمان المادة اللغوية وفَرَّقَ مفرداتها في حين ان المعاجـم الاخرى ذكرت جميع ما يتصل بالمادة ومنها « المعجم الوسيط » الذي ذكرها في حرف الواو ، وذكر ما يتصل بها وجاء بالفعل « وشَّح » و « اتشـحت » و «توشحت » و « التوشيح » و « الموشح » و « الوشاح » و « الوشحاء » . فالمعجم الوسيط جمع كل ما يتصل بالمادة في موضع واحد ، وفي ذلك فائـدة عظيمة إذ تعرض المادة كلها مما يزيد في ثروة القارىء اللغوية ويجعله يربـط بين الالفاظ التي يجمعها ــ في الغالب ــ معنى واحد ، ويقف على تحولها وهي متسقة في نهج واضح ، كما في « المعجم الوسيط » إذ قدمت اللجنة التــي وضعته الافعال على الاسماء ، والمجرد على المزيد من الافعال ، والمعنى الحسي على المعنى العقلي ، والحقيقي على المجازي ، والفعل الـلازم على الفعـــل المتعدي ، ورتبت الفعل الثلاثي على ابوابه الستة ، والفعل الثلاثي المزيـــد بحرف على « أ فعل » و « فاعل » و « فَعَّلَ » والثلاثـي المزيـد بحرفـين « افتعل » و « انفعل » و « تفاعل » و « تفعَّل » و « أفْعَلَّ » ، والثلاثــي المزيـد بثلاثة احـرف علـى « اسـتفعل » و « افعوْعَل » و « افعـالّ » و « افعوَّل » ، والرباعي المزيد بحرف على « تَفَعْلَل » . وأما ما أُلحـق بالرباعي من أوزان فقد ذُكر منها ما رأت اللجنـة اثباته مع الاحالـة عليه في موضعه من الترتيب الحرفي للمواد ، فالكلمة « كَوْثَر » ــ مثلا ــ ذُكرت في «كَثَر» موضَّحا معناها ، وفي «كوثر» محالة على مادة «كثر» . وفُصِل مضـعف الرباعـي عـن مــادة الثلاثـي ، وذُكـر في موضـعه مــن الترتيـب الحـرفي ، فكلمـة « زلـزل » كتبـت في مـادة « زلـزل » ،

و « زَلّ » كتبت في « زلل » . وهناك كلمات صُدِّرت بالتاء المبدلة من الواو إبدالا دائما مثل « التُّؤدة » و « تَجِه » و « تقى » و « اتقى » و « تخم » و « التراث » ، وقد جعلتها اللجنة مع اصلها في باب الواو . وراعت في رسم مثل « ائتب » اذا وقعت في مبدأ الكلام أنْ تثبت الهمزتان : همزة الوصل المرسومة الفا ، وهمزة فاء الكلمة المرسومة ياءً ، وإنْ كانت قواعد الصرف تقضي بابدال الهمزة الثانية ياءً في البدء بالفعل فيقال : « ايتب » .

لقد جمع « المعجم الوسيط » بهذا المنهج بين الاخذ بأصول الكلمة وذكرها بحروفها ، والاحالة على الاصل ، وبذلك سَهَّلَ استعماله وكان اكثر فائدة للمراجعين الذين لا يعرفون اصل الكلمة . كما جمع في مكان واحد كل ما يتصل بالمادة اللغوية إلا ما كان قياسيا كاسم الفاعل واسم المفعول ونحوهما ، وذكر ما استجد من الفاظ عَبَّرت عن روح العصر ، فهو في مادة « اثر » ــ مثلا ــ يذكر كلمة « الآثار » ويقول : « علم الآثار مصطلح معناه معرفة القديم ، او علم الوثائق القديمة » وكلمة « الاثير » ودلالتها في الفيزياء والكيمياء ، ويذكر معنى « الاثارية » عند علماء الاخلاق وعلماء النفس ، ومعنى « التأثرية » في النقد الادبي . وبذلك كان هذا المعجم معبرا عن روح العصر الحديث . وهو يعد اهم مرجع حديث في اللغة ؛ لانه ذكر كثيرا من الالفاظ الجديدة ويَسَّرَ المعاني ، وشرحها شرحا واضحا . وهذا المعجم خير اساس للمعجم اللغوي الحديث اذا ما جُرِّدَ من الاعلام والبلدان والمصطلحات العلمية الدقيقة ، واضيفت اليه الالفاظ الجديدة مما اقرته المجامع وقبلته اللغة العربية طبيعة وذوقا .

(٦)

وتأتي بعد ذلك العناية بشرح المعنى وايضاحه في مقدمة ما يُعْنَى به المعجم الحديث ، ولذلك ينبغي :

١ ــ أنْ يكون الشرح واضحا ليس فيه لَبْس أو إبهام ، وألاّ تستعمل الاضداد في الشروح ، لانها كثيرا ما تكون غير مفهومة او مضللة او بعيدة عن المدارك والاذهان .

٢ ــ أنْ تحدد المعاني بدقة فلا يقال عن نوع من النبت : إنه نبات او نوع من الحيوان انه حيوان ، او يقال : إنه معروف ، كما فعل بعض اصحاب المعاجم القديمة وإنما يحدد ويوصف ليكون قريبا الى الفهم واضحا . فكلمة « الرّشاد » ــ مثلا ــ لم يشرحها الفيروزآبادي وإنما ذكر حبه وقال : « وحَبّ الرشاد : الحُرْف ، سَمَّوه به تفاؤلا ، لان الحُرْف معناه الحرمان » في حين أنّ « المعجم الوسيط » قال : « الرشاد بقلة سنوية من الفصيلة الصليبية ، تزرع وتنبت برّيّة ، ولها حبّ حرّيف يُسَمَّى حبّ الرشاد » . وقال الفيروزآبادي : « الزِمِّير : كسِكِّيت : نوع من السمك » ، وقال « المعجم الوسيط » : « سمكة جسمها ممدود شديد الانضغاط من الجانبين ، مقدمها طويل احدب ، وجسمها املس لا تغطيه القشور ، بل توجد على جانبيها صفائح عظمية او قشرية ، ولها زعنفة ظهرية بها ثلاث شوكات قوية ، وهي تعيش في انهار شمالي أوربة وبالقرب من مصابّها . وطير صغير الجسم مضغوط مغطى بريش ناعم ذي لونين رمادي ووردي يأوي الى المناطق الجرداء او فوق الجبال ويستوطن مصر ، وبلاد النوبة ، وبلاد العرب » .

٣ ــ أنْ ترتب معاني المادة الواحدة وينتقل فيها من المعاني الحسية الى المعاني الذهنية ، ومن الحقيقة الى المجاز الذي يُؤتى به في آخر المعاني لانه دلالة متأخرة للكلمة ، وذلك ما فعله الزمخشري في معجمه « أساس البلاغة » إذ كان يبدأ بالمعنى اللغوي العام ، ثم ينقل الى المجاز .

ولن يكون المعجم العربي الحديث دقيقا مالم تقم به المجامع العربية أو المؤسسات العلمية ، لان تركه للجهد الفردي قد يضيف أخطاء ، ويوقع في الخلل ، ويشيع الفوضى

ويحدث تباينا بين قطر عربي وآخر ، وفي ذلك عَوْدٌ على بَدْء ، وكأنّ جهود المجامع والعاملين في سبيل اللغة العربية لم تثمر ابدا . وكان مجمع اللغة العربية في القاهرة قد كلف لجنة من العلماء لوضع « المعجم الوسيط » و « المعجم الكبير » كما كلفت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لجنة من العلماء لوضع « المعجم العربي الاساسي » ، وهذا هو السبيل القويم في مثل هذا العمل الذي ينوء به الفرد إن لم يجد له معينا .

(٧)

وصفوة القول :

إنّ المعجم اللغوي المنشود هو ما جمع المألوف المأنوس ، وضَمّ الجديد المدروس وكان دقيقا في منهجه ، واضحا في شرحه . والمعجم الوسيط خير منطلق إذا ما جُرِّدَ من العامي والاعلام والدخيل ، وحُذفت المصطلحات العلمية الدقيقة . وما يُعنى به المختصون ومجمع اللغة العربية في القاهرة اولى بتنقيحه وتجديده ، لانه خرج من بين اقلام علمائه ، ويفضل ان يضاف الى اللجنة علماء من المجامع العربية الاخرى ليكون العمل جهدا مشتركا بين الاقطار العربية . وقد يتبنّى اتحاد المجامع العلمية واللغوية العربية إخراج معجم حديث ينتفع به اهل القرن الحادي والعشرين ، ويكون منطلقا الى المستقبل حيث تتعقد سبل الحياة ، وتتنوع فنون الحضارة ، وتكثر اسباب العلم ، وتتغير نظرة الناس واذواقهم ، وتتعدد حاجاتهم ، وهم يستشرفون المستقبل ويبنون الجديد بثقة وإيمان .

المعجـــم العـــربي
مادتـــه ومناهجـــه

ا.د. محمد ضاري حمادي
عضو المجمع العلمي
جامعة بغداد ـ كلية الآداب

الملخـــص

يتناول البحث مادة المعجم العربي ، الفصيحة والمولدة ، وتفاوت المعاجم العربية في القدر الذي تحويه من تلك المادة ، كما يتناول المعجم العربي العام ، وغايته إدخال المادة المعجمية العربية عامة ، والمعجم العربي الخاص ، وغايتـه إدخال قسم معين من المادة المعجمية العربية .

ويعرض البحث الطرائق المختلفة المعتمدة في ترتيب المادة المعجميـــة في المعجم العربي ، في معاجم المعاني ومعاجم الالفاظ . وإذْ تنوعت الطــرائق في معاجم الالفاظ باتساع ، فقد سعى هذا البحث الى تحليلها باهتمام شــديد ، خالصا الى تصنيفها بمقتضى أسسها التي قامت عليها ، وكاشفا عما تـــدلّ عليه من براعة وتدقيق .

عني علماء العربية ، عبر تاريخ دراساتهم اللغوية ، بالمعجم العربي عناية فائقة . وقد ترك اولئك العلماء ثروة من المعاجم العربية غاية في الاتساع ؛ حتى إن باحثا في العصر الحديث ، هو أحمد الشرقاوي إقبال ، عكف ربع قرن في تتبع تلك المعاجم وإحصائها ، مقتصرا في ذلك على المعاجم العربية التراثية ، فكان من ذلك كتاب دعاه « معجم المعاجم » نشره سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، وعرّف فيه بنحو الف ونصف ألف من تلك المعاجم التراثية[١] ، قائلا: « إني أُنهي الى علم القارىء أني قصرت هذه الفهرسة على المعاجم التراثية ، دون سواها مما مسّته الحداثة بأثر قليل او كثير »[٢] . فاذا ظرنا نحو المعاجم العربية الحديثة وجدناها ثروة معجمية اخرى تضم الى تلك الثروة المعجمية التراثية . وكان باحث آخر هو وجدي رزق غالي قد تتبع المطبوع فقط من المعاجم العربية ، سواء أكان المعجم قديما ام حديثا ، وذلك في كتابه « المعجمات العربية » الذي نشره سنة ١٣٩١هـ/١٩٧١م .[٣]

إنّ مادة المعجم العربي تبدأ ، تاريخيا ، من عصر ما قبل الاسلام وهي تمتد حتى العصر الحديث ، ومن ثم فهي تشمل :

---

(١) حدد المؤلف عدد تلك المعاجم بقوله : « وفذلكة كل ذلك وحاصله الف كتاب ، واربعمائة كتاب ، وسبعة كتب » [معجم المعاجم : احمد الشرقاوي إقبال ـ ط (١) بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م : الصفحة «ح» من المقدمة] .

(٢) معجم المعاجم : الصفحة «ك» من المقدمة .

(٣) حدد المؤلف المعاجم العربية التي اقتصر عليها الكتاب بانه قد ترك المخطوط منها ، كما ترك المعاجم التي نشرت في الدوريات ، والمعاجم التي الحقت بنهايات الكتب . [المعجمات العربية : وجدي رزق غالي : القاهرة ١٣٩١هـ/١٩٧١م : ص (٨)] .

اولا ـ المادة اللغوية الفصيحة : وهي التي وردت من عصور الفصاحة ، وأمكنتها ، على ما بيّنه علماء العربية الاولون . اما العصور فتبدأ من عصر ما قبل الاسلام ، وتمتد في الحواضر الى منتصف القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) ، وفي البوادي حتى القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)[٤] . واما الامكنة فهي التي تتمثل في مواطن الفصاحة التي كانت فيها القبائل العربية التي رحل اليها علماء العربية وفي مقدمتها قريش ، وقيس ، وتميم ، وأسد ، وغيرها ..[٥]

ثانيا ـ المادة اللغوية المولّدة : وهي التي ظهرت بعد المادة اللغوية الفصيحة ، والتي كان توليدها خاضعا لمناهج العربية وأقيستها في التوليد ، سواء أكان ذلك على صعيد التوليد اللفظي ام على صعيد التوليد الدّلالي .[٦]

وتتفاوت المعاجم العربية في القدر الذي تحويه من المادة المعجمية ، وذلك بمقتضى الغاية التي من اجلها صنع المعجميُّ معجمه ، وفي هذا ظهر اتجاهان :

اولا ـ الاتجاه العام : وهو ما اتخذته المعاجم العربية التي تروم إدخال المادة المعجمية العربية عامة . ومن تلك المعاجم :[٧]

---

(٤) ينظر في ازمنة الفصاحة :
ـ الخصائص : ابن جني : تحـ : محمد علي النجار . القاهرة : ١٣٧١هـ ـ ١٣٧٦هـ/١٩٥٢ـ١٩٥٦م : ٥/٢ .
ـ خزانة الادب : البغدادي : تحـ : عبدالسلام محمد هارون . القاهرة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م : ٨/١ .

(٥) ينظر في امكنة الفصاحة : المزهر : السيوطي : تحـ : محمد احمد جاد المولى وآخرين . مصر (د.ت) : ٢١١/١ .

(٦) ينظر : الباب الثاني من : حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث : د. محمد ضاري حمادي . نشر وزارة الثقافة والاعلام العراقية ـ ١٩٨٠م

(٧) المعاجم المذكورة مشهورة وهي مطبوعة متداولة .

١ ــ تهذيب اللغة : الازهري (٣٧٠هـ / ٩٨٠م) •

٢ ــ المحكم والمحيط الاعظم : ابن سيده (٤٥٨هـ / ١٠٦٦م) •

٣ ــ لسان العرب : ابن منظور (٧١١هـ / ١٣١١م) •

٤ ــ القاموس المحيط : الفيروزأبادي (٨١٧هـ / ١٤١٤م) •

٥ ــ تاج العروس : الزّبيدي (١٢٠٥هـ / ١٧٩١م) •

٦ ــ محيط المحيط : البستاني (١٣٠١هـ/١٨٨٣م) •

٧ ــ أقرب الموارد : الشرّتوني (١٣٣٠هـ / ١٩١٢م) •

٨ ــ المنجد : اليسوعي (١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م) •

٩ ــ المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية بالقاهرة •

١٠ــ المعجم الكبير : مجمع اللغة العربية بالقاهرة •

إنّ هناك معجما عربيا ، في هذا الاتجاه العام ، يتفرد بمكانة خاصة في تاريخ المعجم العربي ، مادة ومنهجا ؛ اذ ابتغى ذلك المعجم ان يحصر كلمات اللغة العربية حصرا تاما بمقتضى منهج رياضي محكم غير مسبوق • ذلك هو معجم « العين » للخليل بن احمد الفراهيدي (١٧٥هـ / ٧٩٢م) ، العبقري ، الفذ ، المعروف بعقله المبدع ، وما ابتكره من طرائق الحصر الرياضي ، كالذي فعله في العروض ، وفي الموسيقى ، ثم في معجم « العين » هذا •

ثانيا ــ الاتجاه الخاص : وهو ما اتخذته المعاجم العربية التي تروم إدخال قسم معيّن من المادة المعجمية العربية • فهذه المعاجم موزعة على مجموعات ؛ كل مجموعة منها تخص ميدانا معينا ، ومن ذلك :(٨)

١ ــ معاجم في القرآن الكريم منها :

معجم ألفاظ القرآن الكريم : مجمع اللغة العربية بالقاهرة •

٢ ــ معاجم في الحديث الشريف منها :

النهاية في غريب الحديث والاثر : ابن الاثير (٦٠٦هـ / ١٢١٠م) •

(٨) المعاجم المذكورة مشهورة وهي مطبوعة متداولة .

٣ ــ معاجم في الفقه منها :

المصباح المنير : الفيّومي (٧٧٠هـ / ١٦٣٨م) .

٤ ــ معاجم في الاشتقاق منها :

معجم مقاييس اللغة : احمد بن فارس (٣٩٥هـ / ١٠٠٤م) .

٥ ــ معاجم في الترادف منها :

نجعة الرائد : اليازجي (١٣٢٤هـ/١٩٠٦م) .

٦ ــ معاجم في الافعال منها :

الافعال : ابن القوطية (٣٦٧هـ / ٩٧٧م) .

٧ ــ معاجم في اسماء البلدان والمواضع منها :

معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع:البكري (٤٨٧هـ/١٠٩٤م).

٨ ــ معاجم في المصطلحات منها :

كشاف اصطلاحات الفنون : التهانوي (١١٥٨هـ/١٧٤٥م).

٩ ــ معاجم في اللحن منها :

معجم الاغلاط اللغوية المعاصرة : العدناني (١٤٠١هـ / ١٩٨١م) .

١٠ــ معاجم في المعرّب منها :

المعرّب : الجواليقي (٥٤٠هـ/١١٤٥م) .

إنّ مساحة واسعة من هذا الاتجاه الخاص تشغلها معاجم المصطلحات العربية في مختلف العلوم والفنون والآداب ، تلك المعاجم التي ظهرت في العربية قديما ، واتسعت في العصر الحديث . وقد وصف وجدي رزق غالي قدرا واسعا منها في قسم خصّصه بها من كتابه « المعجمات العربية » الذي مرّ في هذا البحث ، وهو القسم الثالث منه ، والموسوم بهذا العنوان : « المعجمات العربية المتخصصة » .

تلك طبيعة المادة المعجمية التي يضمها المعجم العربي وهي مادة متنوعة من حيث ماهو فصيح وماهو مولّد ، ومن حيث كون المعجم عاما ، وكونه خاصا .

ولقد اعتمد اصحاب المعاجم العربية طرائق مختلفة في ترتيب تلك المادة المعجمية ، بما يحقق للناظر في المعجم الوصول الى المادة اللغوية التي يروم الوقوف عليها في ذلك المعجم . وفي هذا الميدان تنقسم المعاجم العربية على قسمين اساسيين ، هما :

القسم الاول : معاجم المعاني

وهي المعاجم التي تعتمد المعنى اساسا ، ثم تجمع ما يخصه من الالفاظ في موضع واحد . فاذا كان في ذهن مستعمل المعجم معنى معين ، واراد معرفة ما يخص ذلك المعنى من الالفاظ ، فانه ـ والحالة هذه ـ يلجأ الى هذا القسم من المعاجم .

إنّ أول من ينسب اليه تأليف في هذا النوع عالم من اهل القرن الثاني الهجري / القرن الثامن الميلادي ، هو ابو خيرة الاعرابي ، في كتابه الموسوم بـ « الصفات »(٩) . ومن المؤلفات في هذا اللون من المعجم العربي :(١٠)

١ ـ الغريب المصنّف : المسعودي (١٧٥هـ / ٧٩٢م) .
٢ ـ الغريب المصنّف : القاسم بن سلاّم (٢٢٤هـ/٨٣٩م) .
٣ ـ كتاب الالفاظ : ابن السكّيت (٢٤٤هـ / ٨٥٨م) .
٤ ـ جواهر الالفاظ : قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ / ٩٤٨م) .

---

(٩) ينظر : المعجم العربي نشأته وتطوره : د. حسين نصار ـ ط (٢) القاهرة ١٩٦٨م : ص (٢٠٦) . وتنظر ترجمة ابي خيرة الاعرابي في : إنباه الرواة على انباه النحاة : القفطي . تحـ : محمد ابو الفضل ابراهيم . القاهرة ١٩٥٠ـ١٩٧٣م : ٤/١١١ـ١١٢ والمصادر الاخرى في هامش ص (١١١).

(١٠) المعاجم المذكورة معظمها مشهور مطبوع متداول . اما غير المطبوع فثلاثة : الغريب المصنف للمسعودي ، والغريب المصنف للقاسم بن سلام ، والعالم في اللغة لاحمد بن أبان الاشبيلي . ينظر عن هذه الكتب :معجم المعاجم : ص (١٤١ـ١٤٣) ، ص (١٥١) .

٥ ــ العالم في اللغة : أحمد بن أبان الاشبيلي (٣٨٢هـ/٩٩٢م) •
٦ ــ متخير الالفاظ : احمد بن فارس (٣٩٥هـ / ١٠٠٤م) •
٧ ــ التلخيص في معرفة اسماء الاشياء : العسكري (بعد ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م) •
٨ ــ فقه اللغة وسر العربية : الثعالبي (٤٢٩هـ / ١٠٣٨م) •
٩ ــ المخصص : ابن سيده (٤٥٨هـ / ١٠٦٦م) •
١٠ ــ نظام الغريب : الربعي (٤٨٠هـ / ١٠٨٧م) •

و « المخصّص » لابن سيده ، في هذا اللون من المعجم العربي ، هو اضخم المعاجم ، واوعبها للمادة المعجمية • قال فيه الدكتور حسين نصار : « ورأى النصف الاول من القرن الخامس [الحادي عشر الميلادي] الكتاب الذي توّج هذا النوع من الكتب ، وسما به الى القمة ؛ اذ ألّف علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده (٤٥٨هـ) موسوعته « المخصّص » في ١٧ سفرا كبيرا »(١١) • ووصفه وجدي رزق غالي بقوله : « اضخم المعاجم العربية للمعاني ؛ اذ يحوي كتاب الغريب المصنّف لابي عبيد القاسم بن سلام ، والكتب التي ظهرت معه او بعده ، ولم يطلع عليها ابو عبيد • رتب ترتيبا موضوعيا في ابواب عدّتها ١٧ بابا ، يسميها كتبا ، ويتعلق كل كتاب بموضوع ، له تقسيماته الفرعية • وهو بهذا يبدأ في موضوعاته بالاعم فالاخص ، ويعطي في كل قسم ألفاظ موضوعه ومسمياته »(١٢) •

القسم الثاني : معاجم الالفاظ

وهي المعاجم التي تعتمد اللفظ اساسا ، ثم تجمع ما يخصّه من المعاني في موضع واحد • فاذا كان في ذهن مستعمل المعجم لفظ معين ، واراد معرفة ما يخص ذلك اللفظ من المعاني ، فانه ــ والحالة هذه ــ يلجأ الى هذا القسم من المعاجم •

---

(١١) المعجم العربي (نصار) : ص (٢١١) •
(١٢) المعجمات العربية : ص (٥٢) •

لقد اتبّعت معاجم الالفاظ في العربية طرائق متنوعة في ترتيب موادّها اللغوية ، وتقوم تلك الطرائق على اسس تتعامل معها تلك المعاجم تعاملا متنوعا . وهذه الاسس هي :

١ ــ كيفية ترتيب الحروف .
٢ ــ تعيين الحروف الاصلية .
٣ ــ أبنية الالفاظ .
٤ ــ تقليب الالفاظ .

إنّ هناك ترتيبين لحروف العربية ، اعتمدتهما معاجم الالفاظ فيها،وهذان الترتيبان هما :

اولا ــ الترتيب الهجائي (الألفبائي)[١٣] : ويعود هذا الترتيب الى القرن الهجري الاول (السابع الميلادي) ، ومبتكره هو نصر بن عاصم الليثي (٨٩هـ/٧٠٧م) ؛ اذ رتّب الحروف على هذا النحو ، (وهو الترتيب المشهور) :

أ ــ ب ــ ت ــ ث ــ ج ــ ح ــ خ ــ د ــ ذ ــ ر ــ ز ــ س ــ
ش ــ ص ــ ض ــ ط ــ ظ ــ ع ــ غ ــ ف ــ ق ــ ك ــ
ل ــ م ــ ن ــ هـ ــ و ــ ي .

ثانيا ــ الترتيب الصوتي[١٤] : ويعود هذا الترتيب الى القرن الهجري الثاني

---

(١٣) ينظر : المعجم العربي بين الماضي والحاضر : د. عدنان الخطيب . معهد البحوث والدراسات العربية ــ ١٩٦٦/١٩٦٧ : ص (١٩) ، ص (٢٢ ــ فما بعدها) . وتنظر ترجمة الليثي في : إنباه الرواة : ٣/٣٤٣ــ٣٤٤ . والمصادر الاخرى في هوامش الصفحتين المذكورتين .

(١٤) ينظر : العين : الخليل بن احمد الفراهيدي . تحـ : د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي . نشر وزارة الثقافة والاعلام العراقية ــ ١٩٨٠م : ٤٨/١ .

(الثامن الميلادي) ، ومبتكره هو الخليل بن احمد الفراهيدي (١٧٥هـ/٧٩٢) ؛ اذ رتّب الحروف على النحو الآتي :

ع ــ ح ــ هـ ــ خ ــ غ ــ ق ــ ك ــ ج ــ ش ــ ض ــ ص ــ
س ــ ز ــ ط ــ د ــ ت ــ ظ ــ ذ ــ ث ــ ر ــ ل ــ ن ــ ف ــ
ب ــ م ــ و ــ ا ــ ي ــ ء .

ولئن كان ترتيب الليثي قائما على التنسيق بين صور الحروف المكتوبة ، لقد كان ترتيب الفراهيدي قائما على اساس آخر ، هو الاساس الصوتي . فقد رُتّبت الحروف فيه بحسب ترتيب المخارج الصوتية في جهاز النّطق، ابتداءً من الحلق وانتهاءً بالشفتين .

إنّ معاجم الالفاظ في العربية اعتمدت الترتيبين ، الهجائي والصوتي ؛ فمنها السائرة على هـذا ، ومنها السائرة على ذاك . وفيما يأتي مناهج تلك المعاجم :

اولا ــ معاجم الترتيب الصوتي :

سارت هذه المعاجم على الترتيب الصوتي ، المذكور آنفا ، والذي ابتكره الخليل في معجمه « العين » . واشهر هذه المعاجم :

١ ــ العين : الفراهيدي (١٧٥هـ / ٧٩٢هـ) .
٢ ــ البارع في اللغة : القالي (٣٥٦هـ / ٩٦٧م) .
٣ ــ تهذيب اللغة : الازهري (٣٧٠هـ / ٩٨٠م) .
٤ ــ مختصر العين : الزُّبيدي (٣٧٩هـ / ٩٨٩م) .
٥ ــ المحيط : الصاحب (٣٨٥هـ / ٩٩٥م) .
٦ ــ المحكم والمحيط الاعظم : ابن سيده (٤٥٨هـ / ١٠٦٦م) .

على ان القالي في معجمه « البارع » قد رتب الحروف على هذا النحو :(١٥)

ء ـ هـ ـ ع ـ ح ـ خ ـ غ ـ ق ـ ك ـ ض ـ ج ـ ش ـ ل ـ
ر ـ ن ـ ط ـ د ـ ت ـ ص ـ ز ـ س ـ ظ ـ ذ ـ ث ـ ف ـ
ب ـ م ـ و ـ ا ـ ي •

لقد قسّم الخليل ، ومن بعده معاجم هذه المدرسة ، المعجم بحسب الحروف ، ثم وزع ألفاظ الحرف الواحد بحسب الابنية ابتداءً من الثنائي وانتهاءً بالخماسي • واعتمد الحرف الاصلي ، وهذا يقتضي حذف الزائد من الحروف في الكلمة ، وإعادة المحذوف اذا كان حرفا اصليا ، وإعادة الحرف الى اصله اذا كان منقلبا عن غيره • وكانت غاية الخليل في معجمه « العين » حصر كلمات العربية (على ما مضت الاشارة اليه في هذا البحث) ومن هنا اتجه الى التقليب ، فالبناء الثنائي يأتي بصورتين ، والثلاثي بست ، والرباعي بأربع وعشرين ، والخماسي بعشرين ومائة • وهكذا اتبعت معاجم هذه المدرسة الخليل في السير على فكرة التقليب ، بل سار عليها معجم « جمهرة اللغة » لابن دريد (٣٢١هـ/٩٣٣م) وهو من غير معاجم هذه المدرسة •(١٦)

وعلى ما تقدم نجد أنّ المعجم ، في هذه المدرسة ، مقسم على الحروف، وأنّ الحرف مقسّم على الابنية ، وأنّ الالفاظ التي يضمها البناء الواحد هي المؤلفة من الحروف الاصلية التي اولها هو الحرف الذي يعود البناء اليه • اما ترتيب تلك الالفاظ تحت البناء الواحد فقد اقامه الخليل ، ومن بعده معاجم هذه المدرسة ، على اساس معاملة الحرف مع ما يليه • فلو نظرنا ـ مثلا ـ

---

(١٥) ينظر : البارع في اللغة : ابو علي القالي . تحـ : هاشم الطعان . بيروت ـ ١٩٧٥م : ص (٧١) من المقدمة .

(١٦) ، (١٧) : مطبوع متداول .

في حرف « الجيم » من معجم الخليل لرأيناه مقسما بحسب الابنية واولها هو الثنائي • ففي هذا البناء نجد الجيم هو الحرف الاول اما الثاني فهو الحرف الذي يلي الجيم في الترتيب الصوتي ، وهو الشين ، فاذا انتهى من تأليف الجيم مع الشين (جش) وذكر المقلوب (شج) انتقل الى تأليف الجيم مع الحرف الذي يلي الشين وهو الضاد ••• وهكذا حتى نهاية الحروف في الترتيب الصوتي • اما الحروف الفائتة اي التي سبقت الجيم (وهي : ع ــ ح ــ هـ ــ خ ــ غ ــ ق ــ ك) فلا حاجة تدعو الى معاملة الجيم معها ؛ لان تلك المعاملة قد وقعت سابقا ، بمقتضى فكرة التقليب ، حين عومل العين مع الجيم ، فاقتضى القلب معاملة الجيم مع العين ،••• وهكذا الحروف البواقي • وعلى هذا المنهج سارت معاجم المدرسة الصوتية •

ثانيا ــ معاجم الترتيب الهجائي :

سارت هذه المعاجم على الترتيب الهجائي (الألفبائي) ، المذكور فيما تقدم ، والذي ابتكره نصر بن عاصم الليثي • وقد اشتهر اعتماد هذا الترتيب في المعاجم العربية ، بصور مختلفة ؛ وذلك لصعوبة الترتيب الصوتي ، وما بني عليه من مسالك الكشف عن اللفظ ، يقابل ذلك سهولة الترتيب الهجائي في الكشف عن اللفظ المراد •

ولقد تنوعت طرائق اعتماد الترتيب الهجائي في المعاجم العربية على النحو الاتي :

١ ــ ترتيب الالفاظ بحسب الحرف الاول من دون النظر الى بقية الحروف • ويمثل هذا الترتيب ابو عمرو الشيباني (٢٠٦هـ/٨٢١م) في معجمه « الجيم » •(١٧)

٢ ــ ترتيب الالفاظ بحسب الحرف الاول ، ثم اعتماد هذا الترتيب بالنظر الى بقية الحروف : الثاني والثالث ••• الخ • ويمثل هذا الترتيب محمد بن

تميم البرمكي (من علماء القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) في معجمه « المنتهي في اللغة » •[18] وقد اخذت بهذا الترتيب معاجم مشهورة قديمة منها :[19]

اساس البلاغة للزمخشري (٥٣٨هـ/١١٤٤م) ، والمصباح المنير للفيومي (٧٧٠هـ/١٣٦٨م) • كما شاع هذا الترتيب في العصر الحديث ، واخذت به المعاجم العربية الحديثة منها : محيط المحيط للبستاني (١٣٠١هـ/١٨٨٣م) واقرب الموارد للشرتوني (١٣٣٠هـ/١٩١٢م) ، والمنجد لليسوعي (١٣٦٥هـ/١٩٤٦م) والمعجمان : الوسيط ، والكبير لمجمع اللغة العربية بالقاهرة •

٣ ــ ترتيب الالفاظ بحسب الحرف الاول ، ثم معاملة الحرف الاول مع ما يليه (بحسب الترتيب الهجائي) • وسبق في هذا البحث ان طريقة الحرف وما يليه قد ظهرت اول مرة في معجم « العين » للخليل (بحسب الترتيب الصوتي) • على ان هناك فرقاً بين الحالتين يتمثل في ان الخليل لا يعود الى الحروف الفائتة ــ على ما تقدم بيانه ــ وذلك بسبب اخذه بالتقليب، اما في الحالة الهجائية التي نحن بصددها فان التقليب غير معتمد ، وعليه لابد من العودة الى الحروف الفائتة ابتداءً من اولها وهو « الهمزة » • ويمثل هذه الطريقة احمد بن فارس (٣٩٥هـ/١٠٠٤م في معجميه[20] : « مقاييس اللغة » و « مجمل اللغة » •

٤ ــ تقسيم المعجم بحسب الابنية (الثنائي ــ الثلاثي ــ الرباعي ــ الخماسي)، ثم ترتيب الالفاظ داخل البناء الواحد ترتيبا هجائيا بحسب الحرف الاول

---

(١٨) ينظر : معجم المعاجم : ص (٢٤٥ــ٢٤٦) .

(١٩) ، (٢٠) ، (٢١) : المعاجم المذكورة مشهورة ، وهي مطبوعة متداولة ، عدا « مجمل اللغة » فقد طبع منه الجزء الاول فقط .

ثم معاملة الحرف الاول مع ما يليه ، والاخذ بالتقليب ، مما يغني عن العودة الى الحروف الفائتة • ومن الواضح هنا أن هذه الطريقة تختلف عن طريقة الخليل في « العين » ، كما تختلف عن طريقة احمد بن فارس في « مقاييس اللغة » و « مجمل اللغة » • فهي تختلف عن « العين » في انها تعتمد الترتيب الهجائي ، اما « العين » فيعتمد الترتيب الصوتي • وتختلف عن « المقاييس » و « المجمل » في انها تأخذ بالتقليب ، اما هما فلا يأخذان به ، مما حداهما على العودة الى الحروف الفائتة ، في حين لا حاجة الى تلك العودة في هذه الطريقة التي نحن بصددها • كما انها تختلف عن منهج الخليل وابن فارس في انها تقيم المعجم على اساس الابنية ، اما « العين » و « المقاييس » و « المجمل » فقد اقيمت على اساس الحروف • ويمثل هذه الطريقة ابن دريد (٣٢١هـ/٩٣٣م) في معجمه « جمهرة اللغة » •

إنّ المعاجم التي تمثّلها الفقرات الاربع المذكورة آنفا قد التزمت الترتيب الهجائي بالنظر الى الحرف الاول من اللفظ ، ثم تنوع الترتيب ، من بعد ، على النحو الذي مرّ في تلك الفقرات • بيد ان هناك معاجم اخرى التزمت الترتيب الهجائي بالنظر الى الحرف الاخير من اللفظ (فحرف الهمزة ــ مثلا ــ يضم الالفاظ المختومة بالهمزة) • وتسمى هذه الطريقة « التقفية » ، او « القافية » ، على ما هو مبين في الفقرات الثلاث الاتية :

١ ــ ترتيب الالفاظ بحسب الحرف الاخير ، من دون النظر الى الحرف الاول وترتيبه • ويمثل هذه الطريقة البندنيجي (٢٨٤هـ/٨٩٧م) في معجمه : « التقفية من اللغة »[٢١] وهو معجم وصل الينا في هذا العصر • وقد نقل صاحب « معجم المعاجم » عن كتاب « الفهرست » لابن النديم (٣٨٥هـ/٩٩٥م) ان لابن قتيبة (٢٧٦هـ/٨٨٩م) كتاب « التقفية » ،

وصفه ابن النديم بقوله : « وهو اكبر من كتاب البندنيجي ، واحسن من كتابه » ، مبينا انه قد اطلع على ثلاثة اجزاء منه .[٢٢]

٢ ــ تقسيم المعجم على الابنية ، ثم ترتيب الالفاظ داخل البناء الواحد بحسب الحرف الاخير ، ثم ترتيب تلك الالفاظ التي تخص ذلك الحرف الاخير بحسب الحرف الاول . ويمثل هذه الطريقة الفارابي (٣٥٠هـ/٩٦١م) في معجمه : « ديوان الادب »[٢٣] .

٣ ــ ترتيب الالفاظ بحسب الحرف الاخير ، وتسميته « بابا » ثم ترتيب تلك الالفاظ التي تخص ذلك الحرف الاخير بحسب الحرف الاول ، وتسميته « فصلا » . ويمثل هذه الطريقة الجوهري (٣٩٣هـ/١٠٠٣م) في معجمه: « تاج اللغة وصحاح العربية » المعروف باسم « صحاح الجوهري »[٢٤]. وقد اخذت بهذا الترتيب معاجم مشهورة قديمة ، منها :[٢٥] « لسان العرب » لابن منظور (٧١١هـ/١٣١١م) و « القاموس المحيط » للفيروزأبادي (٨١٧ هـ / ١٤١٤م) وشرحه : «تاج العروس» للزّبيدي (١٢٠٥هـ/١٧٩١م) .

إنّ الترتيب التقفوي في « ديوان الادب » للفارابي هو ما اتبعه الجوهري في « صحاحه » على ما يتضح مما مرّ آنفا ، وفي هذا يقول الدكتور حسين نصار : « وذلك النظام نفسه هو الذي اتبعه الجوهري ، ابن اخت الفارابي ، في « صحاحه » ، واشتهر بأنه مبتكره وهي غلطة شائعة يجب تصحيحها »[٢٦].

واذا نظر الباحث الى معاجم الترتيب الهجائي المبيّنة طرائقها في الفقرات السبع الواردة فيما تقدم (الفقرات الاربع ثم الفقرات الثلاث) وجد انهـا

(٢٢) معجم المعاجم : ص (٣٢٣) .
(٢٣) ، (٢٤) ، (٢٥) : المعاجم المذكورة مشهورة ، وهي مطبوعة متداولة .
(٢٦) المعجم العربي (نصار) : ص (١٩٨) .

تختلف من حيث الاخذ بالابنية • ذلك ان منها مالم يتعامل مع الابنية اصلا • وهذا ما يخص معاجم الترتيب الهجائي التي تعبر عنها ، من الفقرات الاربع ، الفقرتان الاولى والثانية ، وكذلك تعبر عنها الفقرتان : الاولى والثالثة من الفقرات الثلاث • اما المعاجم التي تعاملت مع الابنية فعلى منهجين :

الاول ــ تقسيم المعجم بحسب الابنية ، ثم اعتماد الترتيب الهجائي داخل البناء الواحد • وهذا ما تعبر عنه الفقرة الرابعة من الفقرات الاربع ، والفقرة الثانية من الفقرات الثلاث •

الثاني ــ وهو ما يخص الفقرة الثالثة من الفقرات الاربع • وفيها يقسم المعجم على الحروف ، ويقسم الحرف على الابنية ، ثم يعتمد الترتيب الهجائي القائم على معاملة الحرف مع ما يليه في كل بناء من ابنية الحرف الواحد •

تلك طرائق الترتيب الهجائي في معاجم ذلك الترتيب • وقد التزمت هذه المعاجم بالحروف الاصلية للكلمة ، كما هو الحال في معاجم الترتيب الصوتي ، وما يستلزمه ذلك من حذف الزائد ، وردّ المحذوف ، والعودة الى اصل الحرف المنقلب عن غيره • ومن النادر ان يأخذ معجم في المدرسة الهجائية هذه بالكلمة على ما هي عليه ، من دون اعتماد الحروف الاصلية • ومن تلك المعاجم التي اخذت بالكلمة على ما هي عليه معجم « الجيم » للشيباني (٢٠٦هـ/ ٨٢١ هـ) ومعجم «النهاية في غريب الحديث والاثر » لابن الاثير (٦٠٦هـ / ١٢١٠م) • اما التقليب ، وهو من منهج المدرسة الصوتية ، فقد اخذ به ابن دريد (٣٢١هـ/٩٣٣م) في معجمه « جمهرة اللغة » ، على ما تقدم به البيان •

ذلك هو المعجم العربي ، مادة ومناهج ، في منظور عام ، حاول هذا البحث ان يرسم صورة شاملة لمادته المتسعة ، ومناهجه المتنوعة ، وما قامت عليه من اسس علمية رصينة ، وما دلت عليه من براعة وتدقيق •

سمات المعجمات اللغوية العربية
وخصـــائصها المنهجيــة

أ.د. رشيد عبدالرحمن العبيدي
جامعة صدام للعلوم الاسلامية

الملخـص

هذا الموضوع يكشف عن السمات والخصائص المنهجية التي تميز بهـا المعجم العربي ، خلال عصور التأليف اللغوي عند علماء العربية ، منذ بـــدء التفكير في وضــع معجــم عربي يضــم مفردات اللغـــة العربية وتفســيرها ، والاستشهاد بكلام العرب نثره وشعره : في توضيح دلالات الكلمات العربيــة وضعا وسياقا . ومن المعلوم ان ابن عباس قد وضع اللمسات الاولى للمعجـم العربي حين كان يسأل عن مفردات القرآن الكريم ، ويطلــب منه إعطـــاء دلالاتها ، والشواهد التي وردت في لسان العرب في استعمالها ، ثم تلت ذلك عملية تأليف اول معجم عربي في القرن الثاني الهجري ، وهو الجيم لابي عمرو الشيباني (٢١٠هـ) ومعه او بعده كتاب العين للخليل بن احمــد الفراهيدي : (١٧٥هـ) ، ثم تلت هذين المعجمين مجموعة من المعجمات العربية ــ على وفــق مناهج معجمية مختلفة ــ كمدرسة الالفبــاء ، ومدرسة المخارج الصــوتية ، ومدرسة الموضوعات والمعاني ، كالتقفية للبندنيجي : (٢٨٤هـ) ، والجمهــرة لابن دريد : (٣٢١هـ) والصحاح للجوهري (٣٩٨هـ) وغيرها من معجمـــات الالفباء ، وكالتكملة للخارزنجــي (٣٢٥هـ) والحصائل للبخــاري (٣٤٥هـ)

والتهذيب للازهري : (٣٧٠هـ) وغيرها من معاجم مخارج الاصوات ، وكالغريب المصنف لابي عبيد : (٢٢٤هـ) والمخصص لابن سيده : (٤٥٨هـ) وغيرهما من معجمات المعاني والموضوعات •

ولقد كان المعجمي العربي يحاول في منهجه الابداع والجدة في منهجيته وخطة رسم معجمه ، فلا يرى القارىء اتفاقا في اصول هذه المعجمات • وطرائق التفسير ، ونظام ترتيب المواد ، بل يجد ان لكل مؤلف اسلوبه الخاص ، ونهجه المتميز • كما يدل على انّ الاصالة والابتكار سمة مميزة لكل واحد منهم ، فاذا كان الخليل قد وضع معجمه مرتبا على المخارج ، مع تقليب المواد ، والاشارة الى المهمل والمستعمل من كلام العرب ، فقد اخذ ابن دريد (بالالفباء) ، واكد فكرة التقليب ، ووضع ابن فارس كتابه على (الالفباء) ولكنه سار على منهج في ترتيب المواد ، لم يتبعه فيه احد من بعده ، ولا كان مسبوقا به •

وهكذا كان المعجم العربي يمثل صورة حيّة صادقة عن تفكير عربي اصيل لا تقليد فيه ، ولا كان متأثرا بما للامم الاخرى من تأليف في هذا المضمار •

تمهيـــد :

المعجم اللغوي تصنيف لغوي يتميز من سائر التصنيف اللغوي عنـــد الباحثين العرب بانه وعاء يحصر في داخله مفردات اللغة ، وتفسير دلالاتهـــا العرفية والاجتماعية والسياقية عبر عصور الاستعمال حتى نهاية القرن الرابع الهجري الذي يعده الباحثون منطلقا لفساد الالسنة العربية ، وبدء التوليـــد والاستحداث ، بتأثير الاختلاط والاحتكاك بالامم غير العربية • ودخـــول الغريب والمـُعـَرَّب وما يجري مجراها في اللسان العربي •

ومنذ تنبـّه العربي الاول على لغة القرآن الكـريم ، والمفـردات التـي استعملها كتاب الله ، والدلالات التي تضمنتها الاستعمالات القرآنية ، بـين الحقيقة والمجاز والمعاني البعيدة ، والمعاني القريبة ، وغرابة اللفظ ، وندرته او شيوعه الى غير ذلك من الوجوه والصور ، كانت هناك نزعة قوية في نفوس المعنيين بلغة الكتاب العزيز لمعرفة اسرار تلك الاستعمالات ، وضبط صـــور الدلالات ، وكشف حقيقة الاغراض التي هدف اليها اللفظ القرآني من جهـة التعبير وما يحمل من معان ودلالات من جهة اخرى •

فقد وقف الصحابة الاوائل على جملة كبيرة من المفردات القرآنية لـــم يألفوها في اســـتعمالاتهم اليومية ، كلفـظ (فاطـر) و (فاكهة) و (أب) و (ضيزى) و (جاهلية) وغيرها ، حتى اننا لنجد ابن عباس (رضي الله عنه) يقول : ماكنت اعرف فاطر السماوات والارض حتى اتى اعرابيان مختصمان

في بئر فقال احدهما : (انا فطرتها) ، أي : أنا ابتدأت حفرها[١] ، ومن هنا عرف اللغويون هذا المعنى وتداولوه في تفسيراتهم اللغوية ، فقال ثعلب : سمعت ابن الاعرابي يقول : انا اول من فطر هذا ، اي : ابتدأه .... والفطرة ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به .[٢]

وكان الحديث النبوي يحتمل جانبا آخر من جوانب الطرافة والندرة في مفردات اللغة واستعمالاتها وتراكيبها ، من نحو قوله صلى الله عليه وسلم [خضراء الدمن] وقوله صلى الله عليه وسلم [كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يُهَوِّدانه او يُنَصِّرانه او يُمَجِّسانِه ....] . وغيرهما مما دعا الصحابة (رضوان الله عليهم) ، ومن وليهم من التابعين ـ رحمهم الله ـ يتابعون التفتيش عن المعاني واختلافها وتنوع وجهاتها الدلالية ، ففي مادة (خضر) في المعجمات جملة كبيرة من دلالة (خضراء) ، ففيها معنى اللون بين الحوة والحتمة ، ومعنى الغضاضة والنعمة الهنيئة واللون الضارب الى السواد ، وعبر عنه القرآن بقوله تعالى : « مدهامتان »[٣] فقال المفسرون : خضراوان ، لانهما يضربان الى السواد من شدة الري ـ والخضراء ، أي السواد المظلم ـ والخضراء البقول والثوم والبصل والكراث والنبات والمنبت ... وغيرها من الدلالات التي تحملها اللفظة[٤].

وكذلك نال حديثه صلى الله عليه وسلم [كل مولود يولد على ...] ،اهتماما كبيرا من اللغويين والمعجميين ، فتناولوا لفظ (فطرة) و « يهود » و « ينصر »

(١) اللسان (فطر) : ٦/٣٦٢ .
(٢) اللسان : (فطر) ، والتاج : (فطر) .
(٣) الرحمن : الآية /٦٤ .
(٤) ينظر : الصحاح (خضر) واللسان (خضر) .

و « يمجس » ومدلول الحديث جملة ، واختلفت اتجاهات المفسرين والمعنيين بلفظة الحديث في تفسير المفردات الواردة فيه ، حتى غطت مساحات كبيرة من معجمات اللغة ، فضلا عن كتب غريب الحديث(٥).

لقد كان للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، واحاديثه صلى الله عليه وسلم تأثير كبير في تنشيط الفكر اللغوي عند معاصري النبي الكريم ولاسيما صحابته ومن تبعهم ، إذ ظهر حرصهم على بقاء اللسان العربي سليما نقياً من الزلل والخطأ واللحن في القرآن الكريم ، وفي محاوراتهم وكلامهم امام النبي صلى الله عليه وسلم ولقد أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نبّه متكلما امامه زلّ في تعبيره ، فقال لصحابته [ارشدوا اخاكم فقد ضلّ](٦) . وكانت الامة قد اقتدت بهذا التوجيه ، وجعله شريعة يؤتى بها ، فقامت حكما ترصد ألسنة الناس ، وتقوّم كلامهم ، وتعدِل ما يقعون فيه من زيغ وخطأ في التعبير ، ولحن في كتاب الله ــ سبحانه ــ فكانت هذه البوادر الاولى للدرس اللغوي ، وهي بوادر تتصل بالقرآن والحديث ، وتنطلق من لغتهما ، والحرص على التزامهما لسانا عربيا فصيحا بعيدا عن الزلل واللحن والخطأ ، لان ذلك قد يؤدي الى الكفر والضلالة ، كما حصل لذلك القارىء الذي جر لفظ (رسوله)(٧) من قوله ــ تعالى ــ « ... أن الله بريء منَ المشركين ورسولُه »(٨) وحقه ان يُرْفَع أو يُنصَبَ بحسب سلامة التعبير القرآني وأصول اللغة .

ومن هنا كانت اقوال الصحابة وتابعيهم في هذا المضمار ، تمثل بدء التفكير اللغوي في الدراسات اللغوية العربية ، والارهاصات الاولى لنشأة

---

(٥) انظر الحديث في الفائق : ٣/١٢٦–١٢٧ . وانظر الفائق (فطر) و (مجس) والنهاية (فطر) والمحكم (فطر) واللسان (فطر) ٦/٣٦٣–٣٦٥ (بولاق) .

(٦) الخصائص : ٢/٨ ومعجم الادباء : ١/٨٢ (ط مار جليوث) .

(٧) انظر : لغة الضاد ج٢/١٣٧ سنة ١٩٩٦م .

(٨) التوبة / ٣ .

علم اللغة في تاريخ التأليف اللغوي والبحث في اللغة ، وقد اثر عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قوله : (تعلموا الفرائض والسنن واللحن ، كما تعلمون القرآن) ، قال القالي : (واراد باللحن : اللغة[٩] وهو رأي الاصمعي). ونقلت لنا كتب الاخبار والادب والتراجم اقوالا جمة في الحث على الاهتمام بالعربية وألفاظها واساليبها وتعلم قواعدها ، نسبوها الى الخلفاء الراشدين الاربعة والى الصحابة — وغيرهم — كأبن عباس وعائشة وابن مسعود وغيرهم[١٠].

كانت هذه الاهتمامات الواضحة من مسؤولي الامة العربية ، وأساليبها وتراكيبها وصحة النطق بها مدعاة الى توجه المعنيين بها الى مشافهة اهل اللغة ، والناطقين بها وتوخي الفصحاء منهم ، ليوازنوا بين ما جاءهم به القرآن الكريم من لغة الاعجاز ، وما تكلم به النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وهو يعيش بين ظهرانيهم — من المجازات البارعة ، والاستعمالات الجديدة ، والفصاحة العالية وهو القائل عليه الصلاة والسلام : [أنا أفصح العرب بيد اني من قريش ، وأني رَبيتُ في بني سعدِ بنِ بكرٍ ، فأنّى لي اللحنْ] .. هذا من جهة وبين ما يتكلم به العرب في بواديهم ، وما ينظمون من شعر ، وما يتداولون به من حوارات تنم عن حسن تصرف بلغتهم واساليبها البلاغية المتنوعة من جهة اخرى ، وذلك ان القرآن الكريم قد تحدى فصحاءهم ، ومصاقع خطبائهم ، وامراء البيان فيهم بان يأتوا بسورة من مثله او بعشر سور مفتريات ، فلم يجدوا بدّاً من التسليم له والاعتراف بعلو مقداره وبلاغته المعجزة فلما لم يستطيعوا على محاكاته ، قال تعالى : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثلِ هذا القرآنِ لا يأتونَ بمثلهِ ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » [سورة الاسراء : ٨٨] .

(٩) الامالي : ١/٥ (ط : دار الكتب) .
(١٠) ينظر : طبقات الزبيدي : ص ٣ فما بعد ونور القبس ٢ — ٣ والطبري ٣ / ١٢٩ .

والتحدي كان من القرآن لابناء الجزيرة الفصحاء منهم والبلغاء ، ولم يتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه مثل هذا الموقف القرآني ، بل كان يظهر قدرته التعبيرية وفصاحته المثالية امام اصحابه ، فيعجبون بفصاحته ويسلمون له ببلاغة الكلمة ، وعلو الكعب في اسلوبه ، ولذلك لم يجرب عليه لحن ، ولم ينتبه احد على خروج عن اصول الكلام العربي ، او المخالفة لما عليه جمهور العرب من صحة التركيب وجمال الاسلوب ، وبلاغة التعبير وصور المجازات ، ومن هنا كان الباحث العربي قد شغل بلغة القرآن يقابلها بلغة فصحاء العرب ، ليجد الصلة بينها وبين القرآن الكريم ، وليدرك عناصر التحدي فيها للسان العربي ، ولم يكن التحدي يتجاوز العربي ولغته ، فليس للحديث النبوي مكان بين المتحدّي والمتحدّى ، ولذلك لم يلتفت الباحث العربي الى لغة الحديث ، ولم يعمد الى مقابلة النص الحديثي بالنص القرآني ، ولذلك ايضا لم يحاول اللغويون إدخال النص الحديثي في ضمن شواهدهم ، وادلتهم التي اعتمدوها فيما بعد بالدراسة النحوية[١١] ، فكثر لذلك الشاهد الشعري والشاهد المثلي ، وكلام الفصحاء ومحاوراتهم ، وقل الشاهد الحديثي ولم يعتمد إلا في رفد المعجم اللغوي بمفردات الحديث ، ودلالات الفاظه وغريبه ونادره ، وهذا هو السر في كون الشاهد الحديثي قليل الورود عند علماء النحو العربي[١٢] ، كأبن ابي اسحاق (١١٧هـ) وعيسى بن عمر (١٤٩هـ)، والخليل بن احمد (١٧٥هـ) وسيبويه (١٨٠هـ) ، وهذه الحالة هي التي تفسر لنا قلة ورود الحديث الشاهد في كتاب سيبويه ، اذ لم تتعد نصوص الحديث اكثر من سبعة احاديث .

ولكن المعجميين لم يهملوا النصوص الحديثية ، بل استكثروا من ايرادها مستفيدين من الفاظها ، وغرائبها ، وتفسير دلالاتها ومن هنا كانت كتب غريب الحديث مصادر مهمة لرفد المعجم العربي بالمواد اللغوية .

---

(١١) مقدمة كتاب : المعجم اللغوي التاريخي : فيشر ، ص ٨ .
(١٢) انظر كتابنا : الازهري في كتابه تهذيب اللغة ــ رسالة دكتوراه ــ ص ٣١٨.

ولقد توجه العربي الباحث الى البادية لملاقاة اهلها ، ورواية اللغة عنهم ، ومشافهتهم ، كما حفل العلماء الاوائل خلال القرن الثاني الهجري فدونوا اللغة في رسائل متنوعة ، وموضوعات مختلفة في الحيوان والنبات والانسان والطبيعة والجماد والانسان وعلاقته بظواهر الكون ، ومن خلال هذه الاهتمامات الاولية برزت ظواهر لغوية ، لم تكن مقصودة من الباحث اللغوي، ولم تكن من اهدافه المبدئية ، ولكنها فرضت وجودها واثبتت حضورها فيما جمع ودون من اللغة ويمكن رصد الظواهر الاولية من عمل جامع اللغة بما يأتي :

١ ــ تبين لديه ان القبائل العربية ليست سواء في معايير الفصاحة فهناك الفصيح ، وهناك الافصح ، وهناك الرديء والاردأ ، والغريب والنادر ، والكثير الشائع والقليل •

٢ ــ وتبين لديه ان ثمة لهجات مختلفة ، قد تتعاور المفردة الواحدة والصيغة والبنية ، وقد تختلف في التراكيب والجمل ووجوه الاعراب ودلالات الالفاظ ، والتبدلات الصوتية •

٣ ــ وتبين لديه ان ثمة مفردات تختلف ابنيتها وتتفق معانيها ، وهو ما عرفته العربية بـ (الترادف) •
وان ثمة مفردة واحدة ، تختلف معانيها ، وتتعدد دلالاتها ، وهو ما عرفته العربية بالمشترك اللفظي •
وان ثمة مفردة تحمل المعنى وضده ، وهو ما يعرف بالاضداد وان ثمة مفردات تحمل دلالات متباينة ، كالارض والسماء والرجل والمرأة •

٤ ــ وتبين لديه ان العربية لغة اشتقاق وتوليد ، فالمادة اللغوية تتعدد طرق الاشتقاق منها ، وتتنوع الصيغ بحسب مراد متكلم اللغة كالافعال ، وصيغ الاسماء ، والتجرد والزيادة وغير ذلك مما يسم اللغة بسمة التوسع والنماء في اصل كيانها •

٥ ـ وتبين لديه ان العربية تأخذ وتعطي ، كسائر اللغات الحية ، ففيها من المفردات ماهو غريب ، ودخيل ، ومعرب وان العربي استعمل مفردات وقعت اليه من لغات اخرى وان العربية اشتركت في مفردات وجدت في اصل مادتها اللغوية ، كما وجدت في لغات اخرى غير عربية ، وهذه الحالة نبهت الباحث اللغوي العربي على العناية بهذه الظاهرة ، وافراز ما كان عربيا اصيلا من فحص لغته ، وما كان دخيلا عربيا ، ومن هنا ـ ايضا ـ ظهر في البحث اللغوي ما عرف بالاعجمي والمعرب مما ادى الى استحداث طريقة التنقيح والتهذيب ، وتميز الفصيح من غير الفصيح، وكانت هذه المسألة شاغلة لاذهان المعجميين الاوائل ممن وضعوا كتب (غريب القرآن) و (غريب الحديث) و (نوادر اللغة) و (غريب اللغة)، كما كانت شاغلة علماء المعجمات العامة ، كالخليل حين وضع معجمه الكبير ، وسماه (العين) وكأنه يشير بهذا العنوان الى الاهتمام بـ (عين) اللغة ، ومحض الصحيح منها ، وكأبي عمرو الشيباني الذي وضع معجمه (الجيم)، وسماه بهذا الاسم، وهو يقصد الى معنى (الديباج الحسن)[١٣] وكتسمية ابن دريد (٣٤١هـ) كتابه (بالجمهرة) وهو يريد جمهرة لغة العرب ، وكتسمية القالي (٣٥٦هـ) كتابه (البارع) ، ويريد انه بارع في جمع الصحيح من اللغة ، ثم تسمية الازهري (٣٧٠ هـ) كتابه بـ (تهذيب اللغة)[١٤] ، ويعني به تهذيبها مما داخلها من الغريب والدخيل ، وما ليس من محض العربية .

وكتسمية البشتي الخارزنجي (ت ٣٤٨هـ) معجمه بـ (التكملة) قاصدا بها تكملة ما فات علماء المعجم من صريح اللغة وفصيحها ، وكتسمية ابي الازهر البخاري (٣٢٥هـ) كتابه بـ (الحصائل) يريد به تحصيل مالم يستطع تحصيله

---

(١٣) انظر : المزهر : ٤٦/١ والقاموس المحيط : ٩٤/٤ (الجيم) وتاج العروس (جيم) .

(١٤) انظر دراستنا عن تهذيب اللغة ـ رسالة دكتوراه ـ ص ١٠٤ فما بعد .

من كان قبله من اللغويين[١٥] . وسمى الجوهري (٣٩٨هـ) كتابه المعجمـــي بـ (الصحاح) قاصدا الى انه اورد فيه ما كان صحيحا من اللغة[١٦].

وكذا يقال في مجمل (اللغة) لابن فارس : (٣٩٥هـ) و (مقاييس اللغة) له ـ ايضـا ، و (المحيـط) في اللغة للصـاحب : (٣٨٥هـ) و (المحكـم) و (المخصص) وهمـا لابن سـيده : (٤٥٨ هـ) والموعـب لابـن التيانـي (٤٩١ هـ) حتى كان (لسان العرب) لابن منظـور (٧١١ هـ) و (القامـوس المحيط) للفيروزآبادي (٨١٧هـ) فـ (تاج العروس) للزبيدي : (١٢٠٥هـ) وغيرها ، وجميعها تضرب على وتر واحد ، وهو تنقية اللغة العربية من الدخيل والغريب كما يتضح ذلك من تسميتها ، او من مقدمات مثل هذه المعجمات .

فقد اشار الجوهري مثلا ـ الى خروجه الى البادية ليجمع الفصـيح والصحيح من كلام العرب ، وعمد آخرون الى جمع ما صح واشتهر من اللغة من معجمات من كان قبله ، يقول الفيومي (٧٧٠هـ) في (المصباح المنير) الذي شرح فيه غريب شرح الوجيز للرافعي : اضفت اليه زيادات من لغة غيره ، ومن الالفاظ المشتبهات ... وقيدت ما يحتاج الى تقييده بالفاظ مشهورة ، وجمعت اصله من نحو سبعين مصنفا مطولا ومختصرا)[١٧].

وحين وجد ابن منظور ان اصول المعجمات التي عنيت بالفصيح واهتمت بالصحيح من اللغة خمسة كتب ـ كما يرى ـ وهي: تهذيب الازهري ، وصحاح الجوهري ، والحواشي عليه لابن بري : (٥٨١هـ) ، و (المحكم) لابن سيده (٤٥٨هـ) و (النهاية) في غريب الحديث ، لابن الاثير : (٦٠٦هـ) عمد اليها ، وافرغها في كتابه (اللسان) ولم يحاول ان يضيف اليه شيئا من غيرهـا إلا تعليقاته الخاصة وجملة قليلة من الفوائد التي وقعت حواشيَ على الاصول نفسها او على بعض الكتب التي بين يديه ، وهو يشير خلال اللسان الى ذلك

(١٥) ينظر : معجم الادباء : ٤٧/١٧ ، وثمار القلوب للثعالبي : ٢٤٧ .
(١٦) انظر : معجم الادباء : ٩٩/١ .
(١٧) مقدمة المصباح المنير ، وانظر كشف الظنون ١٧١٠/٢ .

ويقيد ما ينقله باسم المحشيّ ، لكي لا يخلط القارىء بين اصل المواد التي استقاها من المصادر الاساسية والعبارات التي اضافها — على قلتها — من الحواشي ، ويصدر مثل تلك الحواشي بـ (قال محمد بن منظور) او (قلت : ورأيت حاشية ‎..‎) او ما اشبه ذلك .

ولعل ابرز ما ننبه عليه في هذا البحث هو ان المعجم العربي قد توزع منذ البداية على مناهج تأليفية مختلفة ، اصبحت فيما بعد مدارس ، وكان التوزيع المبكر هو :

١ — الموضوعات والمعاني ، كما نرى ذلك في عمل ابي عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ) في (الغريب المصنف) ، وسار على نهجه الثعالبي (٤٢٨هـ) في (فقه اللغة) وابن سيده في (المخصص) .

٢ — الالفباء ، كما ترى في عمل الشيباني (٢١٣هـ) في كتابه (الجيم) حين جعل صدر المادة اساسا ، و (التقفية) للبندنيجي : (٢٨٤هـ) متخذا قافية المادة اساسا ، ومن هذين الاساسين خرجت مدرسة الباب والفصل عند الفارابي (٣٥٠هـ) والجوهري (٣٩٨) ثم ابن منظور (٧١١هـ) ثم القاموس للفيروز (٨١٧هـ) ثم التاج للزبيدي (٢٠٥هـ) .

واخذ (بالالف باء) كذلك ابن دريد (٣٢١هـ) في جزء من منهجه وابن فارس في كتابيه المذكورين ، بطريقة فاذة لم يسبقه فيها احد ولم يسايره مَنْ بعده فيه . وتطورت هذه المدرسة عند الزمخشري (٥٣٨هـ) في (الاساس) والفيومي في (المصباح) . فكان منهجهما التزام الحرف الاول فالثاني فالثالث في الترتيب .

٣ — الطريقة الصوتية ، وهي التي نهض بها الخليل (١٧٥هـ) في (العين) وسايره من بعده جملة من علماء المعجم العربي ، وقد ذكرنا اسماءهم في ما مضى ، وكان آخرهم ابن سيده في (محكمه) ، والمهم في طريقة العين انه

وضع لنفسه منهجا كان اساسا لمدرسة معجمية اربعة قرون من بعده فقد اسس منهجه على :

١ ــ النظر في الثنائي والثلاثي وما فوق الثلاثي .

٢ الاخذ في التقليب : الثنائي الى مادتين : قرّ ورقّ ، والثلاثي الى ست ، فرد ــ فدر ــ رفد ــ درف ــ دفر ــ ردف والرباعي الى اربع وعشرين والخماسي الى مئة وعشرين وهكذا .

٣ ــ الاشارة الى المهمل والمستعمل في كلام العرب .

الاصالة في العمل المعجمي

تعد مصادر المعجم العربي تلك الرسائل اللغوية التي عمل اللغويون الاوائل على وضعها ومنهم مؤلفو المعجمات انفسهم ، فأبو عمرو الشيباني عمل على جمع اللغة ، ووضع الرسائل فيها ، ولكنه مع ذلك وضع معجما مهما يعد من اوائل المعجمات اللغوية العربية ان لم يكن اول معجم ، قبل (العين) للخليل بن احمد ، فقد وجد ابو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني بين يديه جملة من رسائل اللغة ، كما وجد الطريق ميسورا الى عمل فهرسة للمواد اللغوية التي جمعت لديه من سماعاته ومدوناته ومصادره الاخرى ، ملتزما الترتيب الالفبائي الذي وضعه النصر بن عاصم الليثي (٨٩هـ) ، وعمله هذا يعد عملا اصيلا مبتكرا لم يسبقه فيه احد ، فوضع كتاب الجيم ، يفسر فيه هذه المواد اللغوية ويستشهد لها بكلام العرب شعرها ونثرها .

ولقد اتسم عمله بشيء من النقص ، لانه جديد في بابه ، فقد اعتمد على الحرف الاول في الترتيب وفسر المادة تفسيرا لغويا صرفا بما ينقله فيها من كلام العرب دون ان يعنى بالجانب الحضاري لدلالة الالفاظ وتطورها .

اما الخليل فقد ابتدع منهجا جديدا فيه الشيء الكثير من الاصالة والابتكار ، وعلى الرغم من انه لم يستطع التخلص من الاتجاهات اللغوية الصرف في تفسير المواد ، فان معجمه (العين) لم يخل من الاشارات الحضارية التي تعكس حال اللغة عبر حياتها الطويلة من عصر فحولتها حتى وضعه المعجم.

ولقد حاول الخليل ان يتميز بنظام المخارج في ترتيب حروفه[١٨] وان يجد لنفسه منهجا رياضيا دقيقاً يبني عليه ابواب الكتاب وفصوله ، فجعل المواد على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي ، والتزم نظام التقليب الذي ينتج عنه في الثنائي مادتان ، وفي الثلاثي ست مواد ، وفي الرباعي اربع وعشرون مادة ، وفي الخماسي عشرون ومئة مادة[١٩] ، ثم سار في اول كل باب الى ما اهمل من المواد وما استعمل منها في كلام العرب ، وهذا النظام الرياضي لا ينطبق على اية لغة غير العربية .

وكان لمدرستي « الجيم والعين » اثر كبير في الحركة المعجمية خلال القرن الثالث ، ثم التي تلت ، غير ان المعجميين ، لم يجدوا محيصا من ان يضعوا لانفسهم ما يميز شخصياتهم ، ويطبع اعمالهم بطوابع مختلفة متنوعة ، تنم عن الاصالة التي يتمتع بها كل معجمي منهم .

فاليمان البندنيجي (٢٠٠هـ ــ ٢٨٤هـ) ، وضع كتابه (التقفية) معتمدا على (قافية المادة اللغوية المفسرة) مخالفا الشيباني ، في حين جعل الشيباني الترتيب الالفبائي أسلوبا له في ترتيب الابواب ولم يراع في ترتيب المواد الحرف الاول او الثاني للمادة اللغوية وان كان عمله في الجملة يدخل ضمن التأليف في انواع اللغة من المعجمات العامة .

---

(١٨) ادعى كاتب مادة (خليل) في دائرة المعارف ان الخليل قد تأثر في طريقة ترتيب الحروف بالسنكريتية ، وهو ادعاء لم يؤيده سند او نص .

(١٩) انظر مقدمة العين ، ومقدمة تهذيب اللغة للازهري . وما تقدم من هذا البحث .

وحين وضع ابن دريد (٣٢١هـ) كتابه الجمرة ، وجد في طريقة الخليل الرياضية دقة ، فاحتذى الخليل في الثنائي والثلاثي والرباعي ونظام التقليب ، وتفسير ما استعمل من المواد من كلام العرب ولكن شخصيته المتميزة ، واتجاهه العلمي الخاص فرض عليه ان يخالف الخليل في مسألة جوهرية من منهجه ، وهي : ترتيب الحروف على المخارج ، فهجر هذا الترتيب ، والتزم نظام (الالفباء) فكان كتابه (الجمهرة) متميزا بأسلوبه الخاص فضلا عن تميزه بكثير من المفردات والمواد والصيغ التي لم يوردها الخليل ولاسيما المفردات اليمانية .

وحاول المعجميون الذين قلدوا الخليل في منهجه ان ينفردوا بصفات علمية خاصة ، فوضع الازهري (٣٧٠هـ) (تهذيب اللغة) الذي حاول فيه ان يلتزم نظام الخليل بجملته ، إلا انه انفرد بأنه فصل المهموز عن المعتل ، وأودع كتابه سماعاته ونقوله من كتب العلماء ، واراءه الخاصة في اللغة ، وتمييز الغث من السمين ، وإخراج العربي الفصيح وفصله عن المعرب والدخيل ، ونقد العلماء ، فجاء (تهذيبه) بما يزيد على كتاب (العين) بخمسة اضعافه ، علما ولغة .[٢٠]

ووضع البشتي كتابه (التكملة) ليكمل فيه ما فات الخليل ، وابو الازهر البخاري (حصائله) ليحصل فيه ما فاته ايضا ، وتمييز كل واحد منهما بصفات لم يتميز بها الاخر .[٢١]

ويمكن ان يقال مثل ذلك في (بارع) القالي (٣٥٦هـ) و (محيط) ابن عباد (٣٨٥هـ) و (محكم) ابن سيده (٤٥٨هـ) . وعند ابن سيده تنتهي مدرسة العين ، ويختفي اثرها عند المعجميين .

---

(٢٠) انظر مقدمة تهذيب اللغة / ج١ .

(٢١) الازهري في كتابه : تهذيب اللغة : رسالة دكتوراه ، لكاتب البحث .

ويحاول الفارابي (٣٥٠هـ) في (ديوان الادب) والجوهري (٣٩٨هـ) في (الصحاح) ان يأتيا بطريقة جديدة في وضع المعجم العربي لم يسبقا اليها[٢٢] ، فيستفيدا من ترتيب الحروف على (الالفباء) ويلتزما نظام الباب وهو (قافية المادة) كما هي طريقة البندنيجي ، والفصل هو (صدر المادة) كما هي طريقة الشيباني ، وبهذه الطريقة المتميزة يظهر كتاب (الصحاح) ، ويغرق الجوهري في الدقة ، فيجعل للحرف الوسط من المادة مكانا في ترتيب مواد الفصل . وبذلك تصبح هذه الطريقة الفاذة في عالم المعجمات بدعا جديدا يحتذيه بعده جملة من المعجميين كالرازي (٦٦٠هـ) في (مختار الصحاح) والزنجاني في (تهذيب الصحاح) وابن منظور (٦٣٠هـ — ٧١١هـ) في (لسان العرب) والفيروزابادي (٨١٧هـ) في (القاموس المحيط) والزبيدي (١٢٠٥هـ) في (تاج العروس) .. ولكل من هؤلاء طريقته الخاصة المتميزة في تفسير المواد واستدراكاته ونقد اللغويين ، وتصويباته ، وتصحيح الخطأ ، والاعتماد على مفردات الحضارة والتراث ، حتى نكاد نستطيع ان نقول : إن بعض هذه المعجمات عنيت بألفاظ الحضارة اكثر من عنايتها ، بالتفسير اللغوي البحت ، كما ترى في (التاج) .

ولم يرق لمعجميين آخرين ان ينهجوا في معجماتهم منهج هذا وذاك ، فسنوا لانفسهم مناهج اخرى هي صورة جديدة من صور الاصالة ، والاعتداد بالشخصية فترى محمد بن تميم البرمكي يجرد (الصحاح) من (الباب والفصل ويسلك طريقة الترتيب الالفبائي بالنظر الى صدر المادة اللغوية ثم ما يليها ثم الحرف الثالث) ، وهي طريقة ميسرة سهلة تجنب الباحث في المعجم العربي اتعاب التفتيش والبحث الطويل ، اذ بطريقة البرمكي يمكن الاهتداء الى المادة اللغوية باسرع وقت ، لقد وجد المعجميون جدوى هذا المنهج فوضعوا معجماتهم على منواله ، فكان (اساس البلاغة) للزمخشري (٥٣٨هـ)

---

(٢٢) مقدمة الصحاح : الجوهري : ج١ والصحاح ومدارس . المعجمات لأحمد عبدالغفور عطار .

و (المصباح المنير) للفيومي (٧٧٠هـ) وغيرهما من معجماتنا التراثية تسلك هذا المنهج الميسر ، وسارت هذه الطريقة سيرورتها في معجماتنا المعاصرة ، فأخذ بها الشرتوني والبستاني ومعلوف ورشيد رضا ومحمد محي الدين وغيرهم في ترتيب (اقرب الموارد) و (معجم متن اللغة) و (المنجد) و (ترتيب اللسان) الجديد ... وغيرها .

ويعطينا ابن فارس (٣٩٦هـ) مثالا رائعا للاصالة وقوة شخصية اللغوي العربي ، حين يصنع كتابيه (المجمل) و (مقاييس اللغة)[٢٣] فيخالف بهما كل المناهج المعروفة للمعجميين اذ نراه يلتزم ترتيبا خاصا فذاذا ، فيجعل المواد ثنائيا في الخط ثلاثيا في الحقيقة ، والثلاثي ، والرباعي والخماسي ، ويتمسك بمراعاة الحرف الذي يعقد عليه الباب ثم الحرف الذي يليه في الترتيب الالفبائي فاذا مر على سائر الحروف حتى الياء ، بدأ بالهمزة فالباء فالتاء حتى يصل الى الحرف المعقود عليه الباب ، وهذه الطريقة تبدو عويصة للوهلة الاولى فاذا تعلمها مراجع المعجم يسهل عليه الاهتداء الى المادة اللغوية .

ولقد بقيت هذه الطريقة مسجلة باسم ابن فارس ولم يجاره فيها احد ممن جاء بعده .

ولم تقف مناهج المعجميين على الفهرسة والتبويب المعتمد على الحرف ، بل تعدت ذلك وضع اللغة في موضوعات ومعان ، كما هو الحال عند ابي عبيد (٢٢٤هـ) في كتابه : (الغريب المصنف) ، وابن سيده في كتابه (المخصص) وهذا النوع من مناهج المعجميين يدل على الموسوعية في تفكير اللغويين العرب والاصالة في منهج التأليف اللغوي عندهم ، وهذا النوع من التصنيف المعجمي يمكن ان يوضع في ما يعرف (بالحقول الدلالية) في العصر الحاضر .

---

(٢٣) طبعه عبدالسلام هارون طبعتين . وطبع من المجمل جزؤه الاول . وطبع بعد ذلك طبعة محققة بعناية زهير عبدالمحسن سلطان ، ونال به شهادة الماجستير تحت اشرافي من معهد الدراسات العربية .

وتميزت بعض المعجمات بالجانب الحضاري من اللغة ، فكانت هنـاك معجمات تعنى بالنبات ، واخرى بالحيوان ، وثالثة بالمعرب والدخيل ، ورابعة بألفاظ الفقه ، وخامسة بألفاظ الطب والصيدلة .. وهكذا .

وهذه المعجمات تصنف في باب (المعجمات الخاصة) التي لا تتنـاول عامة اللغة .

ولعل من ابرز هذه المعجمات كتاب : مفردات ابن البيطار في الفاظ الطب، وحياة الحيوان الكبرى للدميري ، ومختصر المزني في الفاظ الفقه الشافعي ، والمعرب للجواليقي ، والبلدان لياقوت الحموي ، وغيرها .

ان المعجم العربي لم يحتج الى جهد عقلي بقدر ما يحتاج الى الجهـد العضلي والوقت ، ومع ذلك فأن مناهج المعجميين واختلافهم تدل على استقلال عقل المؤلف العربي وقوة شخصيته ، وحبه للابداع والابتكار ، والاصـالة في عمـله .

معجم العلايلي
منهجه ومادته

د. عبدالله الجبوري
الجامعة المستنصرية – كلية الآداب

الملخص

ظهرت في العصر الحديث حركة لغوية اهتمت بتأليف معاجم لغوية تعتمد على (متن) اللغة العربية في القديم ، وتحاول الإفادة من المصطلحات العلمية والتقدم الحضاري لتقديم نتاجها المعجمي على وجه ينتفع به الناس حضاريا ولغويا .. ومن هؤلاء العلماء الذين كانوا يمثلون الحركة المذكورة آنفا ، الشيخ عبدالله العلايلي (١٩١٤–١٩٩٨) الذي اذاع بين الناس معجمين جديدين ، هما : المعجم (المجلد الاول ١٩٥٤) والمرجع (١٩٦٣ المجلد الاول ا – ج) ، وفي هذه الكلمة حاولت التعريف بهذين المعجمين وبالاسس التي سار عليها مؤلفهما .. مركزا على جهوده اللغوية في صناعته : (للمعجم) الذي كان من سمات النهج (العلمي) في تأليف معاجم اللغة .

في سنة (١٩٣٨) ظهرت الطبعة الاولى من كتاب :[١] « مقدمة لدراسة لغة العرب / ٢٥٠ص» للشيخ عبدالله العلايلي ، اودعها خلاصة تتبع وبحث في قوانين العربية « في صبر وجلد يتسع إهابهما للمقابلة والتتبع والمحاكمة » • (مقدمة المعجم) ، ولطرافة ما جاءت به هذه (المقدمة) من نتائج مفيدة ، تلقاها بعض اهل الفضل من فضلاء العلماء بالقبول والبشرى • حتى عدّها احدهم مفتاح ابواب في العربية كانت طلاسم الى يوم صدورها ••

وكانت « محاولة جريئة تامة لشرح تطور العربية منذ عهدها الفطري الى يومها الحاضر ، في توسع وجرأة قسمت ذلك التطور ادوارا ، وقسمت الادوار حلقات »[٢]•

ويعنينا ــ هنا ــ ما ورد فيها من آراء في « المجمع والمعجم » •• فوجود المجمع في المجتمع ضروري •• امّا المعجم ، فهو اللغة بكل تاريخها وتراثها المتسع الجنَبات •

ونتج عن هذه (المقدمة) امران :

اولهما : لفت (الانظار) الى دراسة (فقه اللغة العربية) على نحو جديد•

وثانيهما : ظهور معجمين لغويين ، فيهما تجديد وجرأة في المنهج •• والمعجمان هما :

١ ــ المعجم •

٢ ــ المرجع ، ظهر سنة (١٩٦٣) وهو معجم وجيز التفسير قصره مؤلّفه على (المأنوس من اللغة في قديمها ، وعلى المولّد الحديث الذي فرض وجوده في دائرة المصطلح العلمي)[٣] ، رتبه على ابواب المفردات بحسب لفظها ، ظهر

---

(١) مقدمة لدراسة لغة العرب ، القاهرة ، ١٩٣٨م ، المطبعة العصرية ، قدم لها اسماعيل مظهر ، وهي في (٢٥٠ صفحة) . العلايلي ولد سنة / ١٩١٤م ببيروت .

(٢) الخولي : مشكلات حياتنا اللغوية : ٩٦ــ٩٧ .

(٣) العلايلي : المعجم (المقدمة : ١٢) .

مجلده الاول (في / ٧٣٦ صفحة) وجعل منتهاه بفهرس (ألفبائي / أجنبي) اذ جعله دليلا للفرنسية وما يقابلها من العربية ، وللانجليزية وما يقابلها من العربية •• ورام في صنعه هذا الى جعله (المرجع) بمثابة ثلاثة معاجم في معجم، « عربي في أصله ، عربي اجنبي باثبات المقابل فيما اتفق » • وقصد به الى الطلاب ليكون « مفكرة لغوية »[٤]•

ولو قيض الله ــ سبحانه ــ طبع (المرجع) كاملا لكان من انفع معاجم اللغة عند طلاب المدارس الثانوية والجامعات ، فضلا عن نفعه العام للمثقفين : « تذكرة يؤانسونها في الرغبة واللهفة » ••

لقد حظي (المرجع) بعناية نفر من اهل العلم ، تعريفا ونقدا ، فعرّف به : فؤاد افرام البستاني (رئيس الجامعة اللبنانيــة) بتقدمة ظاهرة[٥] ، كما تناوله الدكتور عدنان الخطيـب بذكر خاطـف في كتابَيْه عـن[٦] (المعجم العربي) ••

وكانت نقدات الامير مصطفى الشهابي التي بثّها على صفحات مجلــة (مجمع اللغة العربية بدمشق) من اظهر ما صدر من نقد له • اذ ذهب الى ان العلايلي : (نقل عن معجم الالفاظ الزراعية معظم مصطلحات الزراعة ومعظم

---

(٤) المعجم ، ومقدمة (المرجع) ، والمرجع في (١١٥٠) صفحة ، فيه (ثمانمئــة صورة) ، كان جزؤه الاول في : (٧٣٦ صفحة) ويضم حروف الهمزة الى آخر حروف الجيم (أـج) . والثاني من (حـع) والثالث من (غـي) .

(٥) نشرت هذه المقدمة في (الاديب ، ج٣ س ٢٢ مارس ١٩٦٣) ص : ٥٧ ثم نشرت في مقدمة (المرجع) .

(٦) هما : المعجم العربي ونظرات في المعجم الوسيط ، دمشق (المجمع العلمي العربي بدمشق) ١٣٨٧ـ١٩٦٧ (ص ٣١ـ٣٢) ، و : المعجم العربين بين الماضي والحاضر ، القاهرة (معهد الدراسات العربية العالية) ١٩٦٦ـ١٩٦٧ (ص : ٥٦ـ٥٨) .

الاسماء الفرنسية والاسماء العلمية للنباتات دون ان يشير اليها ..)[٧].

وكذلك تعقبه الدكتور محمد محمدي[٨] بذكر (تأثيل طائفة من المعرَّبات) وهي نافعة بارعة .

امَّا المعجم : فقد كان ثمرة دعوة العلايلي[٩] الى تبني اسس معجمية عربية جديدة ، نشرها في[١٠] : (المقدمة / ١٩٣٨) وفصّل خطوط بنائه في الباب الرابع منها : (المجمع والمعجم وشكليات اللغة) .. ومن اظهر هذه الاسس :

١ ـ إخراج (المعجم) عن اليد الاعجمية ، بحيث يطمئن اليه الباحث انه صنع نتاج عربي محض : (تتيجة جهد عربي خالص) .. كما صنع الخليل .

٢ ـ اعتماد منهج ابن فارس (توفي / ٣٩٥هـ) في (مقاييس اللغة) .. الذي وضعه على نحو فريد مبتكر ، لم يسبقه الى مثله سابق ، بناه على موازين (قوانين) لغة العرب ، التي سمّاها (مقاييس) .. اذ اخذ كل فصل من « المقاييس » الذي جعله اصل المادة اللغوية وما يتفرع عنها من مسائل « فروع » .. فالمقاييس : معجم اشتقاقي يرجع مفردات كل مادة الى معنى او معان مشتركة .

---

(٧) مجلة (مجمع اللغة العربية بدمشق ، مجـ ٤٣/ج١) ١٣٨٧ـ١٩٦٨ (ص ٣ـ٦) : ملاحظات شتى على معجمات حديثة .

(٨) الدراسات الادبية (بيروت س ٥/ع٢) ١٩٦٣ (ص ١٠٩ـ١٢٤) : نظرة في المرجع .

(٩) المعجم : دراسة بالفرنسية ، كتبها : فكتور حكيم : ترجمها : محمد عيتاني . (الاديب س ١٣/ج٩ ص ٧٠ـ٧١) ١٩٥٤ .

(١٠) تهذيب المقدمة اللغوية : ٢٦٦ـ٢٦٧ ، وينظر : المعجم : ٨ـ٩ .
وينظر : رشاد الحمزاوي : اسس المعجمية العربية تعيير ومنهج (حوليات الجامعة التونسية ع/١٥) ١٩٧٧ ، ص : ١٠٢ـ١١٥ .
واحمد مطلوب : آفاق نحو المعجم العربي الحديث ، (ص : ٨٧) ضمن ابحاث ندوة (المعجمية العربية ـ المجمع العلمي العراقي ١٥ـ١٦ شعبان ١٤١٢هـ) .

قال ابن فارس :[11] « وقد ألّف الناس في جوامع اللغة ما ألّفوا ، ولم يعربوا في شيء من ذلك عن مقياس من تلك المقاييس ، ولا اصل من الاصول .. » .

وربما تكون (فكرة) ابن فارس ، من بنات افكار الخليل بن احمد الفراهيدي (عبقريّ العرب) وندّت منها بَدَوات عند ابن قتيبة (توفي / ٢٧٦هـ) في كتابه « تأويل مشكل القرآن »[12].

٣ ـ رأى في عمل الجوهري « الصحاح وتاج العربية » كمال العقلية العربية « بتمام قوتها » وظهور مكانة « المنطق » في اللغة ، فجعله من رواجع « المعجم » .

٤ ـ أقباس من منهج « المعجم التاريخي / النشوئي » ..

٥ ـ القصد الى إدخال العنصر الموسوعي باختصار ، بما في ذلك : المصطلح العلمي ، وإبعاد « المادة العلمية / أعلام ، بلدان » . وقد بسط حسناته في « المقدمة / ١١ـ١٢ » وفي جملتها يكون « المعجم » فريدا جديدا في حقل العمل المعجمي ..

نشر منه المجلد الاول (في خمسمائة صفحة)[13] صدر منجمًا على شكل كراريس (دوريًا) واراد بعمله هذا ليكون محل نقد وتقويم ، مستفتيًا به بين منهجين : « المنهج المحافظ ولو على الخطأ ، والمنهج المحرر ، او قل : المنهج المحافظ على ما هو الاشبه بالصواب » . وكان عنوانه هكذا : « المعجم .. موسوعة لغوية علمية فنية » .

(١١) مقاييس اللغة (١/المقدمة) .

(١٢) ابن قتيبة والشعوبية : عبدالله الجبوري ، بغداد (دار الشؤون الثقافية) ١٩٩٠ (ص/١٤٦) .

(١٣) المعجم (المقدمة : مجـ ١/ ١٠ـ١٣) والمقابسة ، صدر سنة ١٩٥٤ ، عن (دار المعجم العربي) بيروت . وتولى إنشاء هذه الدار : العلايلي ، وسهيل يحوت ، ومحمد العيتاني ، ببيروت ١٩٥٤ . (دار المعجم للنشر) .

وهذه (الموسوعية) جعلت منه (معجما) علميا اكثر منه (معجما) لغويا كما عرف العرب « المعجمات اللغوية » •• وهو عمل كبير تنوء به العُصْبة ، خذ مثالا منه :

قال : « الارجوسيّة : مدرسة يونانية في النحت ترجع الى القرن الخامس (ق•م) من اهم ما اعطت تمثال حامل الحرية ، تمتاز باظهار الاكتناز في العضل، ولكن في وضع منسّق مريح » •

والمادة فيه شامخة كما تنطق ، ثم يفصّل القول في جذرها اللغـــوي ، ووزنها « قانونها » مع ذكر ورودها في اللهجــات العربيــة « المولّـــدة » •• مشفوعة بذكر مقابلها بالفرنسية والانجليزية •• ولا ينسى المصطلح العلمـي ان كان رضيعا معها ••

ومخطط المعجم : ١ ــ يقوم مخططه على اسْتِخلاص الوحدة المعنوية ، أي : الوحدة الاشتقاقية الكبرى ، وهذه الوحدة افرزتها عبقرية علمـــاء اللغة الاوائل : الخليل ، وابن جنّي) في / الخصائص (•• مبينا تطور الجذر اللغوي بين حقيقة ومجاز ، ليرد قول من اتهم العربية بأنها : « تنشر جناحيها وتطويها ــ في الكلمة ــ على معانٍ شتى من كل واد / ٨ » • « مشيرا الى الموروث الجزَري القديم (السّامي) ليبين مدى تطور الكلم في مســـاره العربي « القديم والحديث » ••

وقد كشف ــ عبر سياحته اللغوية ــ عن حَفُول المفردة العربيـــة بحكايات الالهة ، وهي (متخمة بالتّرهيّة) وذلك عكس ما يشاع عنهـا ، ورمْيها بالفقر « الاسطوري » ومن هنا أُؤكد : ان المعجم هو تاريخ الامة •• واجتهد ان يبعد عن عمله (هوس المقارنة) بين (الساميّات) كما صنع (فيشر / المعجم اللغوي التاريخي) •• على الرغم من فوائد هذه المقارنة •

٢ ــ كشف العلايلي عن (قابلية) العربية لتقبل المنطق العلمي ، وطواعيتها للتعبير الفني المجرد • •وهذا مكتنز في مدونات المناطقة واهل الفلسفة •• وفي

محاولته هذه رد على ادعياء العلم الذين اتهموا العربية بالعقم وتمردها على التعبير العلمي •• ثم يسوق مثلا الى ما ذهب اليه ، موقف الدكتور (فانديك الكبير) الذي رفع راية الدفاع عن علمية العربية في معسكر (التعريب) في الجامعة (الامريكية ببيروت) إبان تكوينها الاول •• ثم رأى ان العربية تقف بين حالتين اثنتين : إمّا التعريب ، وإمّا الوضع •• وبينهما يقع الاختيار • وأمّا « التبغيل » فلا حاجة به ابدا ••

٣ ــ اعتماد اللفظ الخاص للمعنى الخاص ، وهذه سمة الجرأة عند العلايلي ، والدلالة على فهمه العميق لفلسفة اللغة •

إذ قال : « ان التفرقة بين دلالتي الما صدق (اللفظ الخاص) والمعنى ، تخدم خدمتين اخريين :

أ ــ المفهوم الاصلي للوضع •

ب ــ إمداد المتعاطي بالعربية بمعجم استعمالي ضخم فيه تحديد ودقة » ••

وهذا من الوان اهمية الوضع في اللغة،وقد افاض في درسه وتبيان خطره علماء المنطق في مباحث « علم الوضع » وهو علم توارى الان عن مناهج الدرس في جامعاتنا العربية •

هذا قبس من مخطط « المعجم » فضلا عن ذكر حسناته التي بسطها في مقدمته : (ص/١١) • وإمعانا منه في الدقة والتجديد ، ومجيئه بما لم يذكره الاوائل رفع شعارا ، من قول أبي العتاهية (يوم اخذت عليه طائفة اوزانه المستحدثة : ولكني سبقت الخليل ••) •

واليك مثالا آخر من مواد (المعجم) :

فمادة « التاريخ » موزعة على مفرداته ، ارخ ، المؤرخ ، فلسفة التاريخ ، المصطلحات التاريخية ، والمفردات التي تفرعت عن هذه المادة ولها اصول عربية او اجنبية •• فكل مفردة لها بابة مستقلة ، ذكرت كما تنطق ، من هنا

تأتي فائدة مهمة من فوائده .. للقارىء العربي .. وهذا فَرْق عظيم بينه وبين معجمات اللغة العربية الاخرى ، فذكر « القانون » ــ الميزان الصرفي ، والجذر ، والاشتقاق ودوران المعاني ، مع الالماع الى نشوء المفردة ، وتاريخها الطويل ، وآنسيابها في لهجات عربية ، او رسوبها في (عاميّات عربية) .. مع ذكر الحقيقة والمجاز ، وقد خلا من « وَقْر الشواهد » الشعرية ، فاستبدل بها لغة التنزيل ولغة الحديث او (المأثور) .. من مجموع هذه السمات كان منهج العلايلي في صُنْع « المعجم » .. اراد به اظهار عبقرية العربية ، فاللغة عنده « مؤسسة مرتبطة ارتباطا مباشرا بنشاط الانسان ، تتحرك بقوانين الغاية لا السببية » .. فوَكْدُه : « إظهار معجم جديد يدفع بالعربية دفعة الى الحياة الحديثة ، فتفكر بعقلها ، وتتحرك بدفقها ، وتتذوق باسلوبها »[١٤] .. فايمانه العميق بسمو العربية ، راح يدرس ويفحص وينقد مذاهب اهل اللغة « قدامى ومعاصرين » في مناهجهم .. حتى ارتضى منهجا قال به لغوي نَيِّر ظاهر الشويري في رسالته : [١٥] « اللمع النواجم في اللغة والمعاجم» وخطوطها :[١٦]

١ ــ يجب ان يجعل متن اللغة قياسيا .

٢ ــ « تطبيق » مذهب ابن السِّيد البطلْيُوسي في : « الاقتضاب » وهو : ان لا يقال بالشذوذ ما وجد له وجه قياس .

---

(١٤) المعجم (المقدمة/٨) .

(١٥) رسالة (اللمع النواجم / نشرت مقدمة لمعجم الطالب ، تاليف : جرجس همام) والشويري : امين ظاهر خيرالله ، (١٨١٦–١٩١٦) اديب ، لغوي مجدد .. تنظر ترجمته في مصادر الدراسة الادبية (ج٣/ق١ ص/ ٤٠٦–٤٠٨) .

(١٦) العلايلي : المعجم : ٥ وينظر : مجلة الاداب (س١ ، ع/٢ ، ١٩٥٣ ص ٣٤ : العربية والنحو ــ كتاب لفريحة ــ نقد العلايلي) .

٣ ـ اعتماد قول « المازني / في الاقتراح » : إن ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم •• وذكر ابن جنّي هذا القول في (الخصائص)[١٧] •

٤ ـ ان يؤخذ قول (الفيّومي) في : « المصباح » : ان عدم السّماع ، لا يقتضي عدم الاطراد مع وجود القياس •• من هذه الاراء صاغ العلايلي منهجه الجديد المبتكر في وضع (المقدمة) ومن افيائها استظلت مباحث واستوت معاجم •• منها : « المعجم الذي هو جهد لا يُعْرف ما خُطّ له في ضمير الغيب من قدر ، كما لا يُعرف اي شيء يكونه في الناس •• »[١٨] •

أمّا كونه ما خُطّ له في ضمير الغيب من قدر ، واي شيء يكون عند الناس •• فهو بحق ـ حُلْم العربية ـ بولادة مثله ، وكونه عند الناس : اقول تغافل الناس عنه ، وتعلق بنقده أنفار •• كما ازورت المجامع العلمية « العربية »[١٩] عن درسه او نقده وتقويمه •• وهو حدث حادث ، وجهد جاهد •• مع هتاف صاحبه للقارىء : « فكل قارىء هو مدعو مع شكري الى ابداء الرأي حتى ولو مشوبا بالازورار ، لان : / جديده محاولة خدمة « جاء بها على وجهها الافضل بالتصحيح » •• بل غاب ذكره في محافل اللغة والادب •• حينا من الدهر ، حتى كرّمته بغداد بـ (جائزة صدّام للاداب) •

المعجم و / المعجم اللغوي التاريخي والمعجم الكبير :

في سنة / ١٩٢٨م ، ظهرت الطبعة الاولى من (معجم اكسفورد اللغوي التاريخي الحديث) واستغرق العمل في إعداده وتأليفه سبعين سنة (بُدِىء به سنة / ١٨٥٧م) ونهض بعبئه مئات العلماء •• وهذا الحدث حفز بعض الغُيُر من رجال الاستشراق على صنع عمل في العربية نظير (معجم

(١٧) ابن جني : الخصائص : (١/١١٤) •
(١٨) المعجم : المقدمة : ٥ •
(١٩) اغفله مؤلف « المعجمات العربية » ، فذكر (المرجع ص/٣٠) ولم يذكر (المعجم) •

اكسفورد) •• فانقدح ومَضَ فكرته عند المستشرق الالماني (اوغستفيشر August Fischer ١٢٨٢/١٨٦٥ ــ ١٣٦٨/١٩٤٩) لينهد بعمـــل معجم لغوي تاريخي للعربية يضم كل كلمة ــ بلا استثناء ــ وجدت في اللغة ، وان تعرض على حسب وجهات النظر السبع التالية :

التاريخية ، الاشتقاقية ، التصرفية ، التعبيرية ، النحوية ، البيانيـــة ، الاسلوبية ، ومنتهاه : من زمن النقوش العربية ، حتى نهاية القرن الثالـــث الهجري ، « عصر اكتمال اللغة العربية » ••

ونُشِرَ من هذا المعجم الكبير جزء صغير (القاهرة ، ١٣٨٧ــ١٩٦٧) في ثلاث وخمسين صفحة من اول الهمزة الى (أبد) •• غير ان (فيشر) يشكر في خاتمة مقدمته : (المطبعة الاميرية التي قامت بطبع معجمه على الرغم ممـا به من صعوبات في الطبع غير عادية ، فوفّقت الى طبعة باتقان كما هو معهـود فيها / ٣٤) •

ثم قام مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١٩٧٠) بنشر (المعجــم الكبـير) فأصدر منه مجلدين : الاول : حرف الهمزة ، والثاني : حرف الباء ، وذلـك بعد ان يئس من اخراج معجم فيشر •

فالمقارنة بين المعاجم الثلاثة (العلايلي ، فيشر ، المجمع) تقوم على مقصد واحد ، هو إخراج معجــم لغوي ــ تاريخــي ، وتختلف الاختــلاف كلّه في المنهج والوضع ••

فمعجم فيشر ، اغرق في إيراد المواد السبع التي ذكرها آنفا ، فهو يأخـذ المادة اصلا ، ثم يبدأ بتفريعها ، فمثلا : مادة «أب ، في مادة : أبب ، أبو ، أبي أبت ، أب" ••• » ويسوق شواهد مادته من كلام العرب ، والقرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، والامثال ••

أمّا معجم المجمع اللغوي ، فقد اقترب قليلا من منهج العلايلي ، إلاّ انه ابتعد عنه بايراده الشواهد بكثرة ، وذكره الاعلام مفصّلة ، فكأنه اراد بـه

ان يكون معلمة « دائرة معارف عربية وجيزة » • صبغتها المفردة اللغوية •• وأمّا ترتيب مواده ، فانها مرتّبة على حسب اصولها على وفق الحرف الاول فالثاني فالثالث من حروف الهجاء ، على نحو ما فعل الزمخشري في « الاساس » •

لذلك يبقى عمل العلايلي فذا فريدا في بابه ، وتفعه اقرب الى القارىء من المعجمين الاخرين (فيشر والمجمع اللغوي) لانه تجرأ على إظهار معقول العربية ، وما تحمله من عبقرية في العلم والحضارة ، في حين ان معجم المجمع ، جاء معجما « لغويا ــ حضاريا » فيه سَمْتُ المعاجم اللغوية القديمة ، مع جِدّته في ذكر المصطلحات واللغات العربية القديمة « الساميات » •• اما معجم (فيشر) فقد دار في فلك « المنهج النشوئي / الدلالي » وقدّم جمهرة عظيمة من ألفاظ اللغة التي استعملها المؤلفون العرب في مؤلفاتهم •• كتبه بجهد واسع الجنبَات استغرق منه اربعين سنة ، بعزم حديد ، وجهد دائب ، وهمّة عالية •• وهذا الرجل من اماثل « علماء المشرقيات » علما وصِدْقا[٢٠] ••

و (معجم العلايلي) : من افضل المعاجم التي : « احتفظت بسمات المعجم القديم وخصائص المعجم الحديث »[٢١]• لكنه ادخل الضَّيْم على جهده المعجمي العظيم باثقاله بالمصطلح العلمي الجديد ، وبالفاظ حضارية واجنبية غطّت على بريق السَّمْت اللغوي العربي • •

(٢٠) ينظر عنه : الاعلام ١٩/١ ، ومجلة لغة العرب (٢٥/٢) ومجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (٥٠٠/٢٤) .

(٢١) احمد مطلوب : آفاق نمو المعجم العربي الحديث : ٨٧ .

من مظان البحث

١ ــ الآداب :
بيروت (السنة الاولى / ٢ شباط ١٩٥٣) العربية والنحو ، انيس فريحة ، نقد : عبدالله العلايلي .
٢ ــ ابن قتيبة والشعوبية، عبدالله الجبوري ، دار الشؤون الثقافية ، ١٩٩٠ .
٣ ــ الاديب :
بيروت (س ١٢/ج٦ يونيو ١٩٥٤) انيس فريحة : المعجم للشيخ عبدالله العلايلي (ص/٦٤) . و (س ٢٢/ج٣ مارس ١٩٦٣) ص : ٥٧ .
٤ ــ الاصول العربية للدراسات اللبنانية ،
يوسف اسعد داغر ، الجامعة اللبنانية ، بيروت ١٩٧٢ .
٥ ــ الاعلام :
خير الدين الزركلي (١٨٩٧ــ١٩٧٦) بيروت ، دار العلم للملايين .
٦ ــ تهذيب المقدمة اللغوية ، للعلايلي :
اسعد علي ، بيروت ، دار النعمان بيروت ١٣٨٨ــ١٩٦٨ .
٧ ــ حوليات الجامعة التونسية ،
تونس ، (العدد /١٥ــ١٩٧٧) ص : ١٠٢ــ١١٥ ، اسس المعجمية العربية تعيير ومنهج ، الدكتور رشاد الحمزاوي .
٨ ــ الخصائص (خصائص العربية) :
ابو الفتح ابن جني ، تحقيق: محمد علي النجار ، القاهرة ١٣٧١ــ١٣٧٦هـ (١ــ٣ ج) .
٩ ــ الدراسات الادبية :
(الجامعة اللبنانية) بيروت ، (س٥/ع٢) ١٩٦٣ (ص ١٠٩ــ١٢٤) نظرة في المرجع الدكتور محمد محمدي .
١٠ ــ لغة العرب :
بغداد ، الاب انستاس ماري الكرملي ، (س/٢ ص : ٢٥) .
١١ــ مجلة (مجمع اللغة العربية بدمشق) : (مج ٢٤/ ٥٠٠) و (مج ٤٣/ج١) ١٣٨٧ــ١٩٦٨ ص : ٣ــ٦ الامير مصطفى الشهابي : ملاحظات شتى على معجمات حديثة .
١٢ــ المرجع :
عبدالله العلايلي ، بيروت ، دار المعجم العربي ١٩٦٣ ، (المجلد الاول) .
١٣ــ مشكلات حياتنا اللغوية :

امين الخولي ، القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٥ (ط/٢).
١٤ـ مصادر الدراسة الادبية :
يوسف اسعد داغر ، بيروت ، الجامعة اللبنانية ، ١٩٧٢ (ج٣ القسم الثاني) .
١٥ـ المصطلحات العلمية والفنية العربية قديما وحديثا :
مصطفى الشهابي ، دمشق ، ١٩٦٥ .
١٦ـ المعجم :
عبدالله العلايلي ، بيروت ، دار المعجم العربي ، ١٩٥٤ (المجلد الاول) .
١٧ـ الدكتور عدنان الخطيب :
١ ـ المعجم العربي بين الماضي والحاضر ، القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ١٩٦٦ـ١٩٦٧ .
٢ ـ المعجم العربي ، ونظرات في المعجم الوسيط ، دمشق ، (المجمع العلمي العربي بدمشق) ١٣٨٧ـ١٩٦٧ .
١٨ـ المعجم الكبير :
مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، دار الكتب ١٩٧٠ (الجزء الاول) .
١٩ـ المعجم اللغوي التاريخي :
أ. فيشر ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ١٣٨٧ـ١٩٦٧ .
٢٠ـ المعجمات العربية :
وجدي رزق غالي ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٣٩١ـ١٩٧١ .
٢١ـ المعجمية العربية : (ابحاث)
ندوة المجمع العلمي العراقي ، (١٥ـ١٦ شعبان ١٤١٢ـ/١٨ـ١٩ـ شباط ١٩٩٢) .
٢٢ـ المقاييس (مقاييس اللغة) :
احمد بن فارس (توفي سنة /٣٩٥هـ) ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، (١ـ٦) ١٣٦٦ـ
٢٣ـ المقتطف :
(مج ٩٧/١٩٤٠) ص : ٢٥٢ـ٢٥٧ .

المعجم العربي القديم والمدونات الادبية
مثالب الوزيرين نموذجا

ا.د. نعمة رحيم العزاوي
جامعة بغداد ـ كلية التربية (ابن رشد)

الملخـــص

يتناول البحث منهج المعجميين القدماء الذي قام على ثلاثة معايير هـي (المعيار الزماني) و (المعيار المكاني) و (معيار الصحة) فكان نتيجة لهـذا المنهج الانتقائي ان المعجم العربي القديم لم يشمل جميع ما تكلم به العـرب ، فصار ديدن مؤلفي المعجمات ان يستدرك الخالف منهم على السالف ، ويزيـد على مادته اللغوية ما قد أخل به ، أو لم يتيسر له الوقوف عليه .

وترتب على منهج المعجميين القدماء امر آخر ، هو وقوف المعجمات عند كلام الفصحاء ، ونعني بهم اولئك الذين عاشوا في عصور الفصاحة التـي انتهت في حدود النصف الثاني من القرن الثاني الهجري بالنسبة للحاضرة ، وفي حدود بداية القرن الرابع الهجري بالنسبة للبادية . ومعنى ذلك ان المعجـم العربي لم يقبل ما دخل اللغة العربية من الفاظ الحضارة ومصطلحات العلـوم التي ظهرت في القرن الثالث وما تلاه .

ولم يغفل المعجم العربي الفاظ الحضارة ومصطلحات العلوم حسب بل أهمل جميع ما ولّده الادباء ، شعراء كانوا او كتابا في العصور التي تلت عصور الفصاحة المشار اليها ، وقد اتخذ هذا البحث من كتاب (مثالب الوزيرين) لابي حيان التوحيدي مثلا للمولد من الاستعمالات التي اغفلها المعجم العربي القديم • فقد اورد هذا البحث نماذج مما ولّده ابو حيان التوحيدي من مادة لغوية لم تؤثر عن عصور الفصاحة ، وبقيت بعيدة عن مادة المعجم العربي القديم •

يجد الناظر في معجمنا العربي القديم قضايا كثيرة تستحق البحث ، وتستدعي التسجيل والمناقشة ، ولعل اهم هذه القضايا ، واولاها بالبحث ، هي مسألة منهج المعجميين الذي قام على (الانتقاء) ، واستند فيما دوّن من كلام العرب الى معايير ثلاثة ، هي (المعيار الزماني) و (المعيار المكاني) و (معيار الصحة) ، فما طابق هذه المعايير اعترف به المؤلف ، واودعه كتابه ، وما خرج عنها اهمله ، وجعله خارج السور الذي ضربه على معجمه .

وقد ادى هذا المنهج الانتقائي الى عدم شمول المعجم لكلام العرب الذين عاشوا إبّان عصور الاحتجاج ، والى اغفاله ما تكلم به ادباؤهم وعلماؤهم وفلاسفتهم واطباؤهم بعد تلك العصور ايضا .

واذا كان المنهج الذي اتبعه المعجميون هو سبب عدم شموله كلام العرب خلال عصور الاحتجاج ، فان ثمة عاملا آخر غير منهجي كان وراء تقصير المعجم عن الاحاطة بكلام العرب الفصحاء ، وهو انه كان نتاج افراد ، والفرد مهما اوتي من قدرة ، ومهما ابتغى من الوسائل ، فان جهده لا يستطيع ان يستقصي جميع كلام العرب ، ولا يقوى على الاحاطة به . ولو كان العمل الجماعي معروفا آنذاك لتلافى واضعو المعجمات هذا العامل غير المنهجي الذي ادى هو ايضا الى عدم شمولية معجمنا القديم .

ساعرض في بحثي هذا لمسألة شمول المعجم العربي القديم جميع ما تكلم به العرب الفصحاء ، وأعرض ايضا لاغفاله ما احدثه المتكلمون بالعربية بعد عصور الاحتجاج من مادة لغوية ، وسأتخذ مما ولّده اديب كبير من ادباء العربية في القرن الرابع الهجري ، هو ابو حيان التوحيدي ، في كتاب واحد من كتبه هو (مثالب الوزيرين) نموذجا للجديد اللغوي الذي بقي واقفا على ابواب المعجم العربي ، ولم يؤذن له في دخوله حتى يومنا هذا .

(١)

المعجم العربي والشمول

كان اغلب مؤلفي المعجمات العربية يسعون الى جعل معجماتهم شاملة ما تكلم به العرب في عصور فصاحتهم ، وكانوا يتنافسون في ذلك ، لئلا يند عنهم شيء مما جرت به ألسنة العرب ، او ضمّه الموروث من شعرهم ونثرهم ، وغير بعيد منا ما قام به الخليل بن احمد من طريقة رياضية ، توخت الاحاطة بلغة العرب حتى لا يشذ عنه شيء منها ، فقد اخترع فكرة التقاليب ، واراد بها أن يحصر كل الالفاظ المحتملة عقلا من الصيغ الثنائية والثلاثية والرباعية والخماسية ، ما كان منها مهملا وما كان منها مستعملا ، اذ كان ينص على ما وجده مهملا من مادة لغوية تنجم عن طريقة التقليب التي اتبعها .

وعلى الرغم من ان الخليل اتبع فكرة التقليب هذه ، التي اصبحت معلما رئيسا من معالم منهجه في التأليف المعجمي ، الذي قلده فيه غيره ، لم يحقق ما طمح اليه من شمولية واحاطة ، لان « فكرة التقاليب التي اخترعها لم تف بذلك ، وغاية ما استطاعت تحقيقه هي حصر جذور الكلمات وأصولها ، اما ما يتفرع عن هذه الجذور ، ويولده عنها الاشتقاق والارتجال والتعريب والنحت من الالفاظ التي لا حصر لها ، فظل بعيدا عن ان يحاط بها . ولذلك وجدنا ان من بين الاهداف التي عمل من اجلها المعجميون الذين جاؤوا بعد الخليل ، الاستدراك على ما اهمله كتابه ، واضافة ما لم يورده ، حتى قالوا ان عدد زيادات كتاب (البارع في اللغة) لابي علي القالي على كتاب العين بلغ نحو ٥٦٨٣ كلمة »(١).

(١) قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي (عبدالعلي الودغيري): ١٢٦ ، ١٢٧ ط١ ، الرباط ١٩٨٩ .

ومعنى ذلك ان كتاب (العين) على ما عرف به من شمول ، وسعة احاطة بما تكلم به العرب ، لا يسعف من يرجع اليه احيانا من اجل فهم بعض الكلمات الواردة في الشعر الجاهلي ، وفي المشهور الذائع من هذا الشعر ، كمعلقة امرىء القيس •

ولم يكن معجم العين بدعا من المعجمات الاخرى فيما لوحظ عليه من نقص ، او ظهر فيه من تقصير عن استيعاب كلام العرب ، بل شركته في هذه الظاهرة المعجمات الاخرى ، فما من واحد منها إلا استدرك على الذي جاء قبله ، وكشف عما فاته من ألفاظ •

وقد حاول بعض القدماء تفسير عدم استطاعة المعجمات الاحاطة بكل ما تكلمت به العرب ، فذهب الشافعي وابن فارس والسيوطي الى ان لغة الضاد لغة متسعة ، لا يحيط بها جميعها احد سوى من اوحي اليه كالانبياء • وقد شاع هذا الرأي في الفكر العربي القديم ، حتى لقد وجدنا الازهري في مقدمة كتابه (تهذيب اللغة) يدافع عن الخليل ، ويرد على احمد بن محمد البستي الذي الف كتاب (التكملة) ، واستدرك فيه ما اغفله الخليل ، مع دعواه الاحاطة بكلام العرب : « ولا يجوز ان يخفى على الخليل مع ذكاء فطنته وثقوب فهمه ان رجلا واحدا ليس بنبي يوحى اليه يحيط علمه بجميع لغات العرب والفاظها على كثرتها ، حتى لا يفوته منها شيء وكان الخليل اعقل من ان يظن هذا ويقدره » •

ولابد من الاشارة هنا الى ان مؤلفي المعجمات القديمة كانوا (انتقائيين) في جمع مادة معجماتهم ، اذ فرضوا على انفسهم معايير ثلاثة ــ كما تقدم ــ هي (المعيار الزماني) و (المعيار المكاني) و (معيار الصحة) • فأما المعيار الزماني فقد تمثل في ان تكون مادتهم اللغوية مما روي عن العرب الذين عاشوا فيما سموه (عصور الاحتجاج) وهي عصور تنتهي في حدود النصف الاول من القرن الثاني الهجري بالقياس الى الحاضرة ، وفي حدود بداية القرن الرابع الهجري بالقياس الى البادية • وأما المعيار المكاني فقد اجمعوا على انه يتمثل

في القبائل التي سكنت سرة الجزيرة العربية ، وابتعدت من الثغور والتخوم ، التي كان الاعاجم يطرقونها ، او يفدون عليها للتجارة وغيرهــا من شــؤون الحيــاة .

واذا جئنا الى معيار (الصحة) وجدنا ان المقصود به هو الاقتصار على ما ثبتت روايته عن العرب الواقعين في الاطار الزماني والمكاني المشار اليهما . قال السيوطي تحت عنوان (معرفة ما روي من اللغة ولم يصح ولم يثبــت) : « هذا النوع يقابل النوع الاول الذي هو الصحيح الثابت ، والسبب في عدم ثبوت هذا النوع عدم اتصال سنده لسقوط راوٍ منه ، او جهالته او عـــدم الوثوق بروايته لفقد شرط القبول فيه »(٢).

وبسبب معيار الصحة هذا قابل بعض اللغويين كتاب جمهرة ابن دريــد بالشك والارتياب ، لانهم اعتقدوا انه اخل بمعيار الصحة . قال الازهري : « ممن ألف الكتب في زماننا فرمي بافتعال العربية وتوليد الالفاظ ابو بكر بن دريد ، سألت عنه ابراهيم بن محمد بن عرفة ــ يعني نفطويه ــ فلم يعبــأ به ولم يوثقه في روايته »(٣).

ومن اجل ذلك ترددت في معجماتنــا القديمــة مثل العبــارات الاتية : (مصنوع) و (ليس بثبت) و (لا ادري ما صحته) و (لا اعرف حقيقته) و (لست منه على ثقة) و (فيه نظر) ، وهي عبارات تدل على ان المعجميــين إن سمحوا لانفسهم احيانا برواية مفردات واستعمالات مشكوك فيها ، لــم يفتهم ان يتحفظوا ازاءها ، ويدرؤوا عن انفسهم نقد الناقدين ، وهذا ما دعــا الجوهري الى ان يجعل عنوان معجمه (تاج اللغة وصحاح العربية) ويذكــر في مقدمته : «فاني قد اودعت هذا الكتاب ما صح عندي من هذه اللغة التــي شرّف الله تعالى منزلتها » .

---

(٢) المزهر : ١٠٣/٢ .
(٣) نفســه : ٩٣/١ .

ولغرض تحقيق معيار الصحة لدى مؤلفي المعجمات وضعوا شروطا يجب توافرها فيمن يروون عنهم اللغة ، كالصدق والعدالة والثقة ، بل اشترطوا احيانا تواتر الرواية . وليس ببعيد من اذهاننا ماكان اللغويون يضعون للاعراب الذين يفدون عليهم من اختبارات ، لمعرفة مقدار نقاء سلائقهم وعدم افتعالهم ما يروون . وهذا يعني ان عاملين كانا وراء عدم احاطة المعجمات العربية بكل ما تكلم به العرب ، احدهما عجز المؤلف بطبعه عن ان يحيط بكل ما تكلم به العرب ، لان ذلك يفوق قدرة الفرد ، ويخرج عن طوقه ، لسعة هذه اللغة . واتساع الرقعة المكانية التي شغلتها ، والاخر الاسلوب الانتقائي الذي فرضه المعجميون على انفسهم .

ولا تفوتنا الاشارة هنا الى ان من اسباب عجز مؤلف المعجم عن الاحاطة بكلام العرب ، وجعل مؤلفه شاملا ، سواء أأخذ مادته عن العرب مباشرة ام اخذها عن المدونات التي سبقت معجمه ، صعوبة المواصلات ، وعدم قدرته على الوصول الى كل ما يريد الوقوف عليه من نصوص ، لغرض جردها واستقرائها ، كما ان من الجائز ان تكون بعض تلك النصوص قد تعرضت للضياع ، فحال جميع ذلك دون تحقيق الشمول لاي معجم يراد تأليفه ، ولذلك كان يأتي بعد كل معجمي من يستدرك على معجمه ، ويزيد عليه بعض ما فاته .

فالوسائل المتاحة امام مؤلفي المعجمات القديمة كانت قاصرة ، والعمل الجماعي كان مجهولا آنذاك ، ومنهج التأليف كان انتقائيا ، فادى كل ذلك الى عدم شمول المعجم القديم كلام العرب كله . ولذا بدأ المعجميون في عصرنا الحاضر يعدلون عن الجهد الفردي ، ويستبدلون به العمل الجماعي ، ويستعينون بآلات الجرد والاحصاء والترتيب والتخزين واستحضار المخزون .

(٢)

المعجم العـربي والمولد

لقد أشرنا فيما مضى الى ان منهج التأليف المعجمي عند اللغويين القدماء قد تميز بالوقوف عند المادة اللغوية التي طابقت المعايير الثلاثة ، المعيار الزماني والمعيار المكاني ومعيار الصحة ، ومعنى ذلك انهم نظروا الى كل مادة لغويـة جديدة بكثير من الحذر والاشفاق ، تحدوهم على ذلـك نزعتان (دينيـة) و (قومية) ، فاما النزعة الدينية فقد كانت تخشى ان يؤدي الجديد اللغوي بمرور الزمن الى خلق لغة او لغات تغاير لغة القرآن الكريم والسـنة وشـرائع الدين ، وفي ذلك خطر على الدين الذي لا يمكن ان يفهـم على حقيقته إلا بالرجوع الى نصوصه الاصلية[٤] . وأما النزعة القومية فقد كانـت ترى ان الجديد اللغوي يهدد وحدة الامة ، ويقطع جسور التواصل الحضاري بـين اجيالها المتعاقبة ، وشعوبها المتباعدة ، اي ان الاستسلام للجديد اللغوي قـد يؤدي الى ان يجيء يوم تتحول فيه الامة العربية الموحدة ثقافيا ولغويا الـى امم وشعوب تضعف فيها الروابط والوشائج ، وتتخلى عن تراثها الـذي سيضيع بضياع لغتها[٥] .

وبسبب نظرة المعجميين هذه للجديد اللغوي ، نراهم قد ملؤوا معجماتهم بكل ما يتصل بشؤون العرب في جزيرتهم ، ونقلوا لنا اسماء حيوانهم ونباتهم ووديانهم وجبالهم وكثبانهم ومياههم وادواتهم وعاداتهم ، وجمعوا المترادفـات والاضداد ومصادر الافعال والجموع وسوى ذلك ، وفي مقابل ذلك اعرضوا عن تدوين ما تمخضت عنه حركة المجتمع الجديد في العصر العباسي ، وما جلبته

---

(٤) قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي : ١٦٩ .
(٥) قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي : ١٦٩ .

الترجمة من الفاظ جديدة ، وما ولدته العلوم من اسماء ومخترعات ، وما استخدمه الشعرا والكتاب من تعابير واصطلاحات وما اوجدته المهن والصناعات من كلمات .

لقد صمتت المعجمات العربية القديمة عن الجديد اللغوي في كل صوره ، فلم تنقل لنا الا القليل الذي لا يصور لنا ما احرزته الحضارة العربية الاسلامية من تطور ونضج ، ذلك لان مؤلفيها عزلوا نفوسهم عن مشاهدة حركة الحياة ومتابعة تطورها ، فادى ذلك الى ان تنعدم في معجماتنا اهم خصيصة تتميز به معجمات الأمم ، وهي ان تكون صورة للمجتمع الذي تؤلف فيه ، ومرآة صافية لنوع الحياة التي يحياها .

ولابد من ان نسأل : هل كان بامكان المعجميين العرب ان يجمعوا بين الحفاظ على الصورة التي يريدونها للغة العربية ، وفتح الباب امام الجديد اللغوي ؟

أعتقد ان ذلك كان ممكنا ، وان السبيل اليه كانت ميسورة ، اذا ما راعوا ان يكون الجديد اللغوي مما يجري على قوانين اللغة ، ويخضع لنواميسها الثابتة .

واذا كان المعجم العربي القديم قد عزل نفسه عن حركة الحياة فان هذه الحياة ظلت تنمو وتتطور ، وبقيت العربية تستجيب لهذا التطور ، وتعمل على مسايرته ، ولكن ذلك لم يظهر في المعجم ، بل ظهر في مؤلفات العلماء من اطباء وفلاسفة ومتصوفة وفقهاء واصوليين وفلكيين ومهندسين ورياضيين ، وظهر ايضا في دواوين الشعراء ورسائل الادباء ومجاميعهم ومقاماتهم ومحاضراتهم واملاءاتهم .

ولابد لنا من الاشارة هنا الى ان الجديد اللغوي الذي اعرض عنه مؤلفو المعجمات قد سمي مرة (المولّد) وسمي اخرى (المحدث) وهما لفظان يتساويان في الدلالة عند اكثر النقاد واهل اللغة ، فقد عرفه الزبيدي في

مختصر العين : « المولد من الكلام المحدث »[٦] . وقال السيوطي في تعريفه : « ما احدثه المولدون الذين لا يحتج بالفاظهم ، والفرق بينه وبين المصنوع ان المصنوع يورده صاحبه على انه عربي فصيح ، وهذا بخلافه »[٧] . وجاء في لسان العرب : « سمي المولد من الكلام مولدا اذا استحدثوه ولم يكن من كلامهم فيما مضى »[٨].

على ان المعجمات لم تستطع اغفال الجديد او المولد اغفالا تاما ، بل تسرب منه اليها شيء قليل ، مما دعا مؤلفيها الى التنبيه عليه ، لئلا يُظن بهم أنهم يساوونه بالعربي الذي تكلمت به الفصحاء في عصور الاحتجاج .

ولا تحسَبَنّ ان الجديد اللغوي لا يمت الى العربية بنسب ، فأكثره مأخوذ من مواد لغوية عربية ، ومفرغ في اوزان وابنية عربية ، وبعضه مأخوذ من لغات اجنبية ، بعد ان صيغ في قالب عربي ، واتخذ لنفسه وزنا عربيا ، وقسم ثالث من هذا الجديد كان عربيا جرت به ألسنة الفصحاء لكنه تطورت دلالته ، واضفي عليه معنى او معان جديدة على سبيل التوسع والمجاز . وبهذا الصنيع استطاع العرب ان يطوعوا لغتهم لحياتهم ، ويجعلوها وافية بمطالب فكرهم ومعاشهم ، فكانوا بذلك اعرف باللغة وطبيعتها من مؤلفي المعجمات ، فقد عرف العلماء والادباء « كيف يستغلون المادة اللغوية الموروثة ، فاشتقوا منها وولدوا وعربوا ووسعوا الحقول الدلالية للالفاظ ليعطوها حياة جديدة ، وطعما معاصرا ، وشحنوها بطاقات نفخت فيها حرارة الروح مستغلين في ذلك كل ما تسمح به القوالب والاوزان والصيغ والابنية الصرفية لا يخرجون عنها إلا عند الضرورة القصوى ، اي عندما لا تساعدهم الابنية الموجودة على اداء الفكرة او المعنى المطلوب ، ثم انهم اشاعوا هذه الالفاظ والمدلولات الجديدة

(٦) المزهر : ١/٣٠٤ .
(٧) نفسه .
(٨) لسان العرب (ولد) .

في مؤلفاتهم ودواوينهم ، واما اصحاب القواميس فظلوا في الغالب حريصين على ان يقفوا موقف المتفرج على هذه الحياة الجديدة ، التي تنعم بها اللغة ، وسعه العيش التي رزقتها ، ويأبون ان يعترفوا بالامر الواقع »[٩].

وازاء صمت المعجمات العربية عن المولد او الجديد اللغوي ، نهض بعض المستشرقين بجمع هذا الجديد من مظانه ، محاولين بذلك استكمال النقص الحاصل في معجماتنا القديمة ، ثم افردوا له كتبا سموها (تكملة) للمعجمات العربية ، او (ذيلا) لها ، وما عمل (دوزي) و (ادوارلين) ببعيد منا في هذا المجال . ولكن اعمال المستشرقين لم تستطع ان تستقصي كل ما اغفلته المعجمات القديمة من الفاظ الحضارة العربية الاسلامية ، فما زال هناك متسع لجهود لغويينا المعاصرين ، ليكملوا ما بدأه المستشرقون ، ويستدركوا ما فاتهم من هذه الالفاظ .

وثمة امر آخر لا يستطيع المستشرقون النهوض به ، وهو استقصاء ما قصّرت فيه المعجمات القديمة من مادة لغوية صاغها شعراؤنا وكتابنا الذين عاشوا بعد عصور الاحتجاج ، وهو امر لايزال أملا يخامر نفوس اللغويين العرب المعاصرين ، ولكنهم لم يحظوا في سبيل تحقيقه الا خطوات محدودة .

وسأحاول في هذا البحث ان انبه على ما اغفلته المعجمات العربية مما ولّده ابو حيان التوحيدي في كتاب واحد من كتبه ورسائله الكثيرة ، هو كتابه المشهور (مثالب الوزيرين) .

وقبل ان امضي في هذا الامر اريد ان انوه بما صدر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة من « قرارات تبيح استعمال الجديد وادخال المولد في المعجمات ما لم يكن هذا المولد خارجا عن اقيسة العرب ولا مجافيا لابنيتها واساليبها في

(٩) قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي : ١٨٥ ، ١٨٦ .

الاشتقاق والتعريب »[١٠] • وقد جرت المعجمات التي وضعها مجمع اللغة العربية في القاهرة ومنها المعجم الوسيط على هذا المنهج الصحيح ، وفعلت مثل ذلك المجامع العربية الاخرى ، ومنها المجمع العلمي العراقي ، الذي اصدر الكثير من المعجمات المتخصصة التي تضم جانبا من مصطلحات العلوم والفاظ الحضارة •

(٣)

ما اخل به المعجم العربي من الجديد في (مثالب الوزيرين)

إن من المعالم البارزة في حياة ابي حيان التوحيدي (٤٠٠هـ) اتصاله بابي الفضل بن العميد في الري ، وكان من كبار الساسة والادباء في عصره ، غير ان ابا حيان لم يحظ عنده ، ولم ينل ما كان يؤمل منه ، واتصاله بالصاحب ابن عباد في الري ايضا ، وهو وزير واديب ، غير ان حظه عنده لم يكن اسعد من حظه عند ابن العميد •

لقد عاد ابو حيان الى بغداد عام ٣٧٠هـ بعد ان جرّعه الوزيران مرارة الخيبة واذاقاه صاب الحرمان ، فالّف في ذمهما كتاب (مثالب الوزيرين) الذي اودع سطوره ما امتلأت به نفسه من حقد عليهما ، وبث في صفحاته من هجوهما والقدح فيهما ما لن تمحوه الايام •

إن ما كتبه التوحيدي في (مثالب الوزيرين) جاء صدى لاخفاقه في نيل عطاء ابن العميد وابن عباد ، والفوز برضاهما ، بعد ان قصدهما بأمل فسيح ، وصدر يعمره الرجاء ، ولكن « جرعة الحرمان — على حد قوله — امرّ من

(١٠) قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي : ١٨٧ بتصرف يسير .

جرعة الشكل ، وضياع التأميل امضى من الموت »[11] • حقق الكتاب ونشره في دمشق عام ١٩٦١ الدكتور ابراهيم الكيلاني •

لقد ضم كتاب (مثالب الوزيرين) قدرا لا يستهان به من المادة اللغوية التي تصرّف فيها ابو حيان التوحيدي ، واستعملها على غير الوجه الذي تجدها عليه في المعجمات ، والذي يلفت النظر ان المعجمات التي أُلفت بعده لم تذكر ما نال هذه الالفاظ على يديه ، لانها لم تُعن بغير لغة عصور الاحتجاج كما سلف به البيان ، فأخفت عنا بهذا العمل جانبا من تاريخ العربية ، ووجها من وجوه تطور طائفة من مفردات اللغة •

سأتناول فيما يأتي من هذا البحث شيئا مما وقفت عليه من مادة لغوية أحدثها ابو حيان التوحيدي ، واودعها كتابه (مثالب الوزيرين) ، وسأجعل هذه المادة في ثلاث فقرات ، اتناول في الاولى نماذج مما تصرّف فيه التوحيدي من جهة البنية ، واتناول في الثانية بعض ما تصرف فيه من الافعال من حيث التعدي واللزوم ، واعرض في الثالثة لجانب مما تصرف فيه من حيث الدلالة ، وسأرتب جميع ما اعرضه من مادة لغوية بحسب التسلسل الالفبائي •

(١) بعض ما تصرّف فيه التوحيدي من جهة البنية :

● انـف :

قال التوحيدي : « وان الحرّ الأنِف ••• » ص ٢٩ •

لم تشتق العرب من الفعل (أنِفَ) بمعنى استنكف صفة على وزن (فَعِل) ، والذي ذكرته المعجمات ان (الأنِف) هو الجمل الذي يشتكي أنفه لما يوضع فيه من خزامة او بُرَة او خِشاش او خِطام ، وقد شُبّه به المؤمن في الحديث الشريف ، اذ جاء فيه :(المؤمن كالبعير الأنِف) بمعنى انه

(١١) مثالب الوزيرين : ٢٥

لا يحتاج الى حث او عتاب او زجر ، فما لزمه من حق صبر عليه وقام به ، كما يكون البعير الأنف منقادا لا يمتنع على احد •

لم يقصد التوحيدي هذا المعنى ، وانما اشتق صفة على وزن (فَعِل) من الفعل (أنِف) بمعنى (استنكف) ، وهي صيغة لم تذكرها كتب اللغة ، فالذي اثر عن العرب انهم اشتقوا وصفا من الفعل (أنِف) على وزن (فَعُول) ، اذ قالوا : (رجل أنوف) اي شديد الأنَفَة •

● بقي :

قال ابو حيان التوحيدي : « وما في الإعراض عن اعراض الناس من السلامة والفائدة ، وما في مباقاتهم ومقارنتهم[١٢] والتوقير لهم من الراحة والعائدة » ص ١ •

علق المحقق الفاضل على كلمة (مباقاتهم) بقوله : « لم نقف على هذا المصدر في المعاجم التي بين أيدينا ، ولعل أبا حيان يريد من (المباقاة) المُفاعَلَة من الابقاء على الصحبة » •

وقد اصاب المحقق فالتوحيدي اجتهد في اشتقاق هذا اللفظ ، او لعله مما وقف عليه فيما رواه عن الاقدمين ، ولم يقع لاصحاب المعجمات •

● بهـو :

قال ابو حيان التوحيدي : « هذا مجلس يُبْتَهى بحضوره لشرفه ، ويُفخر بالكلام فيه » • ص ١٣٨ •

اراد التوحيدي بـ (يُبْتَهى) : يُفْتَخر ، غير ان المعجمات القديمة لم تذكر هذا اللفظ ، وذكره المعجم الوسيط • وهو امر يشير الى ان صيغة (افتعل) لم ترد عن العرب من مادة (بهو) ، فربما قاسها ابو حيان ، او وقعت

---

(١٢) هكذا اوردها المحقق ، ولعلها : ومقاربتهم .

له فيما رواه عن القدماء ، اما اللفظ المعهود في مثل هذه العبارة فهو (يتَبَاهَى) .

● ترح :

قال التوحيدي : « اغرُبْ ، عليك غضب الله الاترح ، الذي يلزم ولا يبرح » . ص ٨٦ .

جاء في المعجمات : التَرَح (محركة) : الهم وتَرِح (كفَرِح) : حَزِن وأترحه غيرُه وترّحه : أحزنه .

لقد صاغ التوحيدي صيغة (أفعل) التفضيل من الفعل الرباعي (أترح) وكان الاولى بالتوحيدي ان يقول : (عليك غضب الله الاشد إتراحا) ، غير انه جرى على عادته في التصرف في اللغة ، للوفاء بما اخذ به نفسه من توشية نثره بالسجع والازدواج .

● جرف :

قال التوحيدي : « المال مصبوب ، والخازن قائم ، والمفرّق مُجرِف » ص ٨٣ .

لم ترد كلمة (مُجرِف) فيما بين يديّ من معجمات . جاء في اللسان : (جَرَف السيلُ الشيء واجترفه وجرّفه وتجرّفه : ذهب به كله ، وكسحه . وجاء فيه : رجل مُجرَّف قد جرّفه الدهر ، اي اجتاح ماله وافقره . وبناء مِجرَف كثير الاخذ من الطعام) .

يتضح مما تقدم ان المحقق ان لم يهم في ضبط كلمة (مُجرِف) ، فان ابا حيان التوحيدي قد صاغ من هذه المادة فعلا رباعيا (أجرَف) واشتق منه اسم فاعل (مُجرِف) ، وهما مما لم تتكلم به العرب، ولم تروه المعجمات.

● جــزف :

قال التوحيدي : « فانك ان حرّفت في هذا بعض التحريف ، وجزّفت بعض التجزيف ، خرج معناك من ان يكون فخما نبيلا ، ولفظك من ان يكون حلوا مقبولا » . ص ١١ .

كلمة (جُزاف) معرّبة ، ومعناها الحدس في الشيء المبيع دون تقديره بوزن او كيل ، يقال : اخذته جُزافا ، او بعته جُزافا .

وقد اشتق العرب من هذه الكلمة فعلا فقالوا : (جازف في البيع او الشراء مُجازفة وجزافا) ، كما اشتقوا فعلين آخرين فقالوا : (اجتزف الشيء) و (تجزّف فيه) .

لقد احسن ابن منظور صاحب اللسان حين قال : الجُزاف والجِزاف : بيعك الشيء واشتراؤكه بلا وزن ولا كيل ، وهو يرجع الى المساهلة . فالذي يتتبع استعمال هذه المادة يجد انها انتقلت من مجال البيع والشراء الى المساهلة او المسامحة في كل شيء ، وهو ما لمحه اللسان في اصل الاستعمال . يقال : (جازف فلان في الامر) اي لم يأخذه بما يجب له من حذر ودقة وحسن تقدير . واما في لغتنا المعاصرة فقد انصرفت الى معنى (المغامرة) .

ان الفعل (جازف) هو الذي جرى عليه الاستعمال ، اما (اجتزف) و (تجزّف) فلم يحظيا بالشيوع . غير ان التوحيدي بما عُرف به من تصرف في اللغة اشتق فعلا آخر هو (جزّف) وقرنه بمصدره القياسي وهو (تجزيف) ، اذ لم تذكر كتب اللغة هذا الفعل ومصدره . ولعل ما اشرنا اليه من أن حرصه على تنميق نثره بالسجع والازدواج ، هو الذي حمله على هذا التوليد .

● خصص :

قال ابو حيان التوحيدي : « ومن خواص ما فيه حبه للعامة » •ص ١٣٦• جاء في كتب اللغة ان الخاص ضد العام ، والخاصة ضد العامة • وجاء فيها : هذا خاصّتي وهم خاصّتي •

أما خاصّة التي تعني ما يختص به الشيء دون غيره ، والجمع خواص فلم تتردد في المعجمات القديمة ، ولكن الذي ورد في كلام الادباء المولدين كالجاحظ والتوحيدي كلمة (خاصّيّة) وكلمة (خواصّ) ، جاءت الاولى في رسالة التربيع والتدوير : « وما هذه الخاصيّة التي منعت من هذا المعنى »[١٣] ، وجاءت الثانية في كلام التوحيدي الذي اثبتناه انفا •

وكما لم ترد في المعجمات القديمة (الخاصيّة) و (الخاصّة) وجمعهما الخواصّ كذلك لم تردد فيها (الخصيصة) و (الخصائص) ، بل جاءت هاتان الكلمتان في مدونات المولدين ، وحسبك ان لابن جني كتابا جليلا في فلسفة اللغة يدعى (الخصائص)[١٤] • وفي هذا ما يفيد ان المعجمات وقفت في مادتها عندما جمعه الرواة عما يسمى عصور الاحتجاج •

● خطب :

قال التوحيدي : « وأسعاهم بالفساد على الصغير والكبير ، وأخطبهم على الدين ، واضرّهم للمسلمين » • ص ١٠٠ •

---

(١٣) لغويات (محمد علي النجار) : ١٠٣ وينظر مصدره . دار الكتاب العربي بمصر د.ت .

(١٤) نفسه : ١٠٣ .

علّق المحقق الفاضل على (أخطبهم) بقوله : « كذا في الاصل ولعلها من الخطب وهو الامر المكروه » • وربما اصاب المحقق ، فقد يكون التوحيدي اراد هذا المعنى • ولكن لابد من الاشارة الى ان الجاحظ قال في احدى رسائله : « ومن أمتن اسبابهم الى الشر ، واقدحها في العرض ، واحطبها على الدين » • وقد علق ابراهيم السامرائي على (احطبها) قائلا : « الحَطْب الجمع للجيد والرديء والمراد الافساد كما يوحي بها كلام الجاحظ ، غير اني لم اجد في معجمات العربية هذا المعنى من مادة (حطب) ، ولم اجد قريبا منها الا قولهم : حاطب ليل وهو الذي يتكلم بالغث والسمين ، مخلّط في كلامه وامره ، لا يتفق كلامه كالحاطب بالليل الذي يحطب كل رديء وجيد لانه لا يبصر ما يجمع في حبله »(١٥)•

والان ، اي التعبيرين هو الصحيح ؟ اهو (أخطبهم على الدين) بالخاء الذي ورد في كلام التوحيدي ، ام هو (احطبهم على الدين) بالحاء المهملة الذي ورد في كلام الجاحظ ؟ النظر في المعجمات لا يسعف بالقطع ، ولكن الذي نميل اليه هو ان عبارة ابي حيان اقرب الى القبول ، فهي مأخوذة من (الخطب) وهو الامر المكروه ، وهي نفسها عبارة الجاحظ الا انها صحّفت بايدي النساخ ولم يفطن لها إبراهيم السامرائي ، اذ جاء تخريجه لها بعيدا ، واذا صح هذا فان صيغة (أفعل) التفضيل من (الخطب) مما اجتهد فيه الجاحظ واستحدثه ، وتابعه فيه التوحيدي ، لتأثره به ، وجريه في ريحه •

● خلق :

قال التوحيدي : « يناظر العامة هذا البقال وهذا الخباز وهذا الخلقاني وهذا الاسكاف » • ص ١٠١ •

---

(١٥) من معجم الجاحظ : ١٠٢ ، بغداد ١٩٨٢ •

تنطوي هذه العبارة على جملة من اسماء الحرف التي كانت معروفة في عصر التوحيدي ، وقبله ، وهي البقال والخباز والاسكاف والخلقاني • وهذه الاخيرة تعني بائع الثياب العتيقة ، وهي مأخوذة من خَلَق الثوبُ واخلق فهو خَلَق اذا بلي •

ان معظم اسماء المهن ليست من الفصيح الذي يضرب بجذوره في عربية العصور المتقدمة ، ولذا لم تشر اليها المعجمات •

● دخـر :

قال التوحيدي : « ويعاونون ••• بالمال المدخور ، والنصح المنخول »• ص ٢٢ •

يقال : ذَخَر (كَمَنَع) المال يذخَره ذُخْرا : اختاره او اتخذه ، ومنه الذخيرة والذُخْر • اما (دَخَر) بالدال المهملة كمنع وفرح دُخورا ودَخرا فصَغُر وذلّ ، ومنه قوله تعالى : (سُجّدا لله وهم داخرون) النحل : ٤٨ •

ومن هذا يتضح امران : احدهما ان (مدخور) مصحّفة وصوابها (مذخور) ولكن المحقق الفاضل لم يفطن لذلك • والاخر ان (مدخور) صحيحة ، وان التوحيدي اخذها من (ادّخر) التي اصلها (اذتخر) • ولا استبعد ان يجتهد ابو حيان هذا الاجتهاد •

● ذوى :

قال ابو حيان التوحيدي : « ويعود ذويّ الدين ناضرا ، وخامل المروءة نبيها » • ص ٥٦ •

وقال : « حتى صار لذلك •• منّانا بالقليل ، معظّما للتافه النـزر ، وذويّ الدين » • ص ٢٠٠ •

جاء في كتب اللغة : ذوى العود (كرمى ورضي) ذُوِيّا اي ذبل ومنه عود ذاو ، وعيدان ذاوية .

وواضح ان (ذَوِيّ) على وزن فعيل ، وهو مالم يرد من هذا الفعل ، ويبدو ان التوحيدي استحدثه ، على جاري عادته في التصرف في اللغة .

● سكع :

قال التوحيدي : « رَدَعه وحاجّه ، وراجعه وضايقه وساكعه » .ص٧٩.

جاء في كتب اللغة : سَكَع الرجلُ يسكَع سَكْعا وتسكّع : مشى متعسفا ، لا يدري اين يتجه ، ورجل سُكَع متحيرّ وهو ضد (الخُتَع) اي الماهر بالدلالة . ومنه قولهم : (فلان في مَسْكَعة) اي في مُضلّلة ، لا يهتدي فيها الى وجه .

وعلى عادة التوحيدي في التصرف في المفردات فقد استحدث بناء (فاعَلَ) من (سكع) فقال : (وساكعه) اي جاراه في السَكْع ، اي اعتساف النقاش، والاخذ فيه على غير هدى ولا بصيرة .

● سيل :

قال التوحيدي : « يُنشد هذا وهو يتطاير ويفتل يده ويتسيّل ويصفّق » . ص ١١٦ .

وقال : « وهل رأينا ثم إلا الرقاعة والتدفق والجنون والهذيان والتسايل والتمايل » . ص ١٤٦ .

اريد ان اقف عند (يتسيّل) و (التسايُل) فعلى الرغم من ان الفعل (سال) لم يرد منه (تفعّل) و (تفاعل) ان اسناده الى الانسان غير معهود ،

ولكن ابا حيان اديب لغوي ، فأما ادبه فيملي عليه استعمال المفردات بعلاقات جديدة ، واما علمه باللغة فيتيح له ان يجتهد فيها ، ويستنبط من الصيغ والمفردات ما يحجم عنه غيره •

● عير :

قال التوحيدي : « فيعطي من كان اخف روحا عنده ، واحلى شمائل ، وألطف فضلا ، واعير قولا » • ص ٦٤ •

جاء في كتب اللغة : عار الفرَس اذا ذهب على وجهه وتباعد من صاحبه ، وعارت القصيدة سارت ، وقد اراد التوحيدي بقوله : (أعير قولا) : أسيَر قولا ، ولعل اشتقاق صيغة (أفعل) التفضيل من (عار) مما قاسه ابو حيان •

● فشر :

قال التوحيدي : « والسبّ المؤلم ، والكلام الفاشر » • ص ٢٨ •

الفُشار : الهذيان ، وهو كلام العامة ، ولذا اهملته اكثر المعجمات • ويبدو ان التوحيدي اشتق منه فعلا هو (فَشَرَ) وجاء منه باسم فاعل هو (فاشر) •

● فضغ :

قال التوحيدي : « ويطوّقون بكل خزي ومَعَرّة ، ويواجهون بكل شنعاء مُفْضِغَة » • ص ٢٣ •

جاء في كتب اللغة : فَضَغ العود هشمه ، ورجل مِفْضَغ (كمنبر) : يتشدق ويلحق كأنه بفضغ الكلام • فالفعل اذن ثلاثي واسم الفاعل منه (فاضغ) و (فاضغة) • وأما (مُفْضِغ) و (مُفْضِغَة) فيقتضي ان الفعل

رباعي على زنة (أفْعَل) وهو مالم يرد في المعجمات • وقد شرح محقق مثالب الوزيرين (مُفْضِعَة) بقوله : « من فَضَع العود كمنع : هشمه » • وهذا وهم اذ لا يأتي (مُفْعِل) من (فَعَل) •

● نكـل :

قال التوحيدي :« أفيل الناس رأيا اذا ارتأى ، وانكلهم عن الخصم اذا تراءى » • ص ١٠٠ •

اراد التوحيدي بقوله : (أنكلهم) انكصهم واجبنهم ، فقد جاء في كتب اللغة : نكل مثل (دخل) عن الخصم واليمين نُكولا : نكص وجبن ، ونكل فلانا عن حاجته : دفعه • والنكال العبرة ، يقال : نكّل بفلان : عاقبه عقوبة اذا رآها غيره خاف ان يعمل عمله • ولم تذكر كتب اللغة اسم التفضيل من (نكل) بمعنى (نكص) ولاشك في ان التوحيدي قاسه ، ان لم يكن قد وقع له في مروياته •

(٢) بعض ما تصرف فيه التوحيدي من الافعال من حيث التعدي واللزوم :

● حـذر :

قال التوحيدي : « ومتى كان ذكر المهتوك حراما ، وتحذير الناس من الفاحش المتفحش جهلا » • ص ٤٩ •

من المفيد ان نلاحظ هنا ان بعض النقاد اللغويين المعاصرين يخطئون من بعدي الفعل (حذر) مجردا او مزيدا بحرف الجر (من) اعتمادا على ان هذا الفعل بماضيه ومضارعه وامره جاء في القرآن الكريم تسع مرات متعديا بنفسه ، من ذلك قوله تعالى : (ويحذّركم الله نفسه) آل عمران : ٢٨ ، واعتمادا على ما جاء في الصحاح والاساس واللسان والتاج ، ولكن العدناني

اجاز تعدية (حذر) بحرف الجر (من) اعتمادا على المعجمات الحديثة كمحيط المحيط ومتن اللغة والمعجم الوسيط[١٦].

ومن المناسب ان يكون هذا النص لابي حيان شاهدا على إغفال المعجمات القديمة تعدية الفعل (حذر) بـ (من) ، ومعززا ما ذهب اليه العدناني .

● رفـل :

قال التوحيدي : «وسحبت ذيلك عليه ، ورفلتَ اعطافَك فيه» .ص١٢.

جاء في كتب اللغة : رَفَل (كنصر وفرح) رَفْلا ورَفَلا جرّ ذيلـه وتبختر . ورفل في ثيابه يرفل : اذا أطالها وجرّها متبخترا وأرْفَل ثوبه : ارخاه وارسله .

يتضح مما تقدم ان (رفل) لازم ، وان تعديته تكون بالهمزة ، امـا التوحيدي فقد استعمل (رفل) المجرد متعديا ، وهو ما لم تذكره المعجمات . ولعل ابا حيان ضمّنه معنى الفعل (سحب) .واما (الاعطاف) فواحدها (عِطْف) و (عِطْف كل شيء جانبه) ومنه (عِطْف الثوب واعطافه : جوانبه) .

فعبارة التوحيدي اذن تكون ادق لو قال : (وأرْفَلْت اعطاف ثوبك فيه) ، فهل لنا ان نستدرك على امير البيان في عصره ؟ واما ترك (الاعطاف) مضافة الى ضمير المخاطب فتوهم ان ابا حيان اراد (عِطْف) الانسان وهو من لدن رأسه الى وَرِكه ، يقال : ثنى عِطْفَه : اعرض ، ومر ينظر في عِطْفه: مر معجبا بنفسه . واذا كان الامر كذلك فللانسان (عِطْفان) لا (اعطاف) ثم ان المعنى لا يستقيم به .

---

(١٦) معجم الاخطاء الشائعة (محمد العدناني) : ٦٣ ، ط٢ ، ١٩٨٠ .

● سحل :

قال التوحيدي : « ليُسْخِن الله به عين السائل ، ويسخّم وجهه ، ويُسْحِل عينه » • ص ١٧٤ •

تنصرف مادة (سَحَل) الى معان كثيرة منها (سَحَل الخشبَ) قشره والحديدَ برده • ومنه (المِسْحَل) وهو المبرد ، ويطلق على اللسان والخطيب والبليغ • و (السُحالة) ما يسقط من الخشب والحديد والذهب والفضة وقشر البر والشعير • ومن هذا (الساحل) وكان القياس ان يسمى (المسحول) لان الماء يسحله اي يقشطه • وقد وردت كلمة (الساحل) في القرآن الكريم (فلْيُلقه اليَمُّ بالساحل) • طه : ٣٩ •

و (سَحَل) كمنع وضرب سَحيلا وسُحالا : نهق ، ولذلك سمي الحمار (مِسْحَلا) • و (سَحَلَت العينُ سَحْلا و سُحولا : بكت) • وقد استعمل التوحيدي (سحل) في النص المتقدم بمعنى (بكى) ولكنه اورده متعديا ، وهو ما لم تذكره كتب اللغة ، فكان هذا من قبيل ما عُرف به من التصرف في الصيغ والمفردات ، مستفيدا في ذلك هنا من ظاهرة (القياس) فتعدية اللازم بالهمزة مما كثر في العربية ، حتى اقر مجمع القاهرة قياسيته •

● عبأ :

قال التوحيدي : « فان لم تعبأ بما تسمع مني ، فاعبأ لمن لعله عندك أشفُّ مني » • ص ١٠٦ •

يمنع بعض النقاد اللغويين قولهم : (ما اعبأ له) اي ما أحْفِل ، ويرى ان الصواب (ما اعبأ به) اعتمادا على قوله تعالى : (قل ما يعبأ بكم ربي) الفرقان : ٧٧ واستنادا الى ما جاء في كتب اللغة[١٧]•

(١٧) الكتابة الصحيحة (زهدي جار الله) : ٢٢٥ ، ط٣ ، ١٩٨١ .

واما التوحيدي في عبارته المتقدمة فقد عدّى الفعل (عبأ) بالباء مرة وباللام مرة ، فهل نستطيع ان نعد هذا شاهدا على جواز الوجهين ؟

● علـق :

قال التوحيدي : « ولم يترك قبيحة إلا أعْلقَها محمدا ، ولا حسنة إلا منحها أحمد » • ص ٣٧ •

جاء في كتب اللغة : عَلِقَه (كفرح) وبه عُلوقا وعِلْقا بالكسر وعَلَقا بالتحريك • ويقال : اعلق الصائدُ : علق الصيدُ بحِبالته • وأعلق فلان : صادف عِلْقا من المال ، وأعْلَق ظُفْرَه بالشيء : انشبه فيه ، واعلق الشيء بالشيء علقه به ، وأعَلْقَ السيف : جعل له عِلاقة •

يتضح مما تقدم ان (أعلق) يستعمل لازما بالمعاني المشار اليها ، ويستعمل متعديا للمفعول الاول تعدية مباشرة وللثاني بالباء • غير ان التوحيدي استعمله متعديا لمفعوليه تعدية مباشرة ، وهو من قبيل ما عرفنا عنه فيما مضى من تصرف في اللغة • ولو جرى على ما ذكرته المعجمات لقال : (لم يترك قبيحة إلا أعْلَقَها بمحمد) •

● مـين :

قال التوحيدي : « فانك ان عولت على ذلك خانك وشانك ، وفضح حالك ومانك » • ص ٧٣ •

استعمل التوحيدي الفعل (مان) بمعنى (كذب) متعديا قائسا إياه على (كذب) ، اما المعجمات فلم تورده متعديا ، ففيها : مان يمين مينا : كذب فهو مائن ومَيُون ومَيّان ، وتمايَنَ القومُ : تكاذبوا •

(٣) بعض ما تصرّف فيه التوحيدي من حيث الدلالة :

● بلــق :

قال التوحيدي : « وكان اذا سمع منه كلاما يسجع فيه ، وخبرا ينمقــه ويرويه ، يبلق عينيه ، وينشر مَنْخِريه » • ص ١٣٣ •

جاء في كتب اللغة : بَلَقَ الباب : فتحه كله • ومعنى ذلك ان الفعـــل يعني فيما يعني (الفتح) ، ويستعمل للابواب دون غيرها • ولكن التوحيدي عبرّ به عن فتح العينين ، ولعله متأثر في هذا باستعمال العامة في عصره•ولايزال العامة في العراق يقولون : (بلق عينيه) ، وربما قالوا : (بحلق) • امـــــا استعماله مع (الباب) فيبدو انه مما اميت في لغتنا المعاصرة • وتجدر الاشارة الى ان فيه لغة اخرى هي (أبلق) •

● خبــل :

قال التوحيدي :« لعن الله الفقر فهو الذي يخبل المروءة ، ويقدحُ في الديانة » • ص ٧٥ •

اراد التوحيدي بــ (يخبل المروءة) : يُفسدها • والذي يرجع الى مادة (خبل) في المعجمات يجد انها تعني فساد الاعضاء • فقد جاء في المقاييس : ان الخاء والباء واللام اصل واحد يــدل على فساد الاعضاء • فــ (الخَبَل) : الجنون ، وهو فساد العقل ، و (خَبِلَت يدُه) اذا قُطعــت أو شَــلّت ، قال الشاعر :

أبني لُبَيْــن لَســتُم بيدٍ   إلا يــداً مخبــولــة العضــد

أي مُفْسدة العضد ، وقد صرح ابن سيدة بأن (الخَبْل) هو فساد الاعضاء•

ويبدو ان أبا حيان قد تصرف في استعمال هذه المادة ، اذ نقلها مـــن التعبير عن فساد المحسوسات من اعضاء الانسان الى فساد المعقولات ، اذ عبر بها عن فساد المروءة ، وهذا ما يُعرف بعلم اللغة الحديث بتعميم الدلالة •

ومن عجب ان الزمخشري لم يشر في اساس البلاغة الى هذا الاستعمال الجديد للفعل (خبل) ، واكتفى بدلالته على فساد الاعضاء ، على الرغم من عنايته بالمجاز •

● صلف :

قال التوحيدي : « انظروا الى نبهه وصلفه ، ومدحه لنفسه ، واستبداده برأيه » • ص ١٦٦ •

لقد شهد الفعل (صَلِف) وما يشتق منه من وصف ، تطورا دلاليا ، فحين قال ابو تمام يصف فرسا :

ما مقرب يختال في أشطانه   ملآن من صَلَف به وتَلَهْوق

خطّأه الآمدي لانه استعمل (الصلف) بغير المسموع من معناها ، قال الآمدي : « قوله : (ملآن من صلف به) يريد التيه والتكبر ، وهذا مذهب العامة في هذه اللفظة ، فأما العرب فانها لا تستعملها لهذا المعنى ، وانما تقول : قد صَلِفَت المرأة عند زوجها اذا لم تحظ عنده ، وصَلِف الرجل كذلك اذا كانت زوجته تكرهه والصَّلِف الذي لا خير عنده»(١٨) •

ويبدو ان التوحيدي استعمل (الصَلَف) بمعنى التكبر والتيه والعجرفة، أي بالمعنى الذي انتهت اليه في عصر ابي تمام • وكان الجاحظ استعملها بهذا المعنى ايضا فقال : (ابتاع فتى صَلِف" بذّاخ جارية)(١٩) • ولايزال (الصَلَف) في العربية المعاصرة تستعمل بالمعنى الذي استعمله فيه ابو تمام والجاحظ والتوحيدي •

---

(١٨) الموازنة (الآمدي) : ١/٢٣٤ تح : السيد صقر ، دار المعارف بمصر .
(١٩) من معجم الجاحظ (ابراهيم السامرائي) : ٢٤٧ بغداد ١٩٨٢ .

● ضـيف :

قال التوحيدي : « فلو أكملت فضائلك بأن تضيف اليها معرفة البرهان القياسي » ص ١٥٧ .

ينصرف معنى الفعل (أضاف) في كتب اللغة الى معنى (الإسناد) او (النسبة) و (الميل) ، يقال : اضاف اليه امورا اذا اسندها اليه ، وما هو إلا مُضاف اي دَعيّ منسوب الى من ليس منهم . ويقال : ضافت الشمسُ تَضيف : مالت ، وكذلك تضَيَّفَت اذا مالت للغروب ، وفي الحديث (انه نهي عن الصلاة اذا تضيّفت الشمس للغروب) وضاف السهمُ عن الهدف يَضيف .

يتضح من ذلك انه ليس من معاني هذا الفعل (زاد) وهو المعنى الذي انصرف اليه في لغتنا المعاصرة . ولذا وجدنا مصطفى جواد يخطّئ من يستعمله بهذا المعنى . ويرى ان فصحاء الامة استعملوه بمعنى النسبة[٢٠]. ومما اورده من الاقوال شاهدا على ذلك قول ابي حيان التوحيدي : « وهذه كلها غليظة بالاضافة الينا وفوق الدقيقة بالاضافة الى اعيانها »[٢١] . وقوله : « والطبيعة وان كانت ضعيفة بالاضافة الى العقل ، منحطة الرتبة ، فانها قوية فينا »[٢٢].

غير أن أبا حيان التوحيدي نفسه استعمل (أضاف) في نصه الذي اثبتناه آنفا بمعنى (زاد) ، فمعنى قوله (تضيف اليها) : تزيد عليها . أفلا يدل هذا على ان دلالة هذا الفعل على الزيادة نشأت قبل عصرنا ؟ ثم ألا يكفي استعمال ابي حيان لتصحيح ما خطأه مصطفى جواد ؟

(٢٠) قل ولا تقل (مصطفى جواد) : ١٠٤ ، ط١ ، ١٩٨٨ .
(٢١) نفسه . وينظر مصدره .
(٢٢) نفسه : ١٠٤ ، ١٠٥ وينظر مصدره .

● عيف :

قال ابو حيان عن الفقر : « وان الحر الأنِف ، والكريم المتعيّف ، من مقاساته ، والتجلد عليه لفي شغل شاغل » • ص ٢٦ •

ينصرف الفعل (عاف) الى الكراهة ، يقال : عاف الطعام والشراب يعافه عَيْفا وعيافا واعتافه اذا كرهه • ومن هذا عِيافه الطير وهو زجرها لمعرفة مساقطها ، فيسعد العائف بذلك او يتشاءم • وقد قيل للذي يتكهّن بالطير : عائف ومتعيّف •

وواضح ان التوحيدي لم يرد بـ (المتعيّف) المتكهّن بالطير ، او المتشائم ، وانما اراد (الكاره) ، ذلك انه كان يتحدث في عبارته المتقدمة عن الفقير الحر الكريم الذي يأنف مما في ايدي الاغنياء ، ويعاف سؤالهم ، مؤثرا مقاساة الفقر ، والتجلد عليه • ولابد من الاشارة الى ان كتب اللغة لم تذكر (تَعَيَّف) و (متعيّف) من (عاف) بمعنى (كره) وانما جاء فيهما ان (تعيّف) : تكهّن بالطير ، والفاعل منه (متعيّف) ، واذا كان الامر كذلك فان ابا حيان قد استعمل هذه الكلمة بدلالة الكره ، وهو مما ولّده هذا الناثر الكبير •

● قـرِح :

قال التوحيدي : « واني لاظن ان عقل كل احد كان ممزوجا ، وكان عقله قَراحا » • ص ٢٥٧ •

المعروف ان (القَراح) هو الماء غير الممزوج بشيء من سويق ونحوه • أما التوحيدي فقد استعمله هنا بعلاقة جديدة فجعله صفة للعقل الخالص • واستعماله هذا طريق يدل على تصرفه في دلالة المفردة ، وخروجه بها عما ألفت من سياق •

● لهــج :

قال التوحيدي : « وليس إلا الصبر فانه مفتاح كل باب مُرْتَج ، وبرود كل حرّان مُلْهَج » • ص ٢٥ •

اراد التوحيدي بـ (مُلْهَج) : ممنوع من الشرْب • ان الاصل في استعمال (مُلْهَخ) للفصيل ، اذ يقال : لَهِجَ الفصيلُ بامه اذا اعتاد رضاعها فهو لاهج ويقال : ألْهَج الراعي او صاحب الابل الفصيل : اذا جعل في ضرع امه خلالا لئلا يصل الى الرضاع ، فالفصيل مُلْهَج ، والهمزة فيه لاعدام الشيء او سلبه ، اي لمنع لَهَجِه بالرضاع •

لقد نقل التوحيدي (مُلْهَج) من مجال استعمالها ، فوصف بها كل عطشان ممنوع من الشرب ، مُحَلأً عنه فصيلا كان او غيره « وهذا تصرّف في اللغة ، عوّدنا إياه ابو حيان ، ووقفنا على امثلة كثيرة منه فيما تقدم ، بعضها يتصل ببنية المفردة ، وبعضها يتصل بدلالتها •

THE OLD ARABIC LEXICON AND LITERARY WRITINGS
THE DEFECTS OF THE TWO MINISTERS AS A SAMPLE

by

Dr. Na'ama Rahem Al-Azawy

ABSTRACT

This research handels the method of the old lexicogrphes which was based on three criteria : the time criterion, the place criterion and the true criterion. As a result of this selective method, the old Arabic lexicon didn't include all what was spoken by the Arab. This has make the modern lexicgraphers find themselves to be obliged to add new things to the preceding lexicons and tackle the aspects that has been ignored by the old lexicons.

The method of the old lexicographers brought about another matter. The old lexicons were limited to the spoken language uttered by the eloquent people many centuries ago. This means that the Arabic lexicon hasn't received any utterances of civilization and scientific terms since the third century.

Not only has the Arabic lexicon neglected the utterances of civilization and scientifica terms, but also it has neglected all what has been produced by the literators whether they are poets or writers in the periods that followed the era of eloquence referd to.

This research has considered the book titled "the defects o the two ministers" written by Abo Hyian Al-Towhedy as an example for some linguisticuses that were neglected by the old Arabic lexicon. Such a research has mentioned some sample about the linguistic national written by Abo Hyian Al-Towhedy which have remained faraway from the material of the Arab lexicon.

ALALAYLY LEXICON

by

Dr. Abdulla Al-Juboori

ABSTRACT

During the Modern Age, a linguistic movement, which attached importance to the compiliation of linguistic lexicons, depending on the "body" of Arabic language, had emerged. This movement tried to utilize scientific terminologies and of cultural progress so as to introduce its lexical out come in away that all people would linguistically and culturally make use of it. Among those scholars who were representing the foresaid movement, is sheik Abdulla el-Alayli (1914—1998) who spreads among people two new lexicons : el-Mu'jim (Vol 1, 1954) and el-Marjie (Vol. 1, one part — 1963). Through this speech, I tried to define these two lexicons, pursuant to the basis upon which their compiler rested concentrating on the lingnistic efforts he exerted when compiling : "el-Mu'jim", which was actually one of the scientific methods followed in the compiliation of lingnistic lexicons.

Arab was tring and serousness in his course and the planning in drawing its, the reader does not find agreement in the style of this, the methods of interpretation and in system of material structure but he find that each author has his own style and his specific textual which prove that the genunism and novelty are specific feature for each one of them.

If Al khalil has put his lexicon in the arrangemnt on Al Makarj with materials conversing and reference to what is neglected and what is used from Arab's speech, and Ibn Duraid has taken (in Alifba's and concentrated on the idea of convering. Ibn Fares has put his book according (Alfb's) but he walked on course of materials structure, No one followed him in this course either after him or before him.

Arab lexicon represents real life portrait about genunine Arab think, which has not immitation in it and it was not effected in what other nations have of authorship in this aspect.

THE CHARACTERISTICS OF ARABIC LINGISTIC LEXICON AND THEIR TEXTUAL FEATURES

Dr. Rashid Abdul-Rahman Al-Ubaidi
Saddam University of Islamic Sciences

Abstract

This subject reveals the textual features and charcterstics which Arab lexicon recognized in it during liguistic authorship Ages about Arab scholers, since the thought began to put Arab lexicon. It contains the vocabulries of Arabic langauge and its interpretation and reference to Arab's speech either prose or poetry in explanation the meaning of Arabic words.

It is known that Ibn Abbas has put first touches for Arab lexicon when he was asking about the vocabularies of holy Quran and the people asked him to give its meaning and witnessess in second century (A.M).

And then the operation authorship for first Arab lexicon in the second emigrational century, it is Al jeem for Abi Amru Al Sheibany (210 A.H) and after it the book Al ein for bin khalil Farahidy (175 A.H.). After these lexical there were a group of Arab according varied lexical courses like Alifba's school, school of Makarj of sounds and the school of subjects and meanings which as Tafia for Bandigee (284 A H), gemhara for Ibn Duraid (321 A H), Sihah for jawihre (398 A H) and etc in Alifba's like Takmila for khazraijy (327 AH) Hasahil for Bukary (39 AAH), Al Thdib for Alizahry (370 AH) and other in Makherj of sounds like gareeb Al musanif for Ibi Obaidah (224 AH), Al Mukhsas˙ for Ibn Sida and others of in meaning and subjects.

ARABIC DICTIONARY
CONTENTS AND ARRANGEMENT APPROACH

by

Prof. Dr. Mohammed Dhari Hommadi

Member of the Academy of Sciences — Baghdad

Baghdad University – College of Arts

ABSTRACT

This research paper is concerned with the contents of the Arabic dictionary. These contents include the original classical Arabic language in addition to the developed part of the language. On the whole Arabic dictionaries diffre in their contents of the two parts of the language mentioned above. There are general dictionaries which contain all the vocabulary of the general Arabic language. There are also specialized dictionaries for all limited parts of the Arabic vocabulary.

The paper also discusses the different ways to arrange the contents of the dictionary. There are two main approaches of arrangement either according to meaning of the word or according to its pronunciation. The emphasis in this paper is to analyze in detail the pronunciation approach to arrange the dictionary.

TOWARDS A MODERN DICTIONARY

by

Dr. Ahmad Matloob

Member and Secretary General of the

Academy of Science

ABSTRACT

This research touches briefly on the present state of the Arabic dictionary, then it draws a plan for a modern Arabic dictionary that meets present-day needs. The research represents a personal view which has been formed throughout years of dealing with Arabic dictionaries. The methodology suggested for this dictionary is to lighten it of archaic words and terms which are found in old dictionaries. The modern dictionary suggested here will meet the needs of contemporaries who are concerned with Arabic.

BAGHDAD, ARABIC IN ITS OLD FIRST CENTURIES PHONOLOGICAL FEATURES

Prof. Dr.

Muhii-eddeen Tawfeeq Ibraheem

ABSTRACT

This is a research works on the relation between this dialect and standard Arabic with an account of its phonological development and its relation with the other varieties of Arabic known at that time. The research has shown that most of what has been written in the books of 'syntactic deviation' and language rectification' concerning phonological changes is related to this dialect, besides some other semantic and syntectic changes.

The research has also shown that, at the time of its foundation, the Baghdadis were using a variety of Arabic which is so close to the yameni variety that the books of linguistics talked about. Such a variety involved processes such as the change of the /d3/ sound into a sound between /d3/, /q/ and /k/ as is the case with the sound used by Modern yamenis and northern Egyptians. But this variety has never the less kept a lose relation with the standard Arabic.

THE ORGINALITY IN SCIENTIFIC RESEARCH CONTEMPORARY PROBLEM IN IRAQ

Dr. Muthna Abdul-Rezaq Al-Omar
Baghdad University — College of Education for Women

ABSTRACT

Science is the systematic knowledge in all fields of humanitarian information including pure and applied fields. It is generally accepted fact that scientists are categorized into different levels, and it is obligatory for university staff members to proof their capabilities by scientific promotion which includes publishing original works to fulfil the promotion requirement, in order to rise to a higher level. Carrying on successful scientific research does not need genius as much as the correct methodology and using such methdology must lead — in a way or another — to an original scientific work otherwise it would not be accepted for publication. Therefore, originality is not a fixed, well defined concept having the same value for all works, but it is — in turn — categorezed into different degrees. The aim of this work is to explain this fact in order to recommend using it in the scientific promotion of University Staff members, instead of using "original or not" concept.

The second topis :

He tried to weaken the reloellious tribes purpose, so he considered their rebel was as a rage against God, because Safe Al-Dawfa, was fighting a neligious was against the Romans, more over the means of fighting the tribes, for example (the camelse) were not fit for war. Safe Al-Dawla trinumphed over many strongest tribes than these his military record was a writress for disheartening the tribes and rais the spirit of Safe Al-Daawla and his soldiers.

The third topic :

He stopped on the challenges of the christians against muslims their war was religious, so he emanated the religious feelings as a way of contention and he stopped on frightening feelings which inflicted on them by Safe Al-Dawfa, so they were striked with what is called (League of war) fighters and vingins. He expased three sad psychological senery of the deputation of negotiated regmans to weaken their spirits before the waited intermission negotiation, and this is considered one of the rolls of the psycholoegrical war in our days.

THE PSYCHOLOGICAL FACT AND ITS ROLL IN THE PETRY OF WAR BY AL-MUTANABI, A CRITICAL STUDY

by

Dr. Hassen Raba'a
Prof. Assistante Jarash University
B.O. Box (311) Jarash-Jordan

ABSTRACT

The research is divided into an introduction and three basic topics they are as following:

1. The psychological factor and the enlargement of the image of saife Al-Dawla by prapogarda.
2. The psychological factor and its roll in fighting the rebellious arabian tribes ageinst safe Al-Dawla.
3. The psychological factor and its roll in Al-Mutarabi's Rumiat.

The introduction:

In indicated in it that the psychological factor had many stages which listed in the arrangement of the psychological war.

The first topis : The most important roll in it is the enlargement of the image of salfe al-Dawla with his sward, as an invader to the Romans in all his liste, it is about his name, sur- name, his religious war to glorify Islam, some of his military characteristics, like mobilising, and the readyness for fighting his love for secrificing, his redemption for his army, all these are mentioned in this chapter, beside some this soldiers military charactristics.

CONSULTATION IN ARAB-ISLAMIC SYSTEMS

by

Prof. Tawfeek S. Al-Youzbaki, Ph.D.

College of Arts, University of Mosul,

Mosul — Iraq

ABSTRACT

Consultation was a common social and political practice among the Arabs before Islam. With the advent of Islam, it become an integral part of the rules of Islamic Sharia. The Glorious Quran contains two verses urging Moslems to consult : (Their affairs should be conducted after consultation) and (Consult them in your affairs).

The prophet's practices were inspired by the Quran. So, prophet Mohammed used to consult with his companions on the affairs of Moslems. In the Orthodox, Caliphate era, consultation was the key to solve all crises the Moslems encountered. In the Ummayyad and Abbasid ages, consultation was crucial in dealing with many issues. The Caliphs of the time sought the help of men of learning and knowledge.

THE HISTORICAL ROOTS OF SOME
ISLAMIC SANCTIONS

by

Prof. H.Y. Al-Mallah

ABSTRACT

The research tries to study the roots of some Islamic sanctions, such as homicide, theft, robbery, adultery, and driking wine. Islam legislated some strict sanctions to deal with these crimes which were prevailed in Arabia before Islam.

SOME REQUIREMENTS FOR PREPARING ENGINEERS AND TECHNICIANS,

by

Prof. Dr. Dakhel H. Jerew,
President of the University of Technology
Member of Iraqi Academy,

ABSTRACT

From time Immemorial, technology has been the main motive for any human advancement. It is common knowledge that the more engineers a country has, the more advanced that country is. Moreover, experience both past and present, has shown that power lies in the acquistion of science and technology. In the light of this, this research will define the best means to prepare technical and engineering personnel to meet the growing needs of our country which, justifiably, looks forward to prosperity and progress based on sound scientific insight, taking into consideration local and foreign experience in the field of engineering and technical education. The more so when remembering we are at the beginning of the 21st century.

SCIENCE

by

Najih M. K. El-Rawi

ABSTRACT

The paper deals with the definition of sciences and their effect on human civilization. A review of the effect of sciences on the old Egyption and Iraqi civilizations were sited. Science as mentioned in the Holy Qouran, Hadeeth, and by Arabic schoolers was sited. The definition of science as given by international organizations, members of the Iraqi Academy of sciences and other scientasts were given. The paper conclud that the definition of science is influenced by the specialization of the man giving the definition and with the time.

Journal

of the

ACADEMY OF SCIENCES

Quarterly Journal - Established 1369 H - 1950

Add : ACADMY OF SCIENCES.

P. O. BOX 4023 AADAMEA, BAGHDAD - IRAQ

Tel : 4221723 - 4222066 **Fax : (964 - 1) 4254523**

E-mail : aos@uruklink.net

— Annual Subscription : In Iraq (4000) I. D.

— Outside Iraq (50 Dollars) air mail not included

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٦٧٦ لسنة ٢٠٠٠



Journal

of the

ACADEMY OF SCIENCES

No. 4

Vol. 47

1421 H—2000